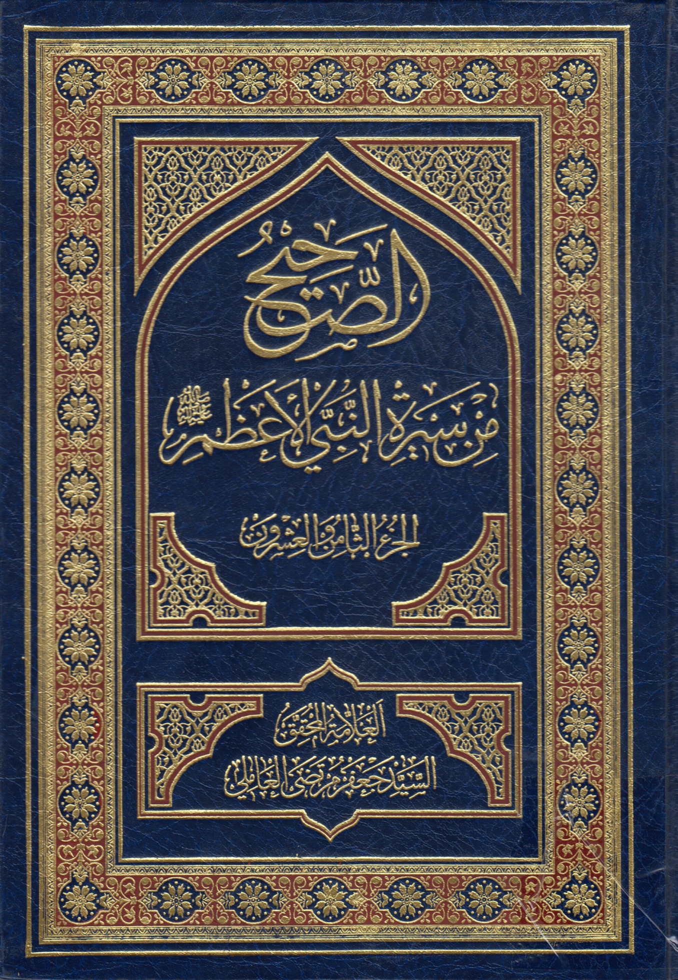

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله
الجزء الثامن والعشرون
العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي


بسم الله الرحمن الرحيم





العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الثامن والعشرون

الصحيح من سيرة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله

(الجزء الثامن والعشرون)

للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر : دارالحديث للطباعة والنشر

المطبعه : دارالحديث

الطبعة : الثانية / ١٤٢٨ هـ ق ـ ٢٠٠٧ م ـ ١٣٨٦ هش

عدد المطبوع : ١٠٠٠ دورة



قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٧٧٤٠٥٤٥ ـ ٧٧٤٠٥٢٣ ـ ٠٢٥١ / فاكس: ٧٧٤٠٥٧١ ٠٢٥١ / ص.ب ٤٤٦٨ / ٣٧١٨٥

لبنان ـ بيروت ـ حارة حريك ـ خلف الضمان الاجتماعي ـ بناية فروزان. تلفاكس: ٢٧٢٦٦٤ ـ ١ ـ ٠٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

http://www.hadith.net

hadith@hadith.net

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

ISBN: 978 - 964 - 493 - 200 - 7



الفصل الثالث:

وفادة الملوك سنة تسع ووفد همدان

الفصل الثالث

ملوك حمير قبل الإسلام:

كان ملوك حمير يعتنقون اليهودية، وهم الذين قتلوا نصارى نجران قتلاً ذريعاً، فتسلط الأحباش عليهم، وذهب ملكهم[1]، إلا عبد كلال، فإنه آمن بعيسى «عليه السلام»، وبالنبي محمد «صلى الله عليه وآله» قبل مبعثه[2].

النبي ﷺ وملوك حمير:

وكانت عساكر المسلمين تضرب في كل وجه يدعون إلى الله سبحانه، وإلى الإسلام، فمن آمن يكون له ما للمسلم، ومن كفر جوزي بعمله، فعندئذٍ وفدت قبائل العرب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لكي يأمنوا العساكر المتفرقة في مخاليف اليمن[3].

وذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث مهاجر بن أبي أمية إلى

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص١٢ ـ ٢٣، ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٣٩.

(٢) منتخب أخبار اليمن ص٩٣ لنشوان الحميري، وتاريخ الحسين «عليه السلام» لعبد الله العلايلي ص١٠١، ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٣٩ نقلاً عن منتخب أخبار اليمن.

(٣) راجع: مكاتيب الرسول ج٢ ص٥٨٦ ـ ٥٩٠.

ملوك حمير[1].

وقال بعضهم[2]: بعث الأقرع بن عبد الله الحميري إلى عمير ذي مران، وزاد في الإصابة ذي رود. وبعث إلى زرعة بن سيف بن ذي يزن، وفهد، والبسي، والبحيري، وربيعة، وهجر، وعبد كلال، وغيرهم[3].

وبعث خالد بن الوليد إلى همدان، فبقي فيهم ستة أشهر، فلم يجيبوه، ثم أرسل علياً «عليه السلام» فأسلمت على يديه همدان كلها في يوم واحد، حسبما تقدم.

والذي يظهر بعد التتبع أنه «صلى الله عليه وآله» كتب في سنة تسع كتباً، وأرسل رسلاً إلى جميع أذواء اليمن وأقيالها، وبعث دعاته إلى تلك البلاد: معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد (لا ابن رواحة[4]، فإنه استشهد في مؤتة سنة ثمان) وأبا موسى الأشعري، ومالك بن عبادة (مرارة)، وعتبة بن نيار، ليفقّهوا الناس، ويعلموهم معالم الإسلام، فأجابوا إلى الإسلام،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٧٩ وأسد الغابة ج٤ ص٤٢٢ والإصابة ج١ ترجمة الحارث وج٤ ترجمة شرح بن عبد كلال.

(٢) أسد الغابة ج١ ص١١٠ وراجع: مكاتيب الرسول ج٢ ص٥٨٦.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٨٣، ومكاتيب الرسول ج١ ص٢٠٠ نقلاً عن: الإصابة ج٣ ص٢١٥ (٧٠٢٩) في «فهد» وج٣ ص٤٩٥ (٨٤٢٥) في «مشرح» والطبقات الكبرى ج١ ق٢ ص٣٣ وراجع الوثائق السياسية ص٢٢٦ / ١١٠ ـ ألف وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٧ والتراتيب الإدارية ج١ ص١٨٥ وراجع الإشتقاق ص٥٢٦.

(٤) كما زعمه في أسد الغابة ج٣ ص٣٦٨ والأموال لأبي عبيد ص٢١ و ٣١.

ووفدت إليه وفودهم، وكتب لكل الوافدين كتباً، وأمنهم على دورهم، وزروعهم وأموالهم وأنفسهم.

ومن كتب إليهم ابنا عبد كلال، وهم: مسروح، ونعيم.

وزاد ابن سعد وابن الأثير: الحارث.

وعند الهمداني في الإنساب: كتب إلى الحارث وأخيه نعيم(١).

ومن أبناء عبد كلال أيضاً: أيفع، وعريب، وشرحبيل، وكان الملك منهم يومئذٍ الحارث وعريب(٢).

كتابه ﷺ إلى ملوك حمير، وأذواء اليمن:

ونصوص الكتب التي يقال: إنه «صلى الله عليه وآله» أرسلها إلى أهل اليمن متعددة، ومنها: نص الكتاب الذي أرسله «صلى الله عليه وآله» إلى أبناء عبد كلال، وغيرهم، وهو كما يلي:

«سلم أنتم، ما آمنتم بالله ورسوله، وأن الله وحده لا شريك له، بعث موسى بآياته، وخلق عيسى بكلماته. قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: الله ثالث ثلاثة، عيسى ابن الله»(٣).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٣.

(٢) أسد الغابة ج٣ ص٤٠٧ ترجمة عريب، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٧٩.

(٣) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٣٧ عن المصادر التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ق٢ ص٣٢ ورسالات نبوية ص١٣٨ عن المصباح المضيء ج١ ص٣١٦ عن الطبقات، وراجع: نشأة الدولة الإسلامية ص١٤٥ ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٨٢ ومجموعة الوثائق السياسية ص٢١٨/١٠٧ عن ابن سعد، وعبد المنعم، وعن =

ومن الواضح: أن أهل اليمن الذين كان كثير منهم على دين اليهودية، وبعض منهم كان على دين النصرانية.. فهذا الكتاب قد لاحظ ذلك، فتعرض لمزاعم اليهود والنصارى، وأعلن بطلانها.

قال ابن سعد: بعث بالكتاب مع عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وقال: إذا أصبت أرضهم، فلا تدخل ليلاً حتى تصبح، ثم تطهَّر، فأحسن طهورك، وصل ركعتين، وسل الله النجاح والقبول، واستعد لذلك. وخذ كتابي بيمينك، وادفعه بيمينك في أيمانهم، فإنهم قابلون.

واقرأ عليهم: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ﴾[1]، فإذا فرغت منها فقل: آمن محمد، وأنا أول المؤمنين. فلن تأتيك حجة إلا دُحضت، ولا كتاب زخرف إلا ذهب نوره.

وهم قارئون عليك، فإذا رطنوا، فقل: ترجموا.

قل: حسبي الله ﴿آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا

= نثر الدر المكنون في فضائل اليمن الباب السابع ص٦٢ والمطالب العالية لابن حجر ص٢٦٣١ والأكوع الحوالي ص١٣٠ والعقد الفريد ج١ ص٤٥٦ والإكليل ج٢ ص٣٦٤. وأوعز إليه في الإصابة ج٣ ص٤٩٥/ ٨٤٢٥ في ترجمة شرح بن عبد كلال، ونقل شطراً منه، وكذا ج١ ص٢٨٣ في ترجمة الحارث، وأوعز إليه في نهاية الإرب للقلقشندي ص٢٦٠ والتراتيب الإدارية ج١ ص٢٤٧.

(١) الآية ١ من سورة البينة.

﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[١] فإذا أسلموا فسلهم تصبهم الخ..»[٢].

فلما وصلت كتبه «صلى الله عليه وآله» أسلم أبناء عبد كلال، وزرعة بن سيف بن ذي بزن، وعمير ذو مران، والنعمان قَيْل ذي رعين، ومعافر، وكتبوا بإسلامهم، وأرسلوا الكتاب مع وافدهم مالك. فأتى المدينة مع وفد همدان، مالك بن نمط وغيره، فلقوا النبي «صلى الله عليه وآله» مقدمه من تبوك، فأخبروه بإسلامهم وكتابهم، فأكرم رسولهم[٣].

من هو وافد حمير:

وكان وافد ملوك حمير: مالك بن مرارة[٤].

وقيل: هو الحارث بن عبد كلال، وأنه حين قدم اعتنقه النبي «صلى الله عليه وآله» وأفرشه رداءه، وقال قبل أن يدخل عليه: «يدخل عليكم من هذا الفج رجل كريم الجدين، صبيح الخدين فكأنه..»[٥].

وأضافوا إلى الوافدين أيضاً: نعيم بن عبد كلال، والنعمان قَيْل ذي

---

(١) الآية ١٥ من سورة الشورى.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ق٢ ص٣٢ والتراتيب الإدارية ج١ ص٢٤٧، والإصابة ج٣ ص٤٩٥ / ٨٤٢٥.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٥٨ والكامل ج٢ ص١١١ والسيرة الحلبية، والسيرة النبوية لزيني دحلان، ومجموعة الوثائق السياسية ص٢١٩.

(٤) راجع المصادر في الهامش السابق وأسد الغابة ج٢ ص١٤٦.

(٥) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٣ والإكليل للهمداني ج٢ ص٣٢٠، والإصابة ج١ ص٦٧٧.

رعين، ومعافر وهمدان[١]. ولعل ذلك غير دقيق، فإن هؤلاء هم ملوكهم ـ على الظاهر[٢] ـ وكان النعمان من الأقيال، ومن البعيد أن يكون الملك هو الرسول، فلعلهم وفدوا على النبي «صلى الله عليه وآله» وفادة الملوك.

وقال ابن حجر عن الحارث: تظافرت الروايات أنه أرسل بإسلامه، وأقام باليمن[٣].

ويدل على ذلك أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب في كتابهم: «من محمد النبي إلى الحارث بن عبد كلال. ولو كان هو الوافد لكان الكتاب له لا إليه»[٤].

---

(١) عن الكامل في التاريخ ج٢ ص١١١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٨١ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٥٨.

(٢) أسد الغابة ج٥ ص٢٩ ترجمة نعمان قيل ذي رعين، وراجع: منتخب أخبار اليمن لنشوان الحميري ص٩٣.

(٣) الإصابة ج١ ص٦٧٧ ترجمة الحارث بن عبد كلال، وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٣.

(٤) مكاتيب الرسول ج٢ ص٥٨٨، والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص١٣٠، والمصنف للصنعاني ج٤ ص١٣٦، والمصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج٣ ص٣٧، وسنن الدارقطني ج٢ ص١١٣، والإستيعاب ج٤ ص١٤٥٢، وكنز العمال ج٦ ص٥٦٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٥٦، وأسد الغابة ج٢ ص٢٠٣، والإصابة ج١ ص٦٧٨ وج٢ ص٥٢٣، وفتوح البلدان للبلاذري ج١ ص٨٥، وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٨١، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٠٩، وعيون الأثر ج٢ ص٢٩٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٤٥، وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٣، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٦٢.

وصرح ابن الأثير: بأن مالك بن مرارة الرهاوي قدم على النبي «صلى الله عليه وآله» بكتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك، بإسلام الحارث بن عبد كلال[1].

أي أن ملوك حمير كتبوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» يخبرونه بإسلام الحارث الذي كان ملكهم.

كتاب النبي ﷺ لأهل اليمن:

ومهما يكن من أمر، فقد روى ابن سعد عن رجل من حمير، أدرك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ووفد عليه قال: قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» مالك بن مرارة الرهاوي رسول ملوك حمير بكتابهم (وإسلامهم)، وهم: الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنعمان قيل ذي رعين، ومعافر وهمدان، وذلك في شهر رمضان سنة تسع[2].

وقال ابن إسحاق: مقدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» من تبوك.

فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بلالاً أن ينزله ويكرمه ويضيفه.

وكتب إليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

«**أما بعد**.. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد.. فإنه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم، فبلغ ما أرسلتم به، وخبّر عما قبلكم، وأنبأنا بإسلامكم، وقتلكم المشركين، فإن الله تبارك وتعالى قد هداكم بهداه، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم

---

(١) أسد الغابة ج٢ ص١٤٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٣، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٥٦.

الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغنم خمس الله، وخمس نبيه وصُفِيِّه، وما كتب على المؤمنين من الصدقة، من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر. إن في الإبل الأربعين ابنة لبون، وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر، وفي كل خمس من الإبل شاة، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع، جذع أو جذعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة، وإنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيراً فهو خير له، ومن أدى ذلك، وأشهد على إسلامه، وظاهر المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وله ذمة الله وذمة رسوله.

وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها، وعليه الجزية على كل حالم ـ ذكر أو أنثى، حر أو عبد ـ دينار واف من قيمة المعافر، أو عوضه ثياباً. فمن أدى ذلك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فإن له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله.

أما بعد.. فإن رسول الله محمداً أرسل إلى زرعة ذي يزن أن إذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً: معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة بن نمر، ومالك بن مرارة، وأصحابهم. وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم، وأبلغوها رسلي، وأن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن إلا راضياً.

أما بعد.. فإن محمداً يشهد ألا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله، ثم إن مالك بن مرارة الرهاوي قد حدثني أنك أسلمت من أول حمير، وقتلت

المشركين، فأبشر بخير، وآمرك بحمير خيراً، ولا تخونوا، ولا تخاذلوا، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو مولى غنيكم وفقيركم، وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يتزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل، وإن مالكاً قد بلغ الخبر، وحفظ الغيب، وآمركم به خيراً، وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي، وأولي دينهم، وأولي علمهم، وآمركم بهم خيراً، فإنهم منظور إليهم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٤ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٥٤٩ و ٥٥٠ وأشار في المتن وفي الهامش أيضاً إلى المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٣٨١ وفي (ط أخرى) ج٣ ص١٢٠ واللفظ له، والبداية والنهاية ج٥ ص٧٥ وفتوح البلدان للبلاذري ص٨٢ وفي (ط أخرى) ص٩٥ و ٩٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٨ والسيرة النبوية لزيني دحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٣٠ وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٥٥ و ٨٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٥٨ وفي (ط أخرى) ص٢٣٥ وإعلام السائلين ص٣٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٥٤ وفي (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٨٤ و ٨٣ و ٢٠ وج٥ ص٣٨٦ و ٣٨٧ وج٣ ق٢ ص١٢١ والأموال لأبي عبيد ص٢١ و ٣١ وكنز العمال ج٣ ص٣٠٨ وفي (ط أخرى) ج٥ ص٥١٨ وج٦ ص١٦٥ و ٣١٧ وج٤ ص٢٧٥ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٩ والمفصل ج٥ ص٣٠٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٣٨ ورسالات نبوية ص١٣٦ و ١٥٥ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٥ ص٣١٠ و ٣١١ وثقات ابن حبان ج٢ ص١٠٦ والمستدرك للحاكم ج١ ص٣٩٥ وسنن النسائي ج٨ ص٥٨ والدر المنثور ج١ ص٣٤٣ وج١ ص١٩٣ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج٦ ص٢٧٤ و ٢٧٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص١٤٤ و ١٤٥ والأموال لابن زنجويه ج١ ص١٠٥ ومجمع الزوائد ج٣ =

= ص٧١ و ٧٢ عن النسائي، والمعجم الكبير، وأحمد، ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٦٩ وأسد الغابة في ترجمة ذي يزن ج٢ ص١٤٦ و ٣٩٢ في ترجمة شرحبيل بن عبد كلال و ٢٠٣ في ترجمة زرعة وج١ ص٣٣٩ في ترجمة الحارث بن كلال، وتلخيص المستدرك للذهبي (بهامشه) ج١ ص٣٩٥ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣١٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص٤٠٨ والخراج للقرشي ص١١٣ وفي (ط أخرى) ص٥٢١ و ٥١٨ و ٥٥٩، والسيرة النبوية لإسحاق بن محمد الهمداني قاضي أبرقو ص١٠٤٤ وموارد الظمآن لزوائد ابن حبان ص٢٠٢ ومجموعة الوثائق السياسية ص٢٢٠/١٠٩ عن جمع ممن تقدم، وعن: وسيلة المتعبدين ج٨ الورقة ٢٨ ـ ب و ص٢٩ ـ ألف، وسيرة ابن إسحاق (ترجمتها الفارسية) ورقة ٢١٤، وإمتاع الأسماع للمقريزي خطية ص١٠٢٧ والمواهب اللدنية ج١ ص٢٧٩ وجمع الجوامع للسيوطي في مسند عمرو بن حزم ونشر الدر المكنون في فضائل اليمن ص٦٣ عن ابن مندة، وابن عساكر، وسنن الدارقطني ج١ ص٢١٥ والوفاء لابن الجوزي ص٧٤٢ والوثائق السياسية اليمنية للأكوع الحوالي ص١٠٧ وعن مقال لبعض الفرنسيين «لدافيد كهن» وروي هذا الحديث عن سليمان بن داود عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كما في كثير من طرق البيهقي وأسانيده ج١ ص٨٨ و ٣٠٩ وج٤ ص٨٩ و ١١٦ و ١١٨ و ١٣٠ وج٨ ص٢٥ و ٢٨ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٩ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٥ و ٩٧ و ١٨٨ وج١٠ ص١٢٨ والدارمي ج١ ص٣٨١ و ٣٨٣ و ٣٨٥ وج٢ ص١٦١ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٥، وراجع: نصب الراية للزيلعي ج٤ ص٣٦٩ وج٢ ص٣٤٠ عن النسائي في الديات، وأبي داود في المراسيل، وعبد الرزاق في مصنفه، والدارقطني في سننه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه، وابن الجوزي في التحقيقات، وأحمد بن حنبل في مسنده، والبيهقي في سننه، والطحاوي في شرح الآثار. =

وقد أرسل الكتاب إليهم مع عمرو بن حزم.

وهناك كتاب آخر أرسله لزرعة بن ذي يزن، وكتاب ثالث لأهل اليمن(١) أرسله مع معاذ، يشبهان هذا الكتاب، فراجع وقارن في المصادر

= وراجع: نيل الأوطار ج٧ ص٢١٢ عن النسائي، وابن خزيمة، وابن حبان، وابن الجارود، والحاكم، والبيهقي موصولاً، وأبي داود في المراسيل وقد صححه جماعة من أئمة الحديث منهم: أحمد، والحاكم، وابن حبـان، والبيهقي. والإصابة ج٣ ص١٠٥ في ترجمة «عريب» و ٥٨٦ في النعمان وج١ ص٢٨٣ في ترجمة الحارث و٥٧٧ في زرعة وج٢ ص١٦٦ في ترجمة شرحبيل، والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ ص٨٢٥ والبحار ج٢١ ص٣٦٦ والمصنف لعبد الرزاق ج٤ ص١٣٦ والفائق ج٢ ص١٠٥ وزاد المعاد ج١ ص٤٥ وفي (ط أخرى) ص٣٠ والقرطبي في تفسيره ج١٧ ص٢٢٥ والمحلى ج٦ ص١٦ وج١٠ ص٤١١ و ٤١٢ والموطأ (تنوير الحوالك ج٣ ص٥٨ وفي (ط أرى) ج٢ ص١٨١، والمنتظم لابن الجوزي ج٣ ص٣٧٢ والإشتقاق لابن دريد ص٥٢٦ قال: وعريب والحارث ابنا عبد كلال كتب إليهما النبي «صلى الله عليه وآله»، والإكليل للهمداني ج٢ ص٣٢١.

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٥٩٢ و ٥٩٣ عن المصادر التالية: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٤ وفي (ط أخرى) ص٦٩ وقال: وكان الرسول بالكتاب معاذ بن جبل. قال ابن سعد في الطبقات ج١ ص٢٦٤ وفي (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٢٠: «وكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أهل اليمن كتاباً يخبرهم فيه بشرائع الإسلام وفرائض الصدقة في المواشي والأموال ويوصيهم بأصحابه ورسله خيراً، وكان رسوله إليهم معاذ بن جبل ومالك بن مرارة ويخبرهم بوصول رسولهم إليه وما بلغ عنهم»، ثم نقل كتابه «صلى الله عليه وآله» إلى أبناء عبد كلال فـلا يحتمل =

الآتية[١].

ونقول:

إنه عدا عن أن بعض النصوص لهذا الكتاب تخالف ما ثبت عن أئمة أهل البيت المعصومين «عليهم السلام»[٢] فإننا نشير إلى ما يلي:

= اتحادهما وإن كان بين الكتابين اشتراك في الألفاظ والوصية برسله وذكر مالك بن مرارة ونحوه ما في الأموال لأبي عبيد ص٣١.

وراجع: الطبقات الكبرى ج٣ ق٢ ص١٢١ وفتوح البلاذري ص٩٦ و ٩٨ والإصابة ج٣ ص٤٢٧ في ترجمته، والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص١٢٨ و ١٤٤ و ١٤٥ والمعرفة والتاريخ ج٣ ص٤٠٩ وترتيب مسند الشافعي ج١ ص١٥٢ وج٢ ص١٢٩ والخلاف ج٢ ص١٨ والخراج لأبي يوسف ص٥٩ والخراج للقرشي ص٦٨ و ١١٢ و ١١٣ وغريب الحديث لأبي عبيد ج١ ص٧٠ والأموال لأبي عبيد ص٣٨ و ٥٤ و ٦٣ و ٥٨٤ و ٦٣٨ والدر المنثور ج١ ص١٦٢ وكنز العمال ج١٠ ص٣٩٢ والمصنف لعبد الرزاق ج٤ ص١١٩/ ٧١٨٦ و ٧١٨٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص١٢٨ وابن ماجة ج١ ص٥٨٠/ ١٨١٤ والوثائق السياسية ص٢١٥ و ٢١٦ وراجع: الأموال لابن زنجويه ج١ ص١٢٦ و ١٢٨ وج٢ ص٨٣٧ و ٨٤١ وج٣ ص٩٤٨ و ١٠٢٧ و ٢٠٦١ وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٦٥.

(١) الأموال لأبي عبيد ص٢٨٩ و ٢٩٠ والأموال لابن زنجويه ج٢ ص٤٦٥ وفتوح البلدان للبلاذري ص٩٤ وكنز العمال ج٤ ص٣١٩ وج١٠ ص٤١٧ و ٤١٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٣٨٦.

(٢) راجع: مكاتيب الرسول ج٢ ص٥٦٧ و ٥٦٩ وراجع ص٥٧٠.

تكرار كلمة «أما بعد»:

بالنسبة لهذا الكتاب الأخير نلاحظ: أن كلمة «أما بعد» قد تكررت فيه أربع مرات، بالإضافة إلى تكرار فقرات ومطالب أخرى، مثل الحديث عن الصدقة مرتين، كما أن الإشارة إلى الأشخاص قد تكررت أيضاً.

وهو أمر غير مألوف في الرسائل، فقد يثير هذا احتمال أن تكون رسائل مختلفة أرسلت لعدة فئات أو جهات أو أشخاص في اليمن، فمزجها الرواة عمداً وسهواً. وقد ظهر نتيجة لذلك ضعف في التركيب، وتفكك وعدم انسجام، فهو تارة يكلمهم بصيغة الجمع، وأخرى بصيغة المفرد.

الإعلان والإشهاد على الإسلام:

وقد ذكر في الكتاب: أن من أدى زكاة ماله، وأشهد على إسلامه، وظاهر المسلمين على المشركين فهو من المؤمنين..

ولعل المقصود بالإشهاد على الإسلام هو: إشهار إسلامه وإعلانه حتى لا يتعرض لمعرة جيوش المسلمين، فإنه إذا تكتم على ذلك، وستره، وكانت المنطقة في أجواء حرب وقتال، فقد يظن به من لا يعرفه الكفر والشرك، وأنه محارب فيوقعون به.

الإيمان قول وعمل:

قد ذكر في الكتاب: أن هدايتهم متوقفة على إصلاحهم، وطاعتهم لله ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وإعطاء الحق الشرعي من المغانم..

وهذا يدل على: أن الإقرار باللسان لا يوجب نجاتهم من العذاب، ولا

أمنهم من القتل، بل لا بد أن يعملوا بالمذكورات. كما أن من يعمل بها فله ذمة الله ورسوله، أي أن من لم يعمل فليس له ذلك..

قتال المشركين دون غيرهم:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قد شرط عليهم قتل المشركين، وعدم الإكتفاء بقطع الصلة معهم..

ولعل المراد: أن لا يتحرجوا من قتلهم حين وقوع الواقعة بين المسلمين والمشركين.

ومن المعلوم: أنه لا يقبل من المشركين إلا الإسلام أو الحرب، ويخيِّر اليهود والنصارى، بين الجزية، والإسلام، والحرب. ربما لأن الشرك يتناقض مع التوحيد، أما اليهودية والنصرانية فليستا بهذه المثابة، فلأجل ذلك لا يجبر النصارى واليهود على ترك دينهم، إذا أعطوا الجزية، وقد تحدثنا عن ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب..

من يأخذ الصدقات من الناس؟!:

وقد ذكر **الكتاب المتقدم:** أن زرعة، وسائر ملوك حمير، وهمدان، وغيرهم، هم الذين يجمعون صدقاتهم. ويأخذون الجزية ممن لم يسلم من اليهود والنصارى من قومهم، ثم يسلمونها إلى مبعوثي رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وهذا غاية في الإرفاق بهم، ورعاية حالهم، فإن بعضهم أعرف بأحوال بعض من غيرهم، وبذلك يتحقق الإجراء الصحيح لما هو مطلوب، ويطمئن قومهم إلى إجراء سنة العدل فيهم.

رسول الله مولى غنيكم وفقيركم:

وبعد أن أمرهم في الكتاب بأن لا يخونوا ولا يتخاذلوا، علل لهم ذلك بقوله: «فإن رسول الله مولى غنيكم وفقيركم»، فلا يشعر الفقير بأن ثمة استقواءً عليه، واستغلالاً لحاله، فيؤخذ بها لا يؤخذ به غيره، وتفرض عليه قرارات لا تفرض على الغني، ولا تطلب منه..

فإن النبي «صلى الله عليه وآله» يطلب ما يطلبه ويفرض ما يفرضه على الجميع، من دون استثناء، لأنه ولي الغني والفقير، والكبير والصغير..

إنما هي زكاة يتزكى بها:

ويلاحظ: أن الكتاب يقول عن الزكاة: «إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهله، إنما هي زكاة يتزكى بها على فقراء المؤمنين، وأبناء السبيل».

فقد تضمنت هذه الفقرة الإشارة إلى أمور عديدة، فقد عبَّرت بكلمة «المؤمنين»، دون كلمة المسلمين، ربما لتؤكد: أن مجرد إظهار الإسلام لا يكفي، بل لا بد من الإيمان بمعناه الصحيح، الذي هو قول وقبول والتزام قلبي وعملي بكل ما جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ثم إن الزكاة تطهير للنفوس، وتنمية لها، من خلال إبعادها الإنسان المؤمن عن التعلق بالمال وحب الدنيا، وإيجابها القرب من الله تعالى، وهي تدفع إلى الإيثار، وإلى الشعور بحوائج المؤمنين..

وصية النبي ﷺ لرسوله:

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» أوصى لرسوله عياش بن أبي ربيعة

بأن لا يدخل على من يبعثه إليهم، وأن يتوضأ قبل دخوله عليهم، ويصلي ركعتين، ويسأل الله النجاح والقبول، وأن يأخذ كتابه بيمينه، ويدفعه إليهم بأيمانهم..

أي أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يسن لهم ما شرعه الله تعالى في شأن الرسل في هذه المناسبة بالذات، لتكون حساسيتها من أسباب وعيها بعمق، وتحسس نتائجها الرضية على الرسول وعلى المرسل إليهم على حد سواء.

ولعل عياش بن أبي ربيعة كان يشعر بخطورة الموقف، فجاءت التوجيهات منه «صلى الله عليه وآله» لتربط على قلبه، وتعيده إلى الله، فيشعر بعظمته، وبهيمنته، وبقدرته، وبمحبته له وللمؤمنين، ولطفه وعناياته بهم.. فيعيش الثقة بالله، والسكينة في قلبه، وروحه، والقوة في دينه، وعدم المبالاة بالأخطار إذا كان الله محباً له، راضياً عنه.

على أن هذه القوة الروحية، والثبات والإتزان في الخطاب وفي الموقف يعطي للكلمة قوة مضاعفة على التأثير، ويضفي على شخصيته الهيبة، ويفرض على الآخرين احترامه، والإصغاء إليه، والتدبر فيما يأتيهم به.

وفد همدان:

وفي شهر رمضان من سنة تسع، مرجع النبي «صلى الله عليه وآله» من تبوك قدم وفد همدان على رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع وفد حمير.

وكان الوافد من كل بطن من همدان سيدهم. فمالك بن أيفع من بني ناعط. وعميرة بن مالك من بني حازم، ومن بني سلمان ضمام بن مالك. ومن بني حدان مسلمة بن هدان، وهم بطن من همدان. ومن بني خارف من بني

حاشد (بطن من همدان) مالك بن نمط، وكنيته أبو ثور، ولقبه ذو المشعار.

وقيل: كان مجموع وفد همدان مائة وعشرين نفساً[(١)].

وكان على وفد همدان مقطعات الحبرات، مكففة بالديباج، وفيهم حمزة بن مالك من ذي مشعار، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نِعْمَ الحي همدان، ما أسرعها إلى النصر، وأصبرها على الجهد، ومنهم أبدال وأوتاد الإسلام»[(٢)].

فأسلموا، وكتب لهم النبي «صلى الله عليه وآله» كتاباً بمخلاف خارف،

---

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج٣ ص٣٨٧ و ٣٨٨ عن عدد من المصادر.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢٧ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٣٨٧ وفي هامشه عن المصادر التالية: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٩ والسيرة النبوية لزيني دحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٣١ والكامل لابن الأثير ج٢ ص٣٠٠ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٣ ص١٣١ و ١٣٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٣٦٩ وينابيع المودة ص٢١٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ ص٨٣٣ وفي (ط أخرى) ج٢ ق٢ ص٥٥ والبحار ج٢١ ص٣٦٠ و ٣٦٣ عن إعلام الورى، وعن الإرشاد للمفيد «رحمه الله» وج٣٨ ص٧١ والمناقب لابن شهرآشوب ج٢ ص١٢٩ والإرشاد للمفيد «رحمه الله» ص٢٨ والبداية والنهاية ج٥ ص١٠٥ وزاد المعاد ج٣ ص٣٦ ومجموعة الوثائق السياسية ص١٣٢/ ٨٠ عن إمتاع الأسماع للمقريزي، وحياة الصحابة ج١ ص٩٥ والعدد القوية ص٢٥١ والتنبيه والإشراف ص٢٣٨ وذخائر العقبى ص١٠٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٤٥ وإحقاق الحق (الملحقات) ج١٨ ص٦٤ وج٢١ ص٦٢٠ عن الجامع بين الصحيحين ص٧٣١ ونثر الدر المكنون ص٤٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص٣٩٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٠١ من طرق كثيرة، والتدوين للقزويني ج٢ ص٤٢٩ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٤.

ويام، وشاكر، وأهل الهضب، وحقاف الرمل من همدان لمن أسلم منهم[1].

وفي زاد المعاد: «قدم عليه وفد همدان منهم: مالك بن النمط، ومالك بن أيفع، وضمام بن مالك، وعمرو بن مالك، فلقوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عند منصرفه من تبوك، وعليهم مقطعات الحبرات، والعمائم العدنية، برحال الميس على الرواحل المهرية والأرحبية، ومالك بن النمط يرتجز:

همدان خير سوقة وأقيال ليس لها في العالمين أمثال

محلها الهضب ومنها الأبطال لها أطابات بها وآكال

وكان يرتجز بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» ويقول:

إليك جاوزن سواد الريف في هبوات الصيف والخريف

مخطمات بحبال الليف

وذكروا له كلاماً حسناً فصيحاً، سيأتي.

فكتب لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً أقطعهم فيه ما سألوه، وأمّر عليهم مالك بن النمط، واستعمله على من أسلم من قومه، وأمره بقتال ثقيف. وكان لا يخرج لهم سرح إلا أغاروا عليه[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢٧ وقال في هامشه: أخرجه ابن سعد في الطبقات ج١ ق٢ ص٧٤، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ج٤ ص٤٤٠، وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٤٠٣٠).

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢٧ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٧٥ و ١٧٦ وأسد الغابة ج٤ ص٢٩٤ والإصابة، والإستيعاب، والسيرة الحلبية، والسيرة النبوية لدحلان.

ولكننا نشك في هذا الكلام الأخير، فإن همدان لا يمكن أن تقاتل ثقيفاً، ولا أن تُغير على سرحهم، فإن همدان باليمن، وثقيفاً بالطائف[1].

ثم إن الصحيح هو: أن همدان قد أسلمت على يد علي «عليه السلام»، لا أنها وفدت وأسلمت، وقد تقدم الكلام في ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب.

وقال ابن إسحاق: «فقام مالك بن نمط بين يديه، فقال: يا رسول الله نصية من همدان، من كل حاضر وباد، أتوك على قلص نواح، [متصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مخلاف خارف ويام] وشاكر، أهلِ السود والقود، أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا الآلهات والأنصاب، عهدهم لا يُنقض [عن سنة ماحل، ولا سوداء عنقفير]، ما أقام لعلع، وما جرى اليعفور بصيلع».

فكتب لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمخلاف خارف، وأهل جناب الهضب، وحقاف الرمل، مع وافدها ذي المشعار، مالك بن نمط، ومن أسلم من قومه أن لهم فراعها، ووهاطها، وعزازها ما أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، يأكلون ظلافها، ويرعون عفاءها، [لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢٧ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٧٨ عن زاد المعاد لابن قيم الجوزية، وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٣٦٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٩٥.

من الصدقة الثلب، والناب، والفصيل والفارض، والداجن، والكبش الحوري. وعليهم فيها الصالغ والقارح]. لكم بذلك عهد الله، وذمام رسوله، وشاهدكم المهاجرون والأنصار». فقال في ذلك مالك بن نمط:

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى ... ونحن بأعلى رحرحان وصلدد
وهن بنا خوص طلائح تغتلي ... بركبانها في لاحب متمدد
على كل فتلاء الذراعين جسرة ... تمر بنا مر الهجف الخفيدد
حلفت برب الراقصات إلى منى ... صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق ... رسول أتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أشد على أعدائه من محمد
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه ... وأمضى بحد المشرفي المهند(١)

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢٧ و ٤٢٨ وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٧٥ ـ ١٧٨ وراجع: مكاتيب الرسول للعلامة الأحمدي ج٣ ص٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٨٨ ـ ٣٩١ وقد نقل العلامة الأحمدي الكتاب المشار إليه عن المصادر التالية: العقد الفريد ج٢ ص٣٢ (باب الوفود) وصبح الأعشى ج٢ ص٢٦٣ وج٦ ص٣٦٠ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٨٩ ونسيم الرياض ج١ ص٣٩٢ وبهامشه شرح القاري ج١ ص٣٩١ والشفا ج١ ص١٦٨ ونثر الدر للآبي ج١ ص٢١٧ ونهاية الإرب ص٢٢٧ والمصباح المضيء ج٢ ص٣٤١ وإعلام السائلين ص٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٦٩ وفي (ط أخرى) ص٢٤٥ وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٥٦ وسيرة النبي «صلى الله عليه وآله» لإسحاق بن محمد الهمداني قاضي أبرقوه ص١٠٥٥ وغريب الحديث لابن قتيبة ج١ ص٢٣٩ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣٤٨ والمواهب =

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات هي التالية:

توضيحات:

قد تضمن كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» مفردات تحتاج إلى إيضاح، وهي:

خارف: بطن من همدان، منهم الحارث الأعور.

شية ماحل: أي عن وشاية وسعاية واشٍ. وروي عن سنة ماحل. والسنة الطريقة أي طريقة ساع ونمام.

الهضب: جمع هضبة. وجناب الهضب اسم موضع.

حقاف الرمل: اسم موضع أيضاً. والحقاف: جمع حقف، وهو ما

= اللدنية شرح الزرقاني ج٤ ص١٧٠ والفائق ج٣ ص٤٣٣ والمفصل ج٤ ص١٨٦ والنهاية لابن الأثير في «حور». ومجموعة الوثائق السياسية ص٢٣٣ / ١١٣ عن جمع ممن تقدم، وعن نثر الدر المكنون للأهدل ص٦٦ والوثائق السياسية اليمنية للأكوع الحوالي ص١١١. وأرجع إلى مخطوطة التأريخ المجهول، ثم قال: قابل الطبقات ج١ ق٢ ص٧٣ و ٧٤ والسهيلي في الروض الأنف ج٢ ص٣٤٨ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ص١٧٣١ و ١٧٣٢ وأسد الغابة ج٤ ص٢٩٤ وج٢ ص٥١ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٨٩ وإمتاع الأسماع للمقريزي (خطية) ص١٠٣٠ والنهاية في «ثلب» واللسان في «حور» وانظر كايتاني ج٩ ص٦٧ واشپرنكر ج٣ ص٤٥٦ وراجع أيضاً ص٧١٩ وراجع: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٣٧٩ والإصابة ج٣ ص٣٥ وزاد المعاد ج٣ ص٣٥.

اعوَّج واستطال من الرمل.

المشعار: موضع أيضاً.

الفراع: ما علا من الأرض وارتفع.

الوهاط: المواضع المطمئنة.

الدفء: نتاج الإبل.

الصرام: النخل الذي يصرم ويقطع.

الثلب: ما هرم من ذكور الإبل، وتكسرت أسنانه.

الناب: الناقة الهرمة التي طال سنها.

الفصيل: ما انفصل من أمه من أولاد الإبل.

الفارض: المسن من الإبل ومن البقر.

الداجن: ما يعلف في المنزل.

الحوري: الذي في صوفه حمرة.

الصالغ: من البقر والغنم ما انتهى سنه بالسادسة.

القارح: من الخيل ما دخل في الخامسة أو السادسة.

أي أن الصدقة لا تعطى لا من الخيار، ولا من الرذال.

كتاب لهمدان:

ولما بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» إسلام همدان كتب إليهم بما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله إلى عمير ذي مران، ومن أسلم من همدان، سلم أنتم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو.

أما بعد ذلك، فإنه بلغني إسلامكم مرجعنا من أرض الروم، فأبشروا،

فإن الله قد هداكم بهداه، وإنكم إذا شهدتم أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبد الله ورسوله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، فإن لكم ذمة الله وذمة رسوله على دمائكم وأموالكم، وأرض البور التي أسلمتم عليها، سهلها وجبلها، وعيونها وفروعها غير مظلومين، ولا مضيق عليكم.

وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة تزكونها عن أموالكم لفقراء المسلمين، وإن مالك بن مرارة الرهاوي قد حفظ الغيب وبلغ الخبر، فآمركم به خيراً فإنه منظور إليه. وكتب علي بن أبي طالب»(١).

ومران: مخلاف باليمن.

---

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج٣ ص٣٩٢ و ٣٩٣ عن: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٥ وفي (ط أخرى) ص٧٠ والمعجم الكبير ج١٧ ص٤٧ و ٤٨ وأسد الغابة ج٤ ص١٤٧ ورسالات نبوية ص٢٠٢ وإعلام السائلين ص٢٤ والإصابة ج٣ ص١٢١ في ترجمة عمير و ٣٥٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج١٤ ص٣٣٩ و ٣٤٠/ ١٨٤٧٩ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣٤٦. ومجموعة الوثائق السياسية ص٢٣٠/ ١١١ عن جمع ممن تقدم، وعن معجم الصحابة لابن قانع (خطية كوپرولو ملخصاً) ورقة ص١٢١ ـ ألف. ثم قال: قابل المعارف لابن قتيبة ص٢٣٤ وراجع: ٧١٩ عن سبل الهدى للشامي خطية باريس/ ١٩٩٢ ورقة ٦٧ ـ ألف. وأوعز إليه في أسد الغابة ج٢ ص١٤٥ في «ذي مران» وج٣ ص٨٣ في «عامر بن شهر»، والإصابة ج٢ ص٢٥١ في عامر بن شهر، والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص٤٩٣ والطبقات الكبرى ج٦ ص١٨ و ٤٢ والكامل لابن عدي ج٦ ص٢٤١٤ والإكليل ج١٠ ص٤٩. وفي رسالات نبوية قال الحافظ وابن الأثير: أخرج الطبراني، ثم ساق الكتاب فقال: قال ابن الأثير: أخرجه ابن مندة، وأبو نعيم، وابن عبد البر، وأخرجه ابن سعد في الطبقات.

والبور: الأرض التي لم تزرع.

ورها: بطن من مذجح.

الثناء على همدان:

١ ـ قد تضمنت النصوص المتقدمة ثناء النبي «صلى الله عليه وآله» على قبيلة همدان. وإذا تأملنا في مضمون هذا الثناء، فسنجد أنه وصفها بأوصاف قد لا نجد لها مصداقاً في زمنه «صلى الله عليه وآله»، فإن هذه القبيلة إنما دخلت في الإسلام في وقت متأخر، ولا يختلف حالها عن حال سائر القبائل من ناحية الثقافة الدينية، والإلتزام بأحكام الشرع الحنيف. ولم يظهر لنا أنه كان في تلك القبيلة آنئذٍ من يمكن وصفه بأنه من الأبدال أو من الأوتاد..

ولو قبلنا وجود أشخاص من هذا القبيل، فإنهم لا يمكن وصفهم بأنهم أوتاد الإسلام.. فإن أحداً منهم لم يصل إلى مقام سلمان، وأبي ذر، وعمار، والمقداد. فإن صح إطلاق وصف أوتاد الإسلام على أحد، فإن هؤلاء الأربعة أولى من همدان وسواها بذلك.. فما معنى أن يترك «صلى الله عليه وآله» هؤلاء ليقرر أن أوتاد الإسلام من همدان؟!..

٢ ـ أما الحديث عن أن أبدال الإسلام منهم، فهو الآخر لا يختلف عن سابقه، وتعارضه روايتهم: أن الأبدال بالشام، في حين أن قبيلة همدان يمانية..

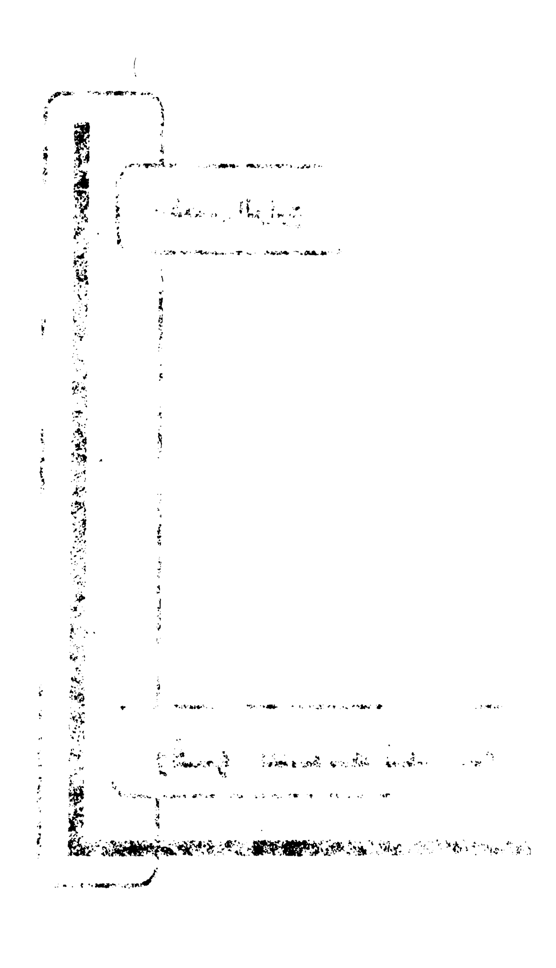
يضاف إلى ذلك: أن أهل البيت «عليهم السلام» لم يذكروا لنا شيئاً عن هؤلاء الأبدال، بل انحصرت الرواية التي تذكرهم بغير أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم. ولو وجدت رواية عنهم، فإنها تبقى على درجة من الشذوذ، بحيث يدور حولها أكثر من سؤال.

٣ ـ وأما السرعة إلى النصر، والصبر على الجهد، فهي صفات قد تتحقق في المؤمن وفي غيره، ولكن اقتران ذلك بقوله: نعم الحي همدان، يفيد أنه «صلى الله عليه وآله» بصدد الثناء عليها، ولكنه ثناء يبقى غير حاسم، فإن الإتصاف ببعض الصفات قد يوجب مدحاً، مثل صفة السخاء والصدق في القول، ولكنه يبقى مدحاً على أمر دنيوي، لا يعطي منزلة في الدين ولا مقاماً عند الله، إلا إذا انطلق من الطاعة له تعالى، والتعبد والتقرب به إليه..



الفصل الرابع:

وفود سنة تسع



وفود مرّة:

وقالوا: قدم وفد بني مرّة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين رجع من تبوك سنة تسع، وهم ثلاثة عشر رجلاً رأسهم الحارث بن عوف، فقالوا: يا رسول الله، إنّا قومك وعشيرتك، ونحن قوم من بني لؤي بن غالب..

فتبسم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم قال: «أين تركت أهلك»؟

قال: بسلاح وما والاها.

قال: «وكيف البلاد»؟

قال: والله، إنهم لمسنتون، فادعُ الله لنا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم اسقنا الغيث».

فأقاموا أياماً ثم أرادوا الإنصراف إلى بلادهم، فجاؤوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» مودعين له، وأمر بلالاً أن يجيزهم، فأجازهم بعشر أواق فضة، وفضّل الحارث بن عوف فأعطاه اثنتي عشرة أوقية، ورجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد أمطرت. فسألوا: متى مطرتم؟ فإذا هو ذلك اليوم الذي دعا فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقدم عليه وهو يتجهز لحجة الوداع قادم منهم، فقال: يا رسول الله،

رجعنا إلى بلادنا فوجدناها مصبوبة مطراً في ذلك اليوم الذي دعوت لنا فيه، ثم قلدتنا أقلاد الزرع في كل خمس عشرة [ليلة] مطرة جوداً، ولقد رأيت الإبل تأكل وهي بروك، وإن غنمنا ما توارى من أبياتنا، فترجع فتقيل في أهلنا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الحمد لله الذي هو صنع ذلك»(١).

وفي نص آخر: أن الحارث بن عوف أتى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: ابعث معي من يدعو إلى دينك وأنا له جار.

فبعث معه رجلاً أنصارياً، ماداًّ به عشيرة الحرث، فقتلوه، فقال حسان:

يا حار من يغدر بذمة جاره ... منكم فإن محمداً لا يغدر

وأمانة المريّ حين لقيتها ... كسر الزجاجة صدعها لا يجبر

إن تغدروا فالغدر من عاداتكم ... واللؤم ينبت في أصول السخبر

فاعتذر، وودى الأنصاري، وقال: يا محمد، إني عائذ بك من لسان حسان، لو أن هذا مزج بماء البحر لمزجه(٢).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٠ عن الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٢ ص٦٣ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص٢١٧ و ٢١٨ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج١٤ ص٣١٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٩٨ وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص١٠٣ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣١١ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٤.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص٢١٨ والأغاني (ط ساسي) ج٤ ص١١ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ترجمة الحارث، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٦ ص١٣٢ـ ١٣٣ والإصابة لابن حجر ج١ ص٦٨٣ والوافي بالوفيات للصفدي ج١١ ص١٩٤ وأنساب الأشراف ج٤ ص٢٢٨.

ونقول:

تحدثنا في مواضع عديدة من مناقشاتنا لما يذكرونه عن سائر الوفود عن عدد من النقاط التي وردت في النص الآنف الذكر، وذلك مثل:

١ ـ إنهم حاولوا التقرب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالنسب، وأنهم قومه وعشيرته، وأنهم من بني لؤى بن غالب..

ويلاحظ: هنا أيضاً أنه «صلى الله عليه وآله» لم يجبهم بشيء، بل اكتفى بالتبسم..

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» سألهم عن حال بلادهم، من حيث الجدب والخصب، ولم يسألهم ولم يحدثهم عن شيء آخر قد يكون له علاقة بالقربى النسبية..

٣ ـ إنهم بعد أن أخبروه بالجدب في بلادهم طلبوا منه أن يدعو لهم، مؤكدين بذلك نظرتهم إلى الأنبياء، وتوقعاتهم منهم..

٤ ـ إن المعجزة قد تحققت، حيث سقاهم الله الغيث في نفس الساعة التي دعا لهم فيها، وقد أدركوا هم أنفسهم ذلك..

ونضيف إلى النقاط المتقدمة ما يلي:

الكرامة صنع إلهي:

إنه «صلى الله عليه وآله» لم ينسب نزول الغيث، وحصول الخصب إلى نفسه، بل قال: «الحمد لله، الذي هو صنع ذلك»، فالحمد ثناء على الله لأجل فعل اختاره سبحانه وتعالى، ليكون بمثابة استجابة لدعائه.. ثم أكد على نفس هذا المعنى وبطريقة تفيد التخصيص والحصر به تعالى، حيث قال:

«هو» صنع ذلك. ولم يقل: «الذي» صنع ذلك.. وذلك لكي لا يدخل في وهم أحد من قاصري النظر أي وهم يؤثر على سلامة اعتقاده، وذهابه بهذا الأمر إلى أكثر مما يجوز فيه..

قتل الدعاة إلى الله:

ولا شك في أن قتل بني مرة لذلك الأنصاري كان في غاية القبح، ومن موجبات أعظم الخزي، فإنهم لم يقتلوا ذلك الرجل لذنب جناه، ولا لدفع ضرر يأتي من ناحيته، حتى ولو بمستوى أن يأكل من طعامهم، ولا طمعاً في ماله، أو بغير ذلك مما يرتبط به.. كما أنهم لم يقتلوه لمجرد التلهي بسفك دمه..

بل قتلوه لأنه يريد أن يعلمهم لكي يخرجهم من الظلمات إلى النور، وينيلهم السعادة في الدنيا، والفوز بجنات الله في الآخرة. ولأنه يحمل إليهم رسالة الله، ويرشدهم إلى الحق والخير، ويدعوهم إلى الهدى.. فكان جزاؤه منهم أقبح وأخزى مما جوزي به سنمار..

وقد أدرك الحارث بن عوف هذه الحقيقة، وأن شعر حسان بن ثابت من شأنه أن يفضح بني مرة في العرب، ويكون له عليهم أوخم العواقب، لا سيما وأن فعلتهم هذه قد جاءت في وقت انتصار الإسلام وانتشاره، وقوته، وظهور بخوع العرب له، والتزامهم به، وهم يرون ثمرات إسلامهم أمناً ورفعة شأن، وصلاح أمور، ونشوء حضارة، وتخلصاً من كثير من المشاكل..

وإذا أصبحت فعلتهم هذه على ألسنة الشعراء، فتلك هي المصيبة العظمى، والداء الذي لا دواء له، ولذلك طلب الحارث من النبي «صلى

الله عليه وآله» أن يكف عنه لسان حسان، فأجابه إلى ما طلب، رحمة ورأفة، وحسن تقدير، وصحة تدبير..

وفود فزارة:

روى ابن سعد، والبيهقي عن أبي وجزة يزيد بن عبيد السعدي قال: لما رجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من تبوك، وكانت سنة تسع، قدم عليه وفد بني فزارة، بضعة عشر رجلاً، فيهم خارجة بن حصن، والحر بن قيس بن حصن، وهو أصغرهم ـ وهم مسنتون ـ على ركاب عجاف، فجاؤوا مقرين بالإسلام. فنزلوا دار رملة بنت الحدث. وسألهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن بلادهم.

فقال أحدهم: يا رسول الله، أسنتت بلادنا، وهلكت مواشينا، وأجدب جنابنا، وغرث عيالنا، فادع لنا ربك يغيثنا، واشفع لنا إلى ربك، وليشفع لنا ربك إليك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «سبحان الله، ويلك، هذا أنا أشفع إلى ربي عز وجل، فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه؟

لا إله إلا هو العلي العظيم، وسع كرسيه السماوات والأرض، فهي تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٩٤ و ٣٩٥ عن: دلائل النبوة للبيهقي ج٦ ص١٤٣ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٢ ص٩٢ والبداية والنهاية ج٦ ص١٠٠ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص٢٠٦ و ٢١١ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٥ ص١٢٩ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٠٥ =

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن الله عز وجل ليضحك من شففكم، وأزلكم، وقرب غياثكم».

فقال الأعرابي: يا رسول الله، ويضحك ربنا عز وجل؟

فقال: «نعم».

فقال الأعرابي: لن نعدمك من رب يضحك خيراً[1].

فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» من قوله، وصعد المنبر، فتكلم بكلمات، وكان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الإستسقاء. فرفع يديه حتى رُئي بياض إبطيه.

وكان مما حفظ من دعائه: «اللهم اسق بلادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، هنيئاً مريئاً، طبقاً واسعاً، عاجلاً غير آجل، نافعاً غير ضار، اللهم اسقنا رحمة ولا تسقنا عذاباً، ولا هدماً، ولا غرقاً، ولا محقاً، اللهم اسقنا الغيث، وانصرنا على الأعداء».

فقام أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، فقال: يا رسول الله، التمر في المربد.

وفي لفظ: المرابد.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم اسقنا».

= وزاد المعاد لإبن قيم الجوزية ج٣ ص٥٦٩. وراجع: الدر المنثور ج١ ص٣٢٩ وراجع ص٣٢٤ و ٣٢٥ عن أبي الشيخ.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٩٤ و ٣٩٥ وراجع ج٩ ص ٤٤٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج٦ ص٣١٥ وزاد المعاد لإبن قيم الجوزية ج ٣ ص ٥٦٩ والبداية والنهاية ج٦ ص١٠٠.

فعاد أبو لبابة لقوله، وعاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لدعائه.

فعاد أبو لبابة أيضاً، فقال: التمر في المربد يا رسول الله.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم اسقنا، حتى يقوم أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره»[1].

قالوا: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت.

قال: فلا والله، ما رأينا الشمس سبتاً.

وقام أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره، لئلا يخرج التمر منه.

فجاء ذلك الرجل أو غيره، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل.

فصعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» المنبر فدعا، ورفع يديه حتى رُئي بياض إبطيه، ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر، فانجابت السحابة عن المدينة

---

(١) الثاقب في المناقب للطوسي ص٩٠، والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٣٥٤، ودلائل النبوة للأصبهاني ج٢ ص٧٦٠، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٣ ص٢٠٠، وأسد الغابة ج٥ ص٢٨٥، والبداية والنهاية لابن كثير ج٦ ص١٠٠، وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٥ ص١٣٠، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٠٦، وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٩٤ وج٩ ص٤٤٢، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٦٨، وغريب الحديث لابن سلام ج٣ ص٩٦، ولسان العرب ج١ ص٢٣٨، وتاج العروس ج١ ص٣٣٤.

انجياب الثوب»[1].

ونقول:

إن هذا النص قد تضمن أموراً أشرنا إليها في العديد من الموارد ومع ذلك نشير إلى ما يلي:

ويضحك ربنا:

قد ذكرت الرواية المتقدمة: أن الله تبارك وتعالى يضحك، وقد تعجب الأعرابي من ذلك، حيث وجد فيه ما يصادم فطرته ويناقض حكم عقله..

وقد تحدثنا حين ذكر وفود أبي رزين عن هذا الموضوع، وبيّنا: أنه من دسائس أهل الكتاب القائلين بالتجسيم الإلهي، وكانوا مهتمين بإشاعة عقائدهم بين المسلمين، وكان كثير من المسلمين مبهورين بهم، آخذين عنهم، وقد تكلم عن هذا الموضوع أيضاً الشيخ محمود أبي ريَّا في كتابه: «أضواء على السنة المحمدية». وكتاب «شيخ المضيرة (أبو هريرة)». فلابأس بمراجعة ما قال.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٩٤ و ٣٩٥ إمتاع الأسماع للمقريزي ج٥ ص١٣٠، والمجموع للنووي ج٥ ص٩٦، وفتح الوهاب للأنصاري ج١ ص١٥٣، والمغني لابن قدامه ج٢ ص٢٩٨، والشرح الكبير لابن قدامه ج٢ ص٢٩٨، ونيل الأوطار للشوكاني ج٤ ص٤٠، وبدائع الصنائع للكاشاني ج١ ص٢٨٣، وسبل السلام للكحلاني ج٢ ص٨١، ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج١ ص٨٣.

سؤال النبي ﷺ عن حال بلاد فزارة:

وقد لاحظنا هنا أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد سأل وفد فزارة عن حال بلادهم، فأخبروه بمعاناتهم، وطلبوا منه أن يدعو لهم الله ليغيثهم، ويشفع لهم عند ربهم.

فدعا «صلى الله عليه وآله»، فنزل الغيث، حتى شكوا ذلك إليه، فقال «صلى الله عليه وآله»: «اللهم حوالينا ولا علينا الخ..» فانجابت السحابة عن المدينة انجياب الثوب..

ولسنا بحاجة إلى إعادة ما قلناه: من أن ذلك يدل على: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يعرفهم معنى النبوة، ويفهمهم أنه معني بقضاياهم، فهو ليس مجرد رسول يبلغهم ما جاء به، وينتهي الأمر عند هذا الحد..

كما أن ذلك الوفد قد عبر عن إيمانه بأن الأنبياء يشفعون عند الله.. وطلبوا منه «صلى الله عليه وآله» أن يطلب من ربه أن يتولى حل مشكلاتهم..

فاستجاب «صلى الله عليه وآله» لمطلبهم.

أين نزل المطر؟!:

لقد صرحت الرواية: بأن سحابة قد جاءت من جهة سلع، مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت. مما يعني: أن المطر قد نزل في المدينة، مع أن المحتاجين إلى المطر هم بنو فزارة، وإنما يسكنون بين

خيبر وفدك، ومنطقة جنفا هي أحد مياههم هناك[1].

ليشفع ربك إليك:

ذكرت الرواية المتقدمة: أنهم قالوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «واشفع لنا إلى ربك، وليشفع لنا ربنا إليك».

فاستنكر «صلى الله عليه وآله» قولهم هذا، قائلاً: «فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه، لا إله إلا هو العلي العظيم، وسع كرسيه السماوات والأرض، فهي تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد..».

ونقول:

إننا لا نرتاب في: أن هذا النص مكذوب على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأن قولهم هذا ليس فيه أي اشكال. إذا كانوا يرون: أنهم قد أذنبوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بتكذيبهم إياه، وممالأتهم عدوه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٦٩، والمجموع للنووي ج٥ ص٩٦، والمغني لابن قدامه ج٢ ص٢٩٧، والشرح الكبير لابن قدامه ج٢ ص٢٩٧، وسبل السلام للكحلاني ج٢ ص٨١، ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج١ ص٨٢، وصحيح البخاري ج٢ ص١٦، وصحيح مسلم ج٣ ص٢٤، وسنن النسائي ج٣ ص١٦٢، والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٣٥٥، وفتح الباري ج٢ ص٤١٩، وعمدة القاري للعيني ج٧ ص٣٨، والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٥٦٠، وصحيح ابن خزيمة ج٣ ص١٤٥، وشرح معاني الآثار ج١ ص٣٢٢، وكتاب الدعاء للطبراني ص٢٩٧، والأذكار النووية ص١٨٣، ونصب الراية للزيلعي ج٢ ص٢٨٣، والبداية والنهاية ج٦ ص٩٦ و١٠٠ و٣١١، وإمتاع الأسماع ج٥ ص١٢٠.

عليه، فشعروا أنهم بحاجة إلى من يشفع لهم عنده. وهذا نظير من يقسم على غيره بالله أو برسول الله، لكي يعفو عن إساءته أو ليقضي حاجته.. أو يجعل الله شافعاً له عنده، ووسيلة إليه من أجل ذلك..

ويكفي أن يكون هذا المعنى من محتملات كلامهم هذا، فما معنى أن يواجههم النبي «صلى الله عليه وآله» بالملامة والتقريع بهذه الصورة؟!

ألا يدل ذلك على: أن نسبة هذا الأمر له «صلى الله عليه وآله» غير صحيحة؟!

إعتراض أبي لبابة على الله ورسوله:

ويواجهنا في النص المتقدم: إصرار أبي لبابة على الإعتراض ثلاث مرات على رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهذا ما لا يمكن قبوله من صحابي مؤمنٍ بنبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبعصمته، وحكمته، وبأنه: ﴿**مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾[1].

فما معنى: أن يراجِعَ رسول الله «صلى الله عليه وآله» عدة مرات، ولماذا لا يرضى بما يرضاه الله ورسوله؟!

عري أبي لبابة:

ثم ما معنى قول الرواية: فقال «صلى الله عليه وآله»: «اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عرياناً، يسد ثعلب مربده». فكان كما قال.. حيث قام عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره؟! إذ متى تعرّى أبو لبابة.. حتى اضطر إلى

---

(١) الآية ٣ من سورة النجم.

القيام عرياناً؟! فإن الوقت كان قصيراً جداً..

فإن السحاب قد لبّى الطلب، وبدأ هطول الأمطار مباشرة.. إلا إن كان أبو لبابة قد حضر بين ذلك الجمع، وهو عريان!!

وألم يسمع أبو لبابة كلام النبي «صلى الله عليه وآله» وحديثه عن عريه؟! فلماذا لم يحتط لنفسه، ويبقى لابساً ثيابه؟!

إلا أن يكون غير مؤمن بأن الله سوف يستجيب دعاء نبيه الكريم «صلى الله عليه وآله».

ولو أنه لم يكن مصدقاً بذلك، فلماذا اعترض على النبي «صلى الله عليه وآله» ثلاث مرات؟!

اللهم حوالينا.. لا علينا:

وحول دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» بقوله: «اللهم حوالينا، ولا علينا. اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية ومنابت الشجر»، فانجابت السحابة الخ.. نقول:

إن ذلك يشير إلى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يمارس التصرف في أمور ترتبط بالظواهر الكونية العامة، فيطلب الناس منه المطر، فيلبي طلبهم، ويأتيهم به، ثم يطلبون منه الصحو في مكان، وحصر المطر في غيره، فيلبي طلبهم أيضاً..

ولم يقل لمن كانوا يطلبون منه هذه التصرفات: إن هذا ليس من صلاحياتي، بل أنا مجرد رسول، ومعلم للشريعة، ومربٍّ، وسياسي، ومصلح اجتماعي، وقاضي، وقائد جيوش، أو نحو ذلك..

كما أن الناس كانوا على اختلاف أذواقهم، ومشاربهم، وثقافاتهم، ومواضع سكناهم، وطبقاتهم الإجتماعية، يرون: أن هذا الذي يطلبونه منه «صلى الله عليه وآله» هو من حقهم وأن المفروض بالنبي «صلى الله عليه وآله» أن يلبي طلبهم..

كان لا يرفع يديه في الدعاء:

زعم النص المتقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الإستسقاء. ومثله في الصحيحين من حديث أنس[1].

ولكن ذلك غير دقيق، فقد قال الزرقاني: إن العسقلاني قال: هو معارض بالأحاديث الثابتة بالرفع (أي برفع اليدين) في غير الإستسقاء.

وفي سبل السلام: أن المراد به المبالغة في الرفع وأنه لم يقع إلا في الإستسقاء[2].

وقد تقدم: أنها كثيرة، وأفردها البخاري بترجمته في كتاب الدعوات، وساق فيه عدة أحاديث..

فذهب بعضهم إلى أن العمل بها أولى. وحمل حديث أنس على نفي رؤيته. وذلك لا يستلزم نفي رؤية غيره..

وذهب آخرون إلى تأويل حديث أنس لأجل الجمع، بحمله على نفي

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص٢٠٩، وعمدة القاري ج٧ ص٥٢ وج١٦ ص١١٤، والدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر ج١ ص١٥٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢٠ ص٤٣٣، وسنن الدارمي ج١ ص٣٦١.

(٢) سبل السلام ج٤ ص٢١٩.

الرفع البالغ إلا في الإستسقاء، ويدل عليه قوله: حتى رؤي الخ..

ويؤيده: أن غالب الأحاديث الواردة في رفع اليدين في الدعاء: المراد به مدّ اليدين وبسطها عند الدعاء. وكأنه عند الإستسقاء زاد، فرفعهما إلى جهة وجهه حتى حاذتاه، وبه حينئذٍ يرى بياض أبطيه.

أو على صفة اليدين في ذلك، لما في مسلم عن أنس: أنه «صلى الله عليه وآله» استسقى، فأشار بظهر كفه إلى السماء..

ولأبي داود عن أنس: كان يستسقي هكذا، ومد يديه، وجعل بطونها مما يلي الأرض حتى رأيت بياض إبطيه..

قال النووي: قال العلماء: السُّنَّة في كل دعاء لرفع بلاء: أن يرفع يديه جاعلاً ظهور كفيه إلى السماء، وإذا دعا بسؤال شيء وتحصيله أن يجعل كفيه إلى السماء الخ..

وتعقب الحمل الثاني: بأنه يقتضي أنه يفعل ذلك، وإن كان استسقاؤه للطلب كما هنا، مع أنه نفسه ذكر: أن ما كان لطلب شيء كان ببطون الكفين إلى السماء..

والظاهر: أن مستند هذا استقراء حاله «صلى الله عليه وآله» في دعاء الإستسقاء وغيره[1]..

ونقول:

إن خير كلمة نقولها هي:

إننا لم نزل نسمع: أن الفاخوري يضع أذن الجرَّة في المكان وبالكيفية

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص٢١٠.

التي تروق له.. ولكن الفاخوري ـ وهو الزرقاني هنا ـ قد عجز عن الإمساك بالجرَّة وبأذنها، لأن مرض الرعاش قد أسقطها من يده فتحطمتا بمجرد محاولته الإمساك بها، فلم يعد هناك من جرَّة تحتاج إلى أذن.. ولا تجد بعد أذناً لتبحث لها عن جرَّة..

وخلاصة القول: إن ما ذكره الزرقاني من وجوه جمع وتأويلات وافتراضات لا يسمن ولا يغني من جوع.. بل هو مضر جداً، لأنه يفسح المجال أمام أهل الأهواء ليتلاعبوا بالنصوص، من دون أي وازع أو رادع، لأن هذه التأويلات والوجوه التي ذكرها، ما هي إلا افتراضات واحتمالات لا شاهد لها، ولا تستطيع ألفاظ الحديث أن تدل أو أن تشير إلى شيء منها..

فإذا جاز التعلق بمثل هذه الإفتراضات والتأويلات، فسيكون بالإمكان تحريم الحلال وتحليل الحرام، وقلب الأمور رأساً على عقب في مختلف المواضع، إذ لا يعقل أن تكون باء هؤلاء تجرّ، وباء غيرهم لا تجرّ، فإن الباء باء أينما كانت، وحيثما وجدت.

فإذا قيل: كان «صلى الله عليه وآله» لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الإستسقاء.. فلا يمكن تفسير هذا بأنه كان لا يرفع يديه رفعاً بالغاً.

كما لا يصح القول: بأن المراد أن المتكلم لم يره يفعل ذلك..

كما أنه لا يدل على ذلك كون المراد برفع اليدين مدهما وبسطهما في غالب أحاديث رفع اليدين.. إذ من الذي قال: إن المراد بالرفع في تلك الأحاديث هو: المد والبسط، فإن الرفع يصدق على هذا المستوى من الرفع، وعلى غيره، فما الذي أوجب تعيُّن هذه المرتبة من الرفع دون سواها..

وأما حمل رفع اليدين في الإستسقاء على إرادة الإشارة بظهر كفية إلى

السماء، وجعل بطونهما إلى الأرض فهو لا يحل المشكلة، فإن رفع اليدين الذي أثبته أو نفاه يصدق على كل رفع لهما سواء أكانت بطون الكفين حال الرفع إلى جهة السماء، أو إلى جهة الأرض، فالرفع منفي في هذه الرواية بجميع أشكاله ومثبت في غيرها.. وليس في المنفي والمثبت إشارة إلى خصوصية في هذا أو في ذاك..

وفود بني كلاب:

عن خارجة بن عبد الله بن كعب قال: قدم وفد بني كلاب في سنة تسع على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم ثلاثة عشر رجلاً فيهم لبيد بن ربيعة، وجبّار بن سلمى، فأنزلهم دار رملة بنت الحدث، وكان بين جبار وكعب بن مالك خُلة، فبلغ كعباً قدومهم فرحب بهم، وأهدى لجبار وأكرمه، وخرجوا مع كعب، فدخلوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسلموا عليه بسلام الإسلام، وقالوا: إن الضحاك بن سفيان سار فينا بكتاب الله وبسنتك التي أمرت بها، وإنه دعانا إلى الله، فاستجبنا لله ولرسوله، وإنه أخذ الصدقة من أغنيائنا، فردها على فقرائنا[1].

ونقول:

١ ـ إن هذا الوفد قد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بسيرة الضحاك في بني كلاب، إذ إن النبي «صلى الله عليه وآله» لما رجع من الجعرانة بعثه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٠١ عن ابن سعد في الصبقات الكبرى (ط ليدن) ج٢ ص٦٤.

على بني كلاب يجمع صدقاتهم»[1].

وروي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب إليه أن ورِّث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها»[2].

وقال ابن سعد: كان ينزل نجداً في موالي ضرية، وكان والياً على من أسلم هناك من قومه»[3].

وبعثه «صلى الله عليه وآله» أيضاً عيناً إلى قومه يتجسس أخبارهم»[4].

ولعله ولاه على من أسلم، وجعله عيناً على من لم يسلم، ليخبره بكل تحركاتهم التي تعني المسلمين بنحو أو بآخر.

٢ ـ إن ما قاله الوفد لرسول الله «صلى الله عليه وآله» يؤيد أن الضحاك لم يكن مجرد جامع للصدقات بل هو كان يتولى أمورهم، ويسير فيهم بكتاب الله، وسنة نبيه، وكان يدعو الناس إلى الإسلام، وقد استجاب له فريق من قومه، ومنهم الوفد الذي نتحدث عنه.

---

(١) الإصابة ج٢ ص٢٠٦.

(٢) الإصابة ج٢ ص٢٠٦، والمجموع للنووي ج١٨ ص٤٣٧، والمبسوط للسرخسي ج١٠ ص١٦٦، والمغني لابن قدامه ج١١ ص٤٥٧، وسنن ابن ماجة ج٢ ص٨٨٣، وسنن الترمذي ج٣ ص٢٨٨، والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٣٧٣، والآحاد والمثاني ج٣ ص١٦٦، والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص٧٨، والمعجم الكبير للطبراني ج٨ ص٣٠٠، والإستذكار لابن عبد البر ج٨ ص١٣٣، والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص٧، وأسد الغابة ج١ ص٩٩.

(٣) الإصابة ج٢ ص٢٠٦.

(٤) النهاية لابن الأثير.

٣ ـ إن مبادرة الوفد لإعلام النبي «صلى الله عليه وآله» بهذا الأمر يشير إلى رضاهم وسعادتهم به، وأنهم يشعرون بقيمة الإلتزام بأحكام الكتاب، وسنة الرسول «صلى الله عليه وآله» وما إلى ذلك لأنهم عاينوا عن قرب الفرق الشاسع بين ما كانوا عليه وما صاروا إليه.. فهم يتحسسون لذة هذا الواقع الجديد، وهم مشدودون إليه بكل وجودهم..

وفود الداريين:

قالوا: قدم وفد الداريين على رسول الله «صلى الله عليه وآله» منصرفه من تبوك، وهم عشرة نفر، منهم: تميم، ونُعيم ابنا أوس، ويزيد بن قيس بن خارجة، والفاكه بن النعمان بن جَبَلَة، وأبو هند، والطيب ابنا ذر، وهو عبد الله بن رزين، وهانئ بن حبيب، وعزيز ومرة ابنا مالك بن سواد بن جَذِيْمَة. فأسلموا، وسمى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الطيب: عبد الله، وسمى عزيزاً: عبد الرحمن.

وأهدى هانئ بن حبيب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أفراساً وقباء مخوصاً بالذهب، فقبل الأفراس والقباء، [وأعطاه العباس بن عبد المطلب]، فقال: «ما أصنع به»؟

قال: انتزع الذهب، فتحلّيه نساءك، أو تستنفقه، ثم تبيع الديباج فتأخذ ثمنه.

فباعه العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف درهم.

وقال تميم: لنا جيرة من الروم، لهم قريتان يقال لإحداهما: حِبْرَى، والأخرى: بيت عينون، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي.

قال: «فهما لك». فلما قام أبو بكر أعطاه ذلك، وكتب له به كتاباً[١].

وأقام وفد الداريين حتى توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأوصى لهم بجادّ (وهو النخل الذي يجد. أي تقطع ثمرته) مائة وسق أي من خيبر[٢].

ونقول:

لماذا تغيير الأسماء؟!:

ذكرت الرواية المتقدمة: أنه «صلى الله عليه وآله» قد غير اسم الطيب إلى عبد الله، وسمى عزيزاً عبد الرحمن، ونحن نشك في ذلك، إذ:

١ ـ لماذا لم يغير اسم مرة أيضاً، مع أن المروي عنه «صلى الله عليه وآله» أن أقبح الأسماء حرب ومرة، وفي نص آخر: شر الأسماء: ضرار، ومرة، وحرب، وظالم[٣].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٣٤ عن الطبقات الكبرى ج٢ ص١٠٧ وفي (ط دار صادر) ج١ ص٣٤٤ وراجع: الإصابة ج٣ ص٥٦٦ و ٥٦١، وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٦٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٣٤ وأسد الغابة ج٥ ص١١٨ والطبقات الكبرى (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٧٥ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٩٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٦٧ و٣٦٨، ونيل الأوطار ج٥ ص٣٧ وج٦ ص١٤٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٢٦٦ وفتح الباري ج٥ ص٢٦٩ وإمتاع الأسماع ج٩ ص٢٨٣ وج١٤ ص٤٨٤ وراجع: الإصابة ج٦ ص٥٢٦.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٣٠٦ وسنن أبي داود ج٢ ص٣٠٧ والإستيعاب ترجمة أبي وهب ج٤ ص١٧٧٥ وزاد المعاد لابن القيم ج١ ص٢٥٨ و ٢٦٠ والبحار ج١٠١ ص١٢٧ والخصال ج١ ص١٧١ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٥ ص١٣١.

وروي: أن أبا مرة هي كنية إبليس[1].

٢ ـ إننا نلاحظ: أن أكثر الموارد التي زعموا أنه «صلى الله عليه وآله» قد غيّر فيها الأسماء، كان الاسم الذي اختاره فيها هو «عبد الرحمن»، ولا ندري سر التركيز على هذا الاسم دون سواه، فهل هذا من التسويق السياسي لاسم بعينه أحبه الرواة، لأجل قيامه بعمل كبير أثلج صدورهم؟!

ككونه قتل غدراً إماماً يعتبرونه عدواً لهم كان يصلي في مسجد الكوفة، ولم يكونوا قادرين على الجهر بحب هذا القاتل إلا بهذه الطريقة؟!

٣ ـ لماذا غيّر «صلى الله عليه وآله» اسم الطيب؟ هل كان هذا من الاسماء القبيحة التي كان يغيرها؟[2]. أليس هذا من الأسماء الحسنة التي ورد الحث على التسمية بها؟![3]. وألم يكن للنبي «صلى الله عليه وآله» ولد

---

(١) تاج العروس ج٢ ص٥٣٩ ولسان العرب ج٧ ص١٨ وقاموس اللغة ج٢ ص١٣٣ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٥ ص١٣١ عن الكافي (الفروع) ج٢ ص٨٧، والغدير ج٦ ص٣١٣.

(٢) البحار ج٢٣ ص١٢٢ وج١٠١ ص١٢٧ وقرب الإسناد ص٤٥ (ط حجرية) والوسائل ج١٥ ص١٢٤ عنه أيضاً.

(٣) سنن أبي داود ج٢ ص٣٠٧ وسنن البيهقي ج٩ ص٣٠٦ ومصابيح السنة ج٢ ص١٤٨ ومجمع الزوائد ج٨ ص٤٧ وزاد المعاد لابن القيم ج١ ص٢٥٨ والبحار ج١٠١ ص١٣١ وعدة الداعي ص٦٠ ومكارم الأخلاق ص٢٢٠ والجعفريات ص١٨٩ وفقه الرضا ص٣١ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص١٢٧ و١٢٨ و١٣٢ وعن لب اللباب للراوندي، والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٥ ص١٢٢ و١٢٣ و١٢٤ وفي هامشه عن: الكافي ج٢ ص٨٦ و٨٧ وعن التهذيب للشيخ الطوسي ج٢ ص٢٣٦ وعن من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٤١.

اسمه الطيب؟![1]. وقد ولد له «صلى الله عليه وآله» بعد البعثة.

تاريخ وفادة الداريين:

زعموا: أن الداريين وفدوا على النبي «صلى الله عليه وآله» قبل الهجرة، فقد ذكروا: أن تميم الداري وأخاه نُعيم الداري وأربعة آخرين وفدوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل الهجرة، وطلبوا منه «صلى الله عليه وآله» أن يعطيهم أرضاً من أرض الشام، فتشاوروا فيما بينهم فسألوه بيت جيرون وكورتها، فكتب لهم بها.

ثم قال: انصرفوا حتى تسمعوا أني هاجرت[2].

ونقول:

إن هذه الرواية تتناقض مع ما قدمناه، لأن هذه الرواية تقتضي أن الداريين أسلموا قبل الهجرة، مع أن ما قدمناه يتضمن التصريح بأنهم قد أسلموا سنة تسع.

---

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص٣٠٧ وراجع: إعلام الورى (ط دار المعرفة) ص١٤٦ وعيون الأثر (ط دار الحضارة) ج٢ ص٣٦٣ و ٣٦٤ والبدء والتاريخ ج٤ ص١٣٩ وج٥ ص١٦ عن كتاب ابن إسحاق، والإستيعاب ج٤ ص١٨١٨، و تفسير القرطبي ج١٤ ص٢٤٣.

(٢) راجع: مكاتيب الرسول ج٣ ص٥١٧ و ٥١٨ عن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٠ وعن السيرة النبوية لدحلان ج٣ ص٧ وصبح الأعشى ج١٣ ص١٢٥ والتراتيب الإدارية ج٢ ص١٤٤ وكنز العمال ج٣ ص٥٢٧ وعن ابن عساكر ج٣ ص٣٥٥.

ولو قبلنا أن الداريين قد وفدوا إليه «صلى الله عليه وآله» مرتين، فالسؤال هنا هو: لماذا تأخرت وفادتهم الثانية إلى سنة تسع بعد الهجرة، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لهم: «انصرفوا حتى تسمعوا أني هاجرت».

فهل هم لم يسمعوا بهجرته طيلة هذه السنين؟! أو أنهم سمعوا بها وتهاملوا في تنفيذ أمر النبي «صلى الله عليه وآله»؟! أو أنهم نسوا هذا الأمر، ثم تذكروه بعد كل هذه السنين، وما هو الشاهد على أي من هذه الإحتمالات أو غيرها؟! نقول هذا، لأننا نستبعد أن يفدوا إليه «صلى الله عليه وآله» وهو في مكة. ولو أنهم فعلوا ذلك لوجدت المشركين يتحلقون حولهم، ويضايقونهم ويؤذونهم، ولكان ذلك قد تناقلته الرواة على نطاق واسع.

إقطاع قريتين لتميم:

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن إقطاع قريتين معمورتين، ولهما أهل لتميم ولمن معه ليس بالأمر الذي يمكن قبوله بعفوية وسذاجة، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: لأن الإقطاع إنما كان للأرض الموات ونحوها مما هجره أهله، إذ لا معنى لإعطاء قريتين لهما غلة حاضرة، ونفع ظاهر لرجل واحد، وحرمان سائر المسلمين منهما، فكيف إذا كان ذلك قبل أن تفتح تلك البلاد، وقبل أن يأخذها المسلمون.

ثانياً: من الذي يضمن أن تصبح هاتان القريتان في قبضة المسلمين بحيث يصح منحهما لهذا أو ذاك، إذ لعل أهلها يسلمون عليها، وتبقى لهم وفي يدهم.

ثالثاً: إن النص المتقدم يقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أعطى بيت عينون، وحبرى أو جيرون لتميم الداري[١]. ونص الكتاب في بعض صيغة يقتصر على ذكر تميم أيضاً[٢].

مع أن ثمة نصوصاً لكتاب النبي «صلى الله عليه وآله» بإعطائهم تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطى القريتين للداريين[٣].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٤٤ و٢٦٧ وج٧ ص٤٠٨، وراجع: مكاتيب الرسول ج٣ ص٥٠٧ نقلاً عن: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٣ ص٢٥٨، وأسد الغابة (ترجمة تميم الداري)، وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٦٣، وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٤٤٣، وفتوح البلدان للبلاذري ج١ ص١٥٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٦١٢، وتاج العروس ج٦ ص٢٣٥.

(٢) راجع: مكاتيب الرسول ج٣ ص٥١٠ و ٥١١ عن صبح الأعشى ج١٣ ص١٢٨.

(٣) مكاتيب الرسول ج٣ ص٥٠٥، وقد ذكر أيضاً المصادر التالية: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٠ والسيرة النبوية لزيني دحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٧ والمناقب لابن شهرآشوب (ط حجري) ج١ ص٧٦ وفي (ط قم) ج١ ص١١٢ وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٧١ و ٧٢ وصبح الأعشى ج١٣ ص١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ والمواهب اللدنية شرح الزرقاني ج٣ ص٣٥٨ وكنز العمال ج٢ ص١٩٠ وج١٤ ص٣٢٢ و ٣٢٣ وفي (ط أخرى) ج٣ ص٥٢٧ و ٦٩ وج٥ ص٣١٨ ورسالات نبوية ص١٢٦ والمعجم الكبير للطبراني ج٢ ص٤٧ والبحار ج١٨ ص١٣٥ (عن المناقب) ومآثر الأنافة ج٣ ص٢١٠ و ٢١١ و ٢١٢ والتراتيب الإدارية ج١ ص١٤٣ و ١٤٤ و ١٥٢ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣٦٦ ومجموعة الوثائق السياسية ص١٢٩/ ٤٣ و ١٣٠/ ٤٤ عن المواهب اللدنية ج١ ص٢٩٦ وعن دحلان، ورسالات نبوية، والضوء الساري لمعرفة =

رابعاً: لعل البلد يفتح عنوة وبسيوف المسلمين، فلا يكون حكمه حكم ما أفاء الله على رسوله «صلى الله عليه وآله» من دون أن يوجف عليه بخيل ولا ركاب، بل لا بد من أن يستفيد منه المسلمون الفاتحون أيضاً..

خامساً: قد لاحظنا: أن بعض نصوص الكتاب الذي زعموا أنه «صلى الله عليه وآله» كتبه للداريين يتضمن أخطاءً في النحو، لا يمكن أن تصدر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كقوله: إني أنطيكم بيت عينون، وجيرون، والمرطوم، وبيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام برمتهم، وجميع ما فيهم.. مع أن الصحيح هو أن يقول: «برمتها وجميع ما فيها»[1].

= خبر تميم الداري للمقريزي ورقة ٨٨ ـ ب (مخطوطة باريس) وورقة ٩٠ والسيرة الحلبية، ثم قال: قابل الإصابة (إلى أبي هند الداري)، والتمهيد لتقي الدين السبكي، وبحث إقطاع النبي «صلى الله عليه وآله» لتميم الداري. والأموال لأبي عبيد ص٣٨٨ و ٣٨٩ وفتوح البلدان ص١٧٦ ومجمع الزوائد ج٦ ص٨ والفضل العميم في إقطاع بني تميم للسيوطي خطية في مدارس بالهند وفي مصر، والجمهرة لابن حزم ص٤٢٢ والإشتقاق لابن دريد ص٣٧٧. ومعجم البلدان ج٢ ص٢١٢ و ٢١٣ في «حبرون» والخراج لأبي يوسف ص٢٣٤ والأموال لابن زنجويه ج٢ ص٦١٧ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج٣ ص٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ وإعلام السائلين ص٥٠ وجامع مسانيد الإمام الأعظم ج١ ص٥٣ ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٥٦ والأعلام للزركلي ج٢ ص٨٧ وراجع أسد الغابة ج٤ ص٣١٩. وج١ ص٢١٥ وج٣ ص٦٩ وج٥ ص٣١٨ وعن الخرائج لأبي يوسف ص١٣٢ ومجموعة المكتوبات النبوية للديبلي ص٨ والطبقات الكبرى لابن سعدج١ ق٢ ص٧٥ و ٢١ و ٢٢ وج٧ ق٢ ص١٢٩.

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص٥٠٩.

سادساً: هناك اختلافات كبيرة بين نصوص الكتاب، فمثلاً تارة يقول: إنه لتميم، وأخرى: أنه له ولذريته، وثالثة يقول: هو لتميم وإخوته، ورابعة: للدارين الخ..

وتارة يقول: إن الكاتب هو شرحبيل بن حسنة.

وأخرى يقول: هو معاوية.

وثالثة يقول: هو علي «عليه السلام»..

وتارة يقول: إنه كتب الكتاب لتميم.

وأخرى: إنه كتبه لنعيم بن أوس الداري[1].

وسائر الإختلافات بين نصوص الكتاب تعرف بالمراجعة والمقارنة..

سابعاً: قد ذكر في الشهود اسم عتيق بن أبي قحافة.

فإن كان هذا إشارة إلى ما زعموه من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد لقبه بذلك لكونه عتيقاً من النار، فنقول فيه:

لو سلمنا بأن إثبات هذه الفضيلة ممكن، فإنه لا يستحسن من الإنسان أن يوقع على الوثائق بما فيه مدح وثناء على نفسه.

وإن كان قد أطلق عليه لعتاقة وجه أبي بكر وجماله، فقد قدمنا في هذا الكتاب: أن أبا بكر لم يكن له حظ من شيء من الجمال، مهما كان ضئيلاً، بل كان على عكس ذلك تماماً..

ثامناً: هذا كله عدا عن أن في جملة الشهود المذكورين الخلفاء الأربعة، وقد وردت أسماؤهم مرتبة حسب توليهم للخلافة، وهو أمر يوجب

---

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج٣ ص٥١٦ و ٥١٧.

الريب بلا شك.

تاسعاً: إن بعض نصوص الكتاب قد صرحت: بأن من آذى الداريين فقد آذى الله، وهذا معناه: أنهم قد بلغوا درجة العصمة. لأن غير المعصوم قد يؤذي، لأجل منعه من ارتكاب المعاصي، أو لأجل أخذ الحق منه..

فإن كان يحرم إيذاؤه مطلقاً، فإما أن يكون الحق أصبح باطلاً، والطاعة معصية، أو أن الله تعالى يرضى بالباطل وبالمعصية ويحبهما والعياذ بالله.

عاشراً: قد ذكرت بعض نصوص الكتاب: قوله ونفذت وسلمت ذلك لهم، ولأعقابهم، فكيف نفذ ذلك وسلمها للداريين، والحال أن تلك القرى كانت لا تزال بيد أهلها.

وفود طيء مع زيد الخيل:

وفي سنة تسع جاء وفد طيء[1].

وكانوا: خمسة عشر رجلاً، رأسهم وسيدهم زيد الخيل بن مهلهل من بني نبهان، وفيهم وزر بن جابر بن سدوس، وقبيصة بن الأسود بن عامر من جرم طيء، ومالك بن عبد الله بن خيبري من بني معن، وقعين بن خليف من جديلة، ورجل من بني بولان.

فدخلوا المدينة، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسجد، فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد، ثم دخلوا، فدنوا من رسول الله «صلى الله عليه وآله»،

---

(١) راجع: الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٥٦٣ والإصابة ج١ ص٥٧٢ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٥٧، وعمدة القاري ج١٨ ص٨، والإستيعاب ج٢ ص٥٥٩.

فعرض عليهم الإسلام، فأسلموا وحسن إسلامهم، وأجازهم بخمس أواق فضة كل رجل منهم، وأعطى زيد الخيل اثنتي عشرة أوقية ونشاً.

زاد في الروض الأنف قوله: وكتب لكل واحد منهم على قومه إلا وزر بن سدوس، فقال: إني أرى رجلاً تملّك رقاب العرب. والله لا يملك رقبتي عربي أبداً، ثم لحق بالشام وتنصر، وحلق رأسه[1].

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما ذكر رجل من العرب إلا رأيته دون ما ذكر لي إلا ما كان من زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما فيه»[2].

وسماه رسول الله «صلى الله عليه وآله» زيد الخير، وقطع له فيد وأرضين، وكتب له بذلك كتاباً، ورجع مع قومه. وفي لفظ: فخرج به من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» راجعاً إلى قومه، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن ينجُ زيد من حمى المدينة فإنه»، أي فإنه قد نال مراده أو نحو ذلك.

فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له: فردة ـ وفي لفظ فرد ـ أصابته الحمى بها فمات هناك، وعمدت امرأته بجهلها وقلة عقلها إلى ما

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٥٨ والروض الأنف ج٤ ص٢٢٧، والإصابة ج٦ ص٤٧٨، والأعلام للزركلي ج٨ ص١١٥، ومكاتيب الرسول ج١ ص٢٥٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٥٨ عن ابن سعد، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٥٨ والروض الأنف ج٤ ص٢٢٧، وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٥١٩، وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٩٩، والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٩٩.

كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتب له به فحرقته بالنار[1].

قال في زاد المعاد، وفي العيون: لما أحس بالموت أنشد يقول:

أمرتحل قومي المشارق غدوة ... وأترك في بيت بفردة منجد

ألا رب يوم لو مرضت لعادني ... عوائد من لم يبر منهن يجهد

وذكر ابن دريد عن أبي محسن أن زيداً أقام بفردة ثلاثة أيام ومات، فأقام عليه قبيصة بن الأسود المناحة سنة، ثم وجه براحلته ورحله وفيها كتاب النبي «صلى الله عليه وآله»، فلما رأت امرأته الراحلة ليس عليها زيد ضرمتها بالنار، فاحترقت واحترق الكتاب[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٥٨ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٥٨ وراجع: الإصابة ج٣ ص٥٧٣ ومكاتيب الرسول ج١ ص٣١٢ عن: العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ ص٨٣٩ ورسالات نبوية ص١٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٣ والسيرة النبوية لدحلان (بهامشه) ج٣ ص٢٤ والإصابة ج١ ص٥٧٣/ ٢٩٤١ وأسد الغابة ج٢ ص٢٤١ و ٢٤٢ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٥٦٣ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج٦ ص٣٦ و ٣٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٦٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ق٢ ص٥٩ وفي (ط بيروت) ج١ ص٣٢١ والأغاني ج١٧ ص٢٤٩ والمفصل ج٧ ص١٤٨ عن تاج العروس في «خيل» و ج٤ ص٢٢٠ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٣ ص١٤٥ والروض الأنف ج٤ ص٢٢٧. والوثائق السياسية: ٢٠١/ ٣٠٢ (عن الطبقات، وسيرة ابن هشام، والطبري، والإصابة، وصحيح البخاري، والإستيعاب، ثم قال: انظر كايتاني ١٠: ٣٥ و ٣٩ واشپرنكر ٣: ٣٨٧ و ٩٤٦ و ٩٤٧).

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٥٨ عن ابن دريد، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٥٩ والإصابة ج٣ ص٥٧٣، وراجع: مكاتيب الرسول ج١=

وعن أبي سعيد الخدري: أن علياً كرم الله وجهه «بعث إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها، فقسمها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، وعلقمة بن غيلان»(١).

وعن عبد الله بن مسعود قال: كنا عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأقبل راكب، فأناخ، فقال: يا رسول الله، إني أتيتك من مسيرة تسع،

= ص٣١٢ عن: ٢١ : ٣٦٥ وتاريخ ابن خلدون ج٢ ص٨٣٩ ورسالات نبوية ص١٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٣ ودحلان بهامشه ج٣ ص٢٤ والإصابة ج١ ص٥٧٣ / ٢٩٤١ وأسد الغابة ج٢ ص٢٤١ و٢٤٢ والاستيعاب هامش الإصابة ج١ ص٥٦٣ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج٦ ص٣٦ و٣٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٦٣ والطبقات ج١ ق٢ ص٥٩ وفي (ط بيروت) ج١ ص٣٢١ والأغاني ج١٧ ص٢٤٩ والمفصل ج٧ ص١٤٨ عن تاج العروس في «خيل» و ج٤ ص٢٢٠ والطبري ج٣ ص١٤٥ والروض الأنف ج٤ ص٢٢٧ . والوثائق ص٣٠٢ / ٢٠١ (عن الطبقات وسيرة ابن هشام والطبري والإصابة وصحيح البخاري والاستيعاب ثم قال : انظر كايتاني ج١٠ ص٣٥ و٣٩ واشپرنكر ج٣ ص٣٨٧ و٩٤٦ و٩٤٧) ..

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٥٨ عن البخاري، ومسلم، وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج٥ ص٣٢٦ (٤٣٥١) ومسلم ج٢ ص٧٤٢ (١٤٤/ ١٠٦٤) وراجع: الإصابة ج١ ص٥٧٢ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٥٨ والدر المنثور ج٣ ص٢٥١ عن البخاري، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والمحلى لابن حزم ج١١ ص٢٢٠، وعمدة القاري ج١٨ ص٧، والبداية والنهاية ج٥ ص١٢٣، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٠٦.

أنضيت راحلتي، وأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري لأسألك عن خصلتين أسهرتاني.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما اسمك»؟

فقال: أنا زيد الخيل.

قال: «بل أنت زيد الخير، فسل، فرب معضلة قد سئل عنها».

فقال: أسألك عن علامة الله فيمن يريد، وعن علامته فيمن لا يريد.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «كيف أصبحت»؟

فقال: أصبحت أحب الخير وأهله، ومن يعمل به، وإن عملت به أيقنت بثوابه، وإن فاتني منه شيء حننت إليه.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «هذه علامة الله فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد، ولو أرادك بالأهدى هيأ لك لها ثم لا تبالي من (في) أي واد هلكت». وفي لفظ «سلكت»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٥٩ عن ابن شاهين، وابن عدي، وابن عساكر، وفي هامشه عن: حلية الأولياء ج٤ ص١٠٩ وراجع ج١ ص٣٧٦، وذكره الهيثمي في المجمع ج٧ ص١٩٧، وعزاه للطبراني، وقال: وفيه عون بن عمارة وهو ضعيف، وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٠٨٠٨) ، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ج٦ ص٣٧، وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص١٨١، والمعجم الكبير للطبراني ج١٠ ص٢٠٢، وضعفاء العقيلي ج١ ص١٤٦، وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٥٢٠، وأسد الغابة ج٢ ص٢٤٢، والإصابة ج٢ ص٥١٤.

وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٥٨ عن ابن شاهين، وابن عدي، وراجع: الإصابة ج١ ص٥٧٢.

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم الوقفات التالية:

متى غير اسم زيد الخيل؟!:

إن الرواية ذكرت أن زيد الخيل جاء يسأل النبي «صلى الله عليه وآله» عن خصلتين فسأله «صلى الله عليه وآله» عن اسمه أيضاً، فأخبره به فغيَّره إلى زيد الخير.

وظاهر هذه الرواية: أنه قد جاء إليه وحده ولم يكن معه وفد، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن قد رآه، لأنه سأله عن اسمه، ولازم ذلك أن يكون معروفاً لدى النبي «صلى الله عليه وآله» حين جاء في وفد طيء، وأن يكون اسمه قد غيِّر قبل مجيئه مع وفد طيء..

فما معنى قولهم: إنه قد غيَّر اسمه حين جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله» مع الوفد المذكور؟!

عظمة زيد عند رسول الله ﷺ:

ثم إننا لا ندري ما الذي لفت نظر النبي «صلى الله عليه وآله» في شخصية زيد، حتى قال: ما ذكر رجل من العرب إلا رأيته دون ما ذكر لي، إلا ما كان من زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما فيه.

هل رآه متميزاً بعلمه، أم بأخلاقه أم بشجاعته، أم بعقله، أم بضخامة جثته.

إننا لم نجد في التاريخ ما يشير إلى امتيازه في شيء في ذلك، فكيف إذا رأيناه لا يرضى بالإسلام ديناً حتى اعتبره «صلى الله عليه وآله» في المؤلفة قلوبهم.

ثناء النبي على زيد الخيل:

قرأنا فيما تقدم ثناء نبوياً عاطراً على زيد الخيل، مع العلم بأن الحديث المتقدم عن ابي سعيد الخدري قد صرح بأن زيد الخيل كان من المؤلفة قلوبهم، وذلك مروي في صحاح أهل السنة.. مما يعني: أن هذا الثناء مكذوب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وقد حاول الزرقاني أن يرد على ذلك: بأن قدوم زيد الخيل في وفد طيء كان سنة تسع.

فقد قال: «هذا يرد على ما في النور: أن زيداً كان من المؤلفة، لأن المؤلفة من أعطي من غنائم حنين. وكان ذلك سنة ثمان. وقد تقدم: أن الحافظ نقله في سردهم عن التلقيح لابن الجوزي، وأن الشامي توقف فيه بأنه لم يره في نسختين من التلقيح.

ويقوي ذلك ما في الروض، من رواية أبي علي البغدادي: قدم وفد طيء، فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد، ودخلوا، وجلسوا قريباً من النبي «صلى الله عليه وآله»، حيث يسمعون صوته..

فلما نظر «عليه السلام» إليهم، قال: إني خير لكم من العزى، ومن الجمل الأسود الذي تعبدون من دون الله، ومما حازت مناع، من كل ضار غير نفاع.

فقام زيد زيد الخيل، وكان من أعظمهم خلقاً، وأحسنهم وجهاً وشعراً، وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخط رجلاه في الأرض كأنه حمار.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله» ولا يعرفه: الحمد لله الذي أتى بك من حزنك وسهلك، وسهّل قلبك للإيمان. ثم قبض على يده فقال: من أنت؟!

فقال: أنا زيد الخيل بن مهلهل، أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك عبد الله ورسوله.

فقال له: بل أنت زيد الخير. ما خبرت عن رجل قط شيئاً إلا رأيته دون ما خبرت عنه غيرك[1].

ونقول:

أولاً: إن حديث كونه من المؤلفة قلوبهم أصح عندهم من غيره، فلماذا عدل عنه الزرقاني إلى الأخذ بالحديث الضعيف؟!..

ثانياً: إن من الواضح: أن ما زعمه الزرقاني من أن اسم المؤلفة قلوبهم لا يطلق إلا على الذين أعطاهم النبي «صلى الله عليه وآله» من غنائم حنين ليس له ما يثبته، بل هم كل من كان يعطيهم النبي «صلى الله عليه وآله» ليتألفهم على الإسلام قبل حنين وبعدها، وسهم المؤلفة قلوبهم ثابت في الإسلام والقرآن وإلى يوم القيامة، وإنما ألغاه أبو بكر.

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[2].

ومن الواضح: أن هذه الآية في سورة التوبة، وهي قد نزلت في ذي الحجة من سنة تسع، فلو كان الحكم مختصاً بأهل حنين لم ينزل هذا الحكم

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٥٧ وراجع: الأغاني ج١٦ ص٥٠، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٦.

(٢) الآية ٦٠ من سورة التوبة.

بعد سنة كاملة في الآية التي ذكرناها..

ولكن لما ولي أبو بكر، وجاءه المؤلفة قلوبهم لأخذ سهمهم، كتب لهم بذلك فلقيهم عمر، فأخذ الكتاب منهم ومزقه، وقال لهم: لا حاجة لنا بكم، فقد أعز الله الإسلام، وأغنى عنكم، فإن أسلمتم، وإلا فالسيف بيننا وبينكم. فرجعوا إلى أبي بكر فأمضى ما فعله عمر(١).

وقد عبروا عن هذا الأمر بتعابير قاسية ومهينة للدين وأهله، فقد قالوا: إن أبا بكر قطع الرشا في الإسلام(٢).

ثالثاً: قد ذكر الزرقاني نفسه الرواية التي تَرّد ما زعموه: «من أن وفادة زيد الخيل كانت في سنة تسع»، وأن الحديث المذكور آنفاً قد ذكر أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: إن عبادتهم للعزى لا تنفعهم.

ومن المعلوم: أن العزى قد هدمت عقب فتح مكة مباشرة(٣)، فتكون وفادتهم قبل هدم العزى.. لا في سنة تسع(٤).

---

(١) النص والإجتهاد ص٤٤ عن كتاب الجوهرة النيرة على مختصر القدوري في الفقه الحتنفي ج١ ص١٦٤ وراجع: تفسير المنار ج١٠ ص٤٩٦ والدر المنثور ج٣ ص٢٥٢ وأصول الفقه للدواليبي ص٢٣٩ وشرح نهج البلاغة ج٣ ص٨٣، وتفسير السمرقندي ج٢ ص٦٨، والفصول المهمة في تأليف الأمة للسيد شرف الدين ص٨٨.

(٢) راجع: الدر المنثور ج٣ ص٢٥٢ وتفسير ابن أبي حاتم ج٦ ص١٨٢٢.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٩٥.

(٤) الدر المنثور ج٣ ص٢٥٢ عن البخاري في تاريخه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص، و٥٩٧، والسيرة الحلبية ج٣ =

دخول المشركين إلى المسجد:

ربما يدَّعي البعض: أن النص المتقدم، ونظائره يدل على أن المشركين قد دخلوا مسجد النبي «صلى الله عليه وآله»، وذلك يدل على جواز دخول الكفار إلى مساجد المسلمين، حتى إلى مسجد النبي «صلى الله عليه وآله»، وبذلك يرد على فتوى الفقهاء بحرمة دخول الكافر إلى المسجد..

وأما بالنسبة لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾[1]، فلا دلالة فيه على خلاف ذلك:

فأولاً: قد يكون المراد به القذارة المعنوية الروحية، وهي قذارة الكفر والشرك، لا القذارة بمعنى النجاسة على حد نجاسة الكلب والخنزير، والدم وما إلى ذلك.

ثانياً: لو سلمنا أن المراد به النجاسة الحسية بمعناها المصطلح عند أهل الشرع، فإننا نقول:

من الذي قال: إنه يحرم إدخال النجاسة إلى المسجد، إذ لا دليل على حرمة إدخال قارورة دم إلى المسجد الحرام، إذا لم يلحق المسجد منها شيء..

ثالثاً: لعل الحكم بعدم جواز دخول المشركين إلى المسجد الحرام خاص بالمسجد الحرام، ولا يتعداه إلى سائر المساجد.

= ص٢٠٨، والتنبيه والإشراف للمسعودي ص٢٣٣، والبداية والنهاية ج٤ ص٣٦١، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٨٨، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٢٠٩، وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٦٠.

(١) الآية ٢٨ من سورة التوبة.

وليكن هذا هو وجه الجمع بين الآية، وبين ما ثبت من أن نصارى نجران، وغيرهم من المشركين كانوا يدخلون المسجد النبوي، ويجادلون النبي «صلى الله عليه وآله» في الدين، ويُسْلِم بعضهم، ويصرُّ بعضهم على كفره.

ونقول:

إن ذلك كله لا يصح، وذلك لما يلي:

أولاً: إن المحرَّم هو دخول الكافر إلى موضع الصلاة من المسجد، أما دخوله إلى غيرها من قاعات وباحات وساحات لم تعد للصلاة، فلم يكن ذلك محرماً، فلعل المراد بدخولهم إلى المسجد هو الدخول إلى بعض باحاته وساحاته، إذ يصح إطلاق اسم الكل على بعض إجزائه، أو مشتملاته أو على توابعه..

وقد يشهد لذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد بنى موضعاً في مسجده يقال له: الصفة، لينزل ويبيت فيه من لا منزل ولا مال ولا أهل له. ولعل من يبيت هناك يبتلى بالإحتلام والجنابة، ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» ليسمح لهم بالمبيت في الموضع الذي ينبغي تنزيهه عما هو مكروه من نومٍ أو غيره.

فذلك يشير إلى أن هذا الموضع لم يكن مخصصاً للصلاة، فكان يصح النوم فيه..

ثانياً: من الذي قال إن ملاك حرمة دخول الكافر للمسجد هو قذارته الجسدية، فلعل الملاك هو: أن دخول من لا يؤمن بالله إلى بيت الله هتك لحرمة المساجد التي يعبد الله فيها، وأما إدخال الدم إلى المسجد في قارورة فليس فيه هتك لحرمته، وليس فيه تنجيس له فلا يحرم.

لكن دخول الكلب والخنزير أيضاً ـ والعياذ بالله ـ إلى المسجد فيه هتك لحرمة المسجد، فيحرم من أجل ذلك، حتى لو لم يوجب دخوله تنجيساً..

ثالثاً: إن الآية الكريمة وإن كانت قد وردت في سورة التوبة التي هي من آخر ما نزل من القرآن(١)، لكن ذلك لا يمنع من أن يكون الحكم بحرمة دخول الكافر إلى المسجد قد بيّن على لسان النبي «صلى الله عليه وآله» قبل ذلك بسنوات. وقد تأخر نزول الآية عن ذلك..

بل لعل نفس تشريع عدم جواز دخول الكافر للمساجد قد تأخر أيضاً لحكمة اقتضاها التشريع، وهي أن يضرب الدين بجرانه، وتظهر أعلامة وتنتشر شرائعه وأحكامه، فنزلت في ذي الحجة من السنة التاسعة للبعثة(٢).

وزر بن سدوس ينتصر:

ولا ندري كيف نفسر تصرف وزر بن سدوس الذي رحل إلى الشام، واختار النصرانية على أن يملك عربي رقبته، حتى لو كان هو النبي «صلى

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٠٨ عن ابن أبي شيبة، وأحمد، وأبي داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن أبي داود في المصاحف، وابن أبي المنذر، والنحاس في ناسخه، وابن حبان، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، والمبسوط للسرخسي ج١ ص١٦، وعمدة القاري ج١٨ ص١٩٥، وأحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٤٤٤، وتفسير البيضاوي ج٣ ص١٢٦.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص٢٠٨ عن ابن أبي شيبة، والبخاري، والنسائي، وابن الضريس، وابن المنذر، والنحاس في ناسخه، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وأحكام القرآن للجصاص ج٣ ص١٠٣.

الله عليه وآله»، فنلاحظ:

١ ـ أننا لم نعهد من النبي «صلى الله عليه وآله» أنه تصرف مع الناس على أنه مالك لرقابهم، ولم يدِّع هو ذلك لنفسه، إنما هو يعلن أنه ينفذ ما يأمره به الله.

٢ ـ كما أن هذا الرجل قد ترك مظهر الرحمة الإلهية، الذي يريد أن يحرره من هيمنة الطواغيت والظلمة والجبارين، والذي يكون مع المؤمنين كأحدهم، ولا يرى لأحد فضلاً على أحد إلا بتقوى الله، وذهب إلى الشام ليكون تحت حكم الجبارين، الذين يتخذون عباد الله خولاً، وماله دولاً.

٣ ـ إن ما عرضه النبي «صلى الله عليه وآله» عليهم يعود نفعه إليهم في الدنيا والآخرة، وهو ما تحكم به فطرتهم، وتقضي به عقولهم، وهو أن يكونوا عبيداً لله وحده لا شريك له، وقد بين له بما لا مزيد عليه أنه هو وجميع الناس سواء في هذا الأمر.

وفد بني البكّاء:

قالوا: وفد من بني البكَّاء على رسول الله «صلى الله عليه وآله» سنة تسع، ثلاثة نفر: معاوية بن ثور بن عبادة البكَّائي، وهو يومئذٍ ابن مائة سنة، ومعه ابن له يقال له: بشر، والفجيع بن عبد الله بن جندح بن البكَّاء، ومعهم عبد عمرو، وهو الأصمّ. فأمر لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمنزل وضيافة، وأجازهم، ورجعوا إلى قومهم.

وقال معاوية بن ثور للنبي «صلى الله عليه وآله»: «إني أتبرك بمسِّك، وقد كبرت وابني هذا برٌّ بي، فامسح وجهه».

فمسح رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجه بشر بن معاوية، وأعطاه أعنُزاً عُفراً وبَرَّك عليهن.

قال الجعد: فالسنة ربما أصابت بني البكَّاء ولا تصيب آل معاوية.

وقال محمد بن بشر بن معاوية بن ثور بن عُبادة بن البكَّاء:

وأبي الذي مسح الرسول برأسه ... ودعا له بالخير والبركات
أعطاه أحمد إذ أتاه أعنُزاً ... عُفراً نواجل لسن باللجنات
يملأن رفد الحي كل عشية ... ويعود ذاك الملء بالغدوات
بوركن من منح وبورك مانحاً ... وعليه مني ما حييت صلاتي

وسمى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عبد عمرو الأصمّ عبد الرحمن، وكتب له بمائه الذي أسلم عليه بذي القصة. وكان عبد الرحمن من أصحاب الظُلَّة، يعني: الصُفَّة، صفَّة المسجد(١).

التبرك بالرسول ﷺ:

وقد ذكر النص المتقدم: أن معاوية بن ثور قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: إني أتبرك بمسِّك، ثم طلب منه أن يمسح وجه ابنه، ففعل «صلى الله

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٨٠ عن ابن سعد، وابن شاهين، وأبي نعيم، وابن منده، وغير ذلك وعن الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٤٧ و ٤٨ ورسالات نبوية ص٢٦ ومجموعة الوثائق السياسية ص٣١٣، ومكاتيب الرسول ج١ ص٣١٧ عن: الطبقات ج١ ق٢ ص٤٧ و٤٨ والوثائق ص٣١٣ وص٢١٧ الف عنه ورسالات نبوية ص٢٦، وتاريخ مدينة دمشق ج٦٥ ص١٢٥.

عليه وآله».

وهذا يعطينا:

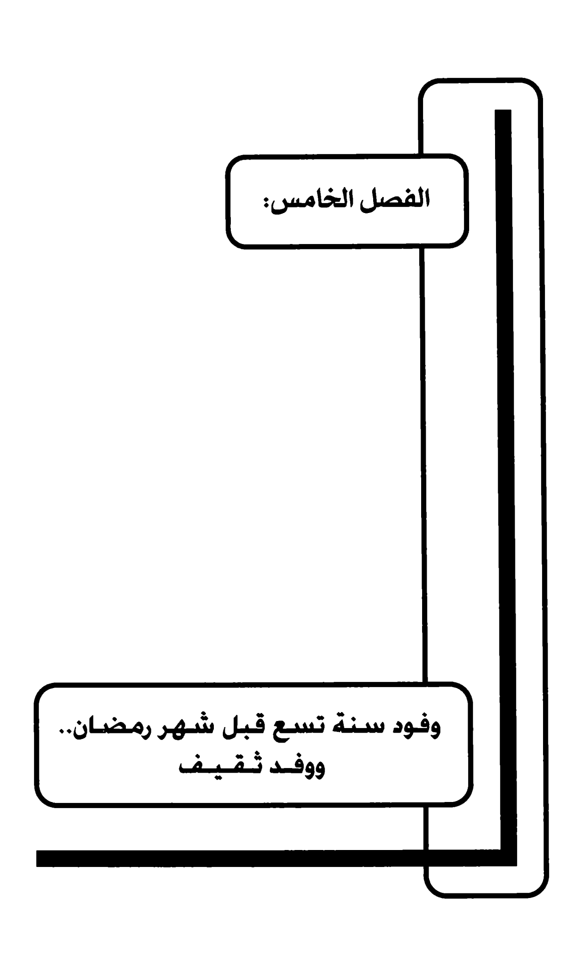
١ ـ أن سكوت النبي «صلى الله عليه وآله» وقبوله بأن يتبرك به ذلك الرجل، ثم استجابته لطلب معاوية بن ثور بالتبريك على ولده يؤكدان مشروعية التبرك، وأنه لا صحة لما يدَّعيه البعض من عكس ذلك.

٢ ـ إن هذا الطلب من معاوية بن ثور يشير إلى أن إيمان هذا الرجل لم يكن بسبب ترغيب أو طمع، أو ترهيب، أو جزع. وإنما هو نتيجة تفاعل روحي، تجاوز حدود القناعة الفكرية، وسكن في القلب، وترسخ في أعماق الوجدان..

٣ ـ ثم هو من جهة ثالثة: تعبير عن شعور فطري، لم يقتصر الأمر فيه على هذا الرجل، بل تجاوزه ليكون ميزة إنسانية تجدها لدى سائر الذين آمنوا برسول الله «صلى الله عليه وآله»، مهما اختلفت طبائعهم، وثقافاتهم، وأعرافهم، وبلدانهم، وعاداتهم، ومواقعهم الإجتماعية، وما إلى ذلك..

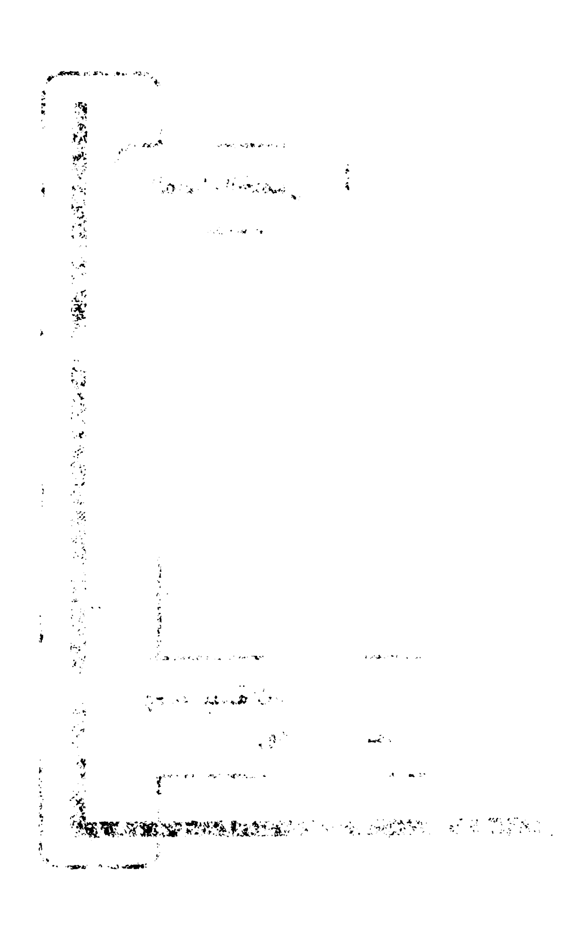
وذلك يدل على: أن هذا هو مقتضى الخلق الإنساني، والطبع البشري، وهو مقتضى الفطرة والسجية والعفوية..

٤ ـ إن التبريك على تلك الأعنز أيضاً بمبادرة من رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه هو الآخر يفتح أمام التأمل أبواباً على آفاق رحبة في هذا الإتجاه، ويدفع به إلى دراسة أكثر شمولية وعمقاً للنهج التربوي، الذي يعتمد على تجسيد المعاني الغيبية في مفردات واقعية، لتصبح أكثر قرباً للإنسان، وليسهل عليه وعيها، والاستفادة منها في حياته العملية، ولهذا البحث مجال آخر.



الفصل الخامس:

وفود سنة تسع قبل شهر رمضان..
ووفد ثقيف



وفد بني أسد:

روى ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قالا: «قدم عشرة رهط من بني أسد بن خزيمة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أول سنة تسع، فيهم حضرمي بن عامر، وضرار بن الأزور، ووابصة بن معبد، وقتادة بن القائف، وسلمة بن حبيش، وطليحة بن خويلد، ونقادة بن عبد الله بن خلف، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسجد مع أصحابه، فسلموا وقال متكلمهم: يا رسول الله، إنا شهدنا ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله.

وقال حضرمي بن عامر: «أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء، ولم تبعث إلينا بعثاً ونحن لمن وراءنا..» إلى آخر ما قالوا. فنزلت فيهم: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾[1]»[2].

---

(١) الآية ١٧ من سورة الحجرات.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٦٦ والطبقات الكبرى ج١ ص٢٩٢ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص٢١٢ و٢١٣، وتاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص١٥٣، وأسد الغابة ج٢ ص٢٩، والإصابة ج٣ ص٤٤٠، والبداية والنهاية ج٥ ص١٠٢، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٧٠، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٧١.

وسألوا عن مسائل، ثم جاؤوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» فودعوه، وأمر لهم بجوائز، وكتب لهم ثم انصرفوا إلى أهليهم[1].

وعن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وبسند حسن عن عبد الله بن أوفى، قال الأولان: «جاءت بنو أسد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقالوا: يا رسول الله، أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب، وفي رواية: بنو فلان. فأنزل الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾»[2].

قال ابن سعد: وكان معهم قوم من بني الزنية، وهم بنو مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد. فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنتم بن الرشدة».

فقالوا: لا نكون مثل بني محولة، يعني: بني عبد الله بن غطفان[3].

وسألوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ يومئذ عن: العيافة، والكهانة،

---

(١) راجع: مكاتيب الرسول للأحمدي ج٣ ص٢٤٤ و ٢٤٥ وقال في هامشه: راجع زاد المعاد ج٣ ص٤٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٦٤ ومجموعة الوثائق السياسية ص٣٠٣ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٨٣ والإصابة ج٣ ص٦٢٦ و ج١ ص٣٤١ وأسد الغابة ج٢ ص٢٩ والبداية والنهاية ج٥ ص٨٨ وخزانة الأدب للبغدادي ج٢ ص٥٦ ورسالات نبوية ص١٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٦٦ والدر المنثور ج٦ ص١٠٠ و ١٠١ عن ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والبزار، والنسائي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن سعد، وفتح القدير للشوكاني ج٥ ص٦٩، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٧١.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٦٦ والطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج١ ص٢٩٢ وراجع: جمهرة أنساب العرب ص١٩٣، وتاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص١٥٣.

وضرب الحصى، فنهاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ عن ذلك كله.

فقالوا: يا رسول الله، إن هذه الأمور كنا نفعلها في الجاهلية، أرأيت خصلة بقيت؟

قال: «وما هي»؟

قال «صلى الله عليه وآله»: «الخط، علمه نبي من الأنبياء، فمن صادف مثل علمه علم»[1].

ونقول:

يمنون عليك أن أسلموا، فيمن نزلت؟!:

وقد ذكر النص المتقدم: أن قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾[2] قد نزلت في وفد بني أسد.

ويرد عليه:

أولاً: ما روي عن جابر: من أن هذه الآية نزلت في عثمان بن عفان يوم

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٦٦ عن ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والبزار، والنسائي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وقال في هامشه: أخرجه مسلم بنحوه في كتاب المساجد (٣٣) وكتاب السلام (١٢١)، والنسائي ج٣ ص١٦، وأبو داود في كتاب استفتاح الصلاة باب (٥٦)، وأحمد في المسند ج٢ ص٣٩٤ والبيهقي ج٢ ص٢٥٠، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٠٧، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٢.
وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص٢١٣.

(٢) الآية ١٧ من سورة الحجرات.

الخندق، حيث قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «احفر».

فغضب عثمان وقال: لا يرضى محمد أن أسلمنا على يده حتى يأمرنا بالكد، فأنزل الله على نبيه «صلى الله عليه وآله»: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾..»[1].

ثانياً: روي أن عثمان مَرَّ على عمار بن ياسر وهو يحفر الخندق، وقد ارتفع الغبار من الحفر، فوضع عثمان كمه على أنفه ومر فقال:

لا يستوي من يعمر المساجدا ... يصلي فيها راكعاً وساجدا

كمن يمر بالغبار حائداً ... يعرض عنه جاهداً معاندا

فالتفت إليه عثمان فقال: يا بن السوداء، إياي تعني؟!

ثم أتى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال له: لم ندخل معك لتُسبَّ أعراضنا.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «قد أقلتك إسلامك، فاذهب»، فأنزل الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا..﴾ الآية..»[2].

غير أننا نقول:

إن قصة بني أسد قد حصلت سنة تسع، ولا مانع من نزول الآية مرتين أو أكثر، إذا كانت المناسبة تقتضيها، فتنزل في عثمان يوم الخندق، حيث واجه النبي «صلى الله عليه وآله» أولاً، ثم واجه عماراً، ثم تنزل مرة أخرى

---

(١) البرهان (تفسير) ج٤ ص٢١٥ عن الشيخ في مصباح الأنوار، ومدينة المعاجز للبحراني ج١ ص٤٦٧، والبحار ج٣٠ ص٢٧٤ وج٣٩ ص١١٤ وج ١٠٩ ص٢٩، وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج٢ ص٦٠٨.

(٢) البرهان (تفسير) ج٤ ص٢١٥ عن تفسير القمي، والبحار ج٩ ص٢٣٨ وج٢٠ ص٢٤٣ وج٣٠ ص١٧٣ وج٣١ ص٥٩٩، وتفسير القمي ج٢ ص٣٢٢، والتفسير الصافي ج٥ ص٥٧ وج٦ ص٥٢٨، وتفسير نور الثقلين ج٥ ص١٠٤.

بعد حوالي خمس سنوات من ذلك التاريخ، ولذلك نظائر.

ثالثاً: إن سورة الحجرات قد نزلت قبل سورة الفتح، التي نزلت في الحديبية(١)، وهذا يؤيد ما ذكرناه: من أن سورة الحجرات قد نزلت قبل حادثة بني أسد بسنوات عديدة..

بنو الزنية أو الرشدة:

ومن الغريب حقاً: أن نجد هؤلاء الأعراب الجفاة يرفضون تسمية النبي «صلى الله عليه وآله» لهم ببني الرشدة، بدل «بني الزنية».

فأولاً: إن هذا الرفض يمثل اعتراضاً على قرار نبي الله الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى..

ثانياً: إن التسمية ببني الزنية لا تُسعد من تطلق عليه، ولا بد أن يرى فيها إهانة لشرفه، ولنسبه، فالمتوقع منه: أن يرفضها بحزم وإصرار، وربما يحتاج إلى المجابهة والحدة في سعيه إلى أن منع الناس من تداولها، وأما أن يصر على حفظها، وعلى إشاعتها بينهم، ويرضى بإطلاقها عليه ونسبتها إليه، فذلك ما لا يخطر على البال..

---

(١) الدر المنثور ج٦ ص٦٧ عن الحاكم وصححه، وابن إسحاق، والبيهقي في الدلائل، والإفصاح للمفيد ص١١٢، والبحار ج١٧ ص٧٥، والسنن الكبرى ج٩ ص٢٢٣،وعمدة القاري ج١٥ ص١٠٤، والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٤٦١، ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٧ ص١٤٧، وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٧٠، وتفسير مقاتل بن سليمان ج٣ ص٢٤٤، وتفسير السمرقندي ج٣ ص٢٩٨، وتفسير ابن زمنين ج٤ ص٢٥٠ و٢٥٥، وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤.

إلا إذا افترض مفترض: أن ثمة خللاً في عقله، أو في تفكيره أو في أخلاقياته، وقيمه..

وبعد..

فإن النبي «صلى الله عليه وآله» كان معنياً جداً بتغيير هذا الاسم، لأنه يعلم أن للأسماء آثارها على الروح والنفس، وهو لا يريد أن يعتاد سمعهم على مثل هذا الأسماء، ولا أن تألفها أرواحهم، وتتعلق بها نفوسهم، بل يريد أن تنكرها النفوس، وتتأذى منها الأرواح، وتمجها الأذواق والأسماع.

وإن رفض هؤلاء الناس لمثل هذا الطلب الصادر من أقدس الخلق، والذي يفترض فيهم أن يتلهفوا لتلبيته، وأن يكونوا سعداء في استجابتهم له ـ إن هذا الرفض ـ يدل دلالة واضحة على جهلهم، وجفائهم، وقلة عقولهم، وضعف تدبيرهم..

علم الخط وضرب الرمل:

اختلفوا في المراد من علم الخط، مع تصريحهم بحرمة العمل به.

قال الصالحي الشامي: قوله «صلى الله عليه وآله» في الخط: «**علمه نبي** من الأنبياء الخ..».

الخط: قال في المطالع والتقريب: «فسروه بخط الرمل، ومعرفة ما يدل عليه».

وقال في النهاية: [قال ابن عباس: الخط] «هو الذي يخطه الحازي، وهو علم قد تركه الناس، يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي فيعطيه حلواناً، فيقول له: اقعد حتى أخط لك، وبين يدي الحازي غلام له معه ميل، ثم يأتي إلى

أرض رخوة فيخط فيها خطوطاً كثيرة بالعجلة لئلا يلحقها العدد، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين، وغلامه يقول للتفاؤل: «ابنَيْ عِيَان أسرعا البيان». فإن بقي خطان فهما علامة النُّجْح، وإن بقي خط واحد فهو علامة الخيبة.

وقال الحربي: «الخط هو: أن يخط ثلاثة خطوط ثم يضرب عليهن بشعير أو نوى، ويقول: يكون كذا وكذا، وهو ضرب من الكهانة».

قال ابن الأثير: الخط المشار إليه علم معروف، وللناس فيه تصانيف كثيرة، وهو معمول به إلى الآن، ولهم فيه أوضاع، واصطلاح وأسامٍ، وعمل كثير، ويستخرجون به الضمير وغيره، وكثيراً ما يصيبون فيه. انتهى.

وقال: ضرب الرمل حرام، صرح به غير واحد من الشافعية والحنابلة وغيرهم[1].

الأنبياء عليهم السلام وعلم الخط:

وقال الصالحي الشامي: قوله «صلى الله عليه وآله»: «علمه نبي من الأنبياء» في حفظي أنه سيدنا إدريس «عليه السلام»، ولا أعلم من ذكره فيحرر[2].

وقد ورد في الروايات عن أهل البيت «عليهم السلام»: أن إدريس «عليه السلام»، وهو جد نوح «عليه السلام» أول من خط بالقلم[3]. أي

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٦٧.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٦٧.

(٣) البحار ج١١ ص٢٧٠ و ٢٧٩ وج٥٥ ص٢٧٤ وج٧٤ ص٧١، والخصال =

كتب به، فلعل الأمر اشتبه على هؤلاء، فنسبوا إليه «عليه السلام» علم الخط (أي خط الرمل) أو نحوه. مع أن المقصود بالخط: الكتابة بالقلم.

ويكون مراد النبي «صلى الله عليه وآله» بقوله: «الخط علمه نبي من الأنبياء، فمن صادف مثل علمه فقد علم» هو حثهم على تعلم الكتابة،

= ص٥٢٤، ومعاني الأخبار ص٣٣٣، والإختصاص للمفيد ص٢٦٤، وفرج المهموم لابن طاووس ص٢١، وفتح الباري ج٦ ص٢٦٧، وصحيح ابن حبان ج٢ ص٧٧، وموارد الظمآن للهيثمي ج١ ص١٩٣، وكنز العمال ج١٦ ص١٣٢، والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري ج٢ ص٥١٣، وتفسير جوامع الجامع للطبرسي ج٢ ص٤٥٨ وج٣ ص٧٧١، وتفسير مجمع البيان للطبرسي ج٦ ص٤٣٠ وج١٠ ص٣٣٢، والتفسير الأصفى ج٢ ص٧٤٣، والتفسير الصافي ج٣ ص٢٨٥، وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٥١٣، وتفسير الميزان ج٢ ص١٤٤ وج١٤ ص٦٨ وج٢٠ ص٣٢٤، وتفسير الثعلبي ج١٠ ص١٨٦، وتفسير السمعاني ج٣ ص٣٠٠ وج٥ ص١٤٩، وتفسير البغوي ج٣ ص١٩٩، وتفسير الرازي ج٢١ ص٢٣٣، وتفسير القرطبي ج١١ ص١١٧، وتفسير البيضاوي ج٤ ص٢٢، والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ج٣ ص٦، وتفسير ابن كثير ج١ ص٥٩٩ وج٢ ص٢٣٢، والإتقان في علوم القرآن ج٢ ص٣٦٤، وفتح القدير ج٣ ص٣٣٨، والثقات لابن حبان ج٢ ص١١٩، وتاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٢٧٥، والمعارف لابن قتيبة ص٢١، وتاريخ اليعقوبي ج١ ص١١ و١٤٧، وتاريخ الطبري ج١ ص١١٦، والبداية والنهاية ج١ ص١١١ وج٢ ص١٨٢، وقصص الأنبياء للراوندي ص٨٣، وقصص الأنبياء لابن كثير ج١ ص٧١، وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٣١٨، والسيرة الحلبية ج١ ص٣٠.

ليخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم، والإحتفاظ به، ونقله إلى الأجيال اللاحقة بدقة وأمانة. وبذلك يظهر فساد قول الصالحي الشامي هنا:

«فمن صادف مثل علمه فقد علم»، وفي صحيح مسلم: «فمن وافق خطه فذاك» أي: فهو مباح له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة، فلا يباح [والمقصود: أنه حرام لأنه لا يباح] إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين بها.

وإنما قال النبي «صلى الله عليه وآله»: «فمن وافق خطه فذاك». ولم يقل: هو حرام بغير تعليق على الموافقة، لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذلك النبي الذي كان يخط، فحافظ النبي «صلى الله عليه وآله» على حرمة ذاك النبي، مع بيان الحكم في حقنا، فالمعنى: أن ذاك النبي لا منع في حقه، وكذا لو علمتم موافقته، ولكن لا علم لكم بها»[1].

على أننا نقول:

إن هذا الكلام موهون، ولا يمكن قبوله من جهات عديدة:

فأولاً: إذا كان علم الخط ضرباً من الكهانة، فإنه ليس علماً، إذ لا يصح عدّ الكهانة في جملة العلوم، التي هي عبارة عن قواعد وضوابط توصل إلى نتائج ذات غرض واحد.. ولم نجد في الخط الذي فسّر آنفاً بتفاسير مختلفة ما يدخله في هذا السياق..

ثانياً: إذا كان هذا العلم من الكهانة، فإن الحكم بتحريم الكهانة قد جاء مطلقاً وعاماً، ولم يستثن منها كهانة علم الخط بأي معنى من المعاني المتقدمة..

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٦٧.

ثالثاً: إن المعاني التي ذكرت لعلم الخط لا تصلح جميعها للدلالة على معنى صحيح، ولا توصل إلى شيء من الواقع إلا على سبيل الصدفة، وليس في السنن الإلهية أن يتدخل الله فيمسك يد ذلك الغلام، عند عدد بعينه من الحركات السريعة.. أو أن يتدخل في قلب ذلك الغلام ويجبره على اختيار هذا العدد من الحركات أو ذاك.

على أن بقاء خط أو خطين قد يمكن اعتباره نوعاً من القرعة، التي لا اعتبار بها في كشف المستقبل، وما يكون فيه من فشل، أو نجاح، بل تستعمل لتسهيل اختيار أمر حاضر مشتبه لا يجد سبيلاً لترجيح أي طرف منه..

وكذلك الحال بالنسبة للتفسير الثاني للخط، وهو ضرب النوى أو حبات الشعير على ثلاثة خطوط، فإنه ليس من السنن الإلهية أن يتحكم الله بالنوى، أو بحبات الشعير حين تضرب على تلك الخطوط ليبين لنا من ذلك معاني بعينها..

وبذلك كله يظهر: أنه لا معنى لأن يتعلم إدريس هذا الشيء، لأنه لا أساس له.. وهو ليس من العلوم التي يصيبها هذا ويخطئوها ذاك.. وقد يتيقن بالموافقة، وقد يظن..

رابعاً: لو كان هذا من العلوم المرتكزة إلى سنة إلهية، فلماذا يحرم على الناس تعاطيها إلا مع اليقن بالموافقة لعلم النبي «صلى الله عليه وآله».. فإنها تكون كأي شيء مجهول يراد الوصول إليه بالتجارب القائمة على ظن الموافقة أو احتمالها..

خامساً: إن الكهانة تقوم على أخذ بعض المعلومات من بعض الجن(١)، مع العلم بأن هذا الجن قد يكذب، وقد يجهل الحقيقة، أو يجهل جزءاً منها، فيخلط الحق بالباطل وما إلى ذلك، وليس في علم الخط الذي فسر بها ذكر آنفاً ما يشير إلى الأخذ من الجن.. فلماذا اعتبروه من الكهانة؟

وفد بني عذرة:

قالوا: قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في صفر سنة تسع وفد بني عذرة، (قبيلة باليمن من قضاعة) اثنا عشر رجلاً، فيهم جمرة بن النعمان العذري، وسليم، وسعد ابنا مالك، ومالك بن أبي رباح. فنزلوا دار رملة بنت الحدث النجارية. ثم جاؤوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فسلموا بسلام أهل الجاهلية.

---

(١) راجع: البحار ج٥٢ ص١٩٨ وج٥٥ ص٢٥٩ وج٦٠ ص٣٢، وتذكرة الفقهاء (ط.ج) ج١٢ ص١٤٥ وفي ط.ق ج١ ص٥٨٢، وقواعد الأحكام للحلي ج٢ ص٩، ونهاية الإحكام للحلي ج٢ ص٤٧٢، وإيضاح الفوائد لابن العلامة ج١ ص٤٠٦، وجامع المقاصد للمحقق الكركي ج٤ ص٣١، وجواهر الكلام للجواهري ج٢٢ ص٨٩، ونيل الأوطار للشوكاني ج٧ ص٣٦٨، وشرح مسلم للنووي ج١٤ ص٢٢٣، وفتح الباري ج١٠ ص١٨٣، والديباج على مسلم للسيوطي ج٥ ص٢٤٤، وتفسير الثعلبي ج٥ ص٣٣٤، وزاد المسير لابن الجوزي ج٤ ص٢٨٦، وتفسير العز بن عبد السلام ج٢ ص١٧٢، وتفسير القرطبي ج١٠ ص١١ وج١٥ ص٦٦، وتفسير الآلوسي ج٦ ص٥٩ وج١٩ ص١٤١ وج٢٧ ص٣٥، وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص٢٠١، والسيرة الحلبية ج١ ص٣٣٧، ولسان العرب ج١٣ ص٣٦٣.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من القوم»؟

فقال متكلمهم: من لا نُنْكَر، نحن بنو عذرة إخوة قصي لأمه، «نحن الذين عضدوا قصياً»، وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر، ولنا قرابات وأرحام.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «مرحباً بكم وأهلاً، ما أعرفني بكم، فما يمنعكم من تحية الإسلام»؟

قالوا: كنا على ما كان عليه آباؤنا، فقدمنا مرتادين لأنفسنا ولقومنا. وقالوا: إلام تدعو؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن تشهدوا أني رسول الله إلى الناس جميعاً» أو قال: [كافة].

فقال متكلمهم: فما وراء ذلك من الفرائض؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن تشهدوا الصلوات، تحسن طهورهن، وتصليهن إلى مواقيتهن، فإنه أفضل العمل».

ثم ذكر لهم سائر الفرائض من الصيام والزكاة والحج.

فقال المتكلم: الله أكبر، نشهد ألا إله إلا الله، وأنك رسول الله، قد أجبناك إلى ما دعوت إليه، ونحن أعوانك وأنصارك. يا رسول الله إن متجرنا الشام، وبه هرقل، فهل أوحي إليك في أمره بشيء؟

فقال: «أبشروا، فإن الشام ستفتح عليكم، ويهرب هرقل إلى ممتنع بلاده».

ونهاهم «صلى الله عليه وآله» عن سؤال الكاهنة.

فقد قالوا: يا رسول الله، إن فينا امرأة كاهنة قريش والعرب يتحاكمون إليها، فنسألها عن أمور.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «لا تسألوها عن شيء».

فقال متكلمهم: الله أكبر.

ثم سأله عن الذبح الذي كانوا يذبحون في الجاهلية لأصنامهم.

فنهاهم «صلى الله عليه وآله» عنها.

وقال: «لا ذبيحة لغير الله عز وجل، ولا ذبيحة عليكم في سنتكم إلا واحدة».

قال: وما هي؟

قال: «الأضحية ضحية العاشر من ذي الحجة، تذبح شاة عنك وعن أهلك».

وسألوا النبي «صلى الله عليه وآله» عن أشياء من أمر دينهم، فأجابهم فيها.

وأقاموا أياماً. ثم انصرفوا إلى أهليهم، وأمر لهم بجوائز كما كان يجيز الوفد، وكسا أحدهم برداً[1].

نحن بنو عذرة:

لم يرق لبني عذرة سؤال النبي «صلى الله عليه وآله» إياهم بقوله: من

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٨٢ عن الواقدي، وابن سعد، وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص٢١٥ و٢١٦ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٣١ وزاد المعاد ج٣ ص٤٩ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٦٥ وعن السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٣٩.

القوم؟! على اعتبار أن السؤال إنما يكون عن النكرات الذين لا يعرفون، في حين يرون أن ذكرهم شائع، وصيتهم ذائع. فأجابوا بما يظهرهم بمظهر الكبار، مضمّنين إجابتهم ما يشير إلى أنهم يضعون أنفسهم في مصافّ أقدس الناس، وأطهرهم، وأعظمهم شأناً، وأجلهم مكانة وموقعاً..

وكان أقصى ما عندهم أنهم أرادوا الفخر على رجل ينتهي فخرهم إليه، وهو معدنه ومصدره، فافتخروا بأن لهم به قرابة ورابطة رحم عن طريق الأم، لأنهم إخوة قصي لأمه.

ثم افتخروا أيضاً: بأن لهم قرابات وأرحام في سائر قريش.

ثم كان عنوان فخرهم الآخر: أنهم عضدوا قصياً، وأزاحوا خزاعة وبني بكر من بطن مكة.. وكل هذه الأمور منه وإليه.. وبه.. وله «صلى الله عليه وآله»..

غير أن قولهم: إنهم أخوة قصي لأمه وإن كان صحيحاً، لكن أم قصي نفسها قد قالت لولدها قصي وزوجها، وسائر بني عذرة: «أنت والله يا بني أكرم منه نفساً، ووالداً، ونسباً، وأشرف منزلاً، أبوك كلاب بن مرة بن كعب الخ»[1]..

وأما أنهم هم الذين أزاحوا خزاعة وبني بكر من مكة، فغير دقيق، بل غير صحيح، إن أريد حصر ذلك بهم، لأن قصياً استعان بأخيه رزاح

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٦٧، وتاريخ الطبري ج٢ ص١٥، وراجع: عمدة الطالب لابن عنبة ص ٢٦، والبحار ج١٥ ص١٢٤، وتاريخ اليعقوبي ج١ ص٢٣٧، والكامل في التاريخ ج٢ ص١٩، وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٢٧٣، والسيرة الحلبية ج١ ص١٢.

العذري، فأعانه بثلاث مائة من قومه وإخوته[1].. بالإضافة إلى من كان معه.. من قريش وكنانة.. فراجع..

وفد زمل بن عمرو:

وروى ابن سعد عن مدلج بن المقداد بن زمل العذري وغيره قالوا: وفد زمل بن عمرو العذري على النبي «صلى الله عليه وآله» فاخبره بما سمع من صنمهم، فقال: ذلك مؤمن الجن، فعقد له لواءً على قومه، وأنشأ يقول حين وفد على النبي «صلى الله عليه وآله»:

إليك رسول الله أعملت نصها ... أكلفها حزناً وقوزاً من الرمل
لأنصر خير الناس نصراً مؤزراً ... وأعقد حبلاً من حبالك في حبلي
وأشهد أن الله لا شيء غيره ... أدين له ما أثقلت قدمي نعلي[2]

ونقول:

إن في النص عدة مواضع تدعو للتأمل، ومنها:

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٦٩.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص٢١٨ وج٦ ص٣٨٢ ومجموعة الوثائق السياسية ص٢٠٥ وراجع: الإصابة ج١ ص٥٥١ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٥٨٨ وأسد الغابة ج٢ ص٢٠٥، والبحار ج١٨ ص١٠٣، وكنز العمال ج١٢ ص٣٨٣، وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٤٩٠ وج١٩ ص٧٧، وعيون الأثر ج١ ص١٠٥.

زمل العذري عند يزيد:

وإن مما يؤسف له: ما يقال عما انتهى إليه أمر زمل بن عمرو هذا فإنه قد شهد صفين مع معاوية[1]، وكان معه ـ كما زعموا ـ لواؤه الذي عقده له النبي «صلى الله عليه وآله»[2]، واستعمله معاوية على شرطته، وكان أحد شهود التحكيم بصفين، وشهد بيعة مروان و.. و..

بل ذكروا: أن يزيد بن معاوية أيضاً قد ائتمن زمل بن عمرو على خاتمه[3].

ولا ننسى القول المعروف: قل لي من تعاشر، أقل لك من أنت، فكيف إذا كان شاهداً، ومبايعاً وناصراً، وقائد شرطه، مؤتمناً على الخاتم الذي تختم به عهود الخيانة، وكتب الظلم والبغي وما إلى ذلك.

عقد له لواء:

وزعمت الرواية السابقة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عقد لواء

---

(١) الإصابة ج١ ص٥٥١ والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج١ ص٥٨٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٣٢ وجمهرة أنساب العرب ص٤٤٩، وإكمال الكمال ج١ ص٧٧، وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٧٧، وأنساب الأشراف للبلاذري ص٣١٠، والأنساب للسمعاني ج٢ ص٣٣١، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري ج١ ص٣٥٣ و٤٢٧.

(٢) جمهرة أنساب العرب ص٤٤٩ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٥٨٨ والإصابة ج١ ص٥٥١، والأنساب للسمعاني ج٢ ص٣٣١، وأنساب الأشراف للبلاذري ص٣١٠، وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٧٨، وإكمال الكمال لابن ماكولا ج١ ص٧٧، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٣٢.

(٣) الإصابة ج١ ص٥٥١، وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٧٩.

لزمل بن عمرو على قومه.. ولم يذكر لنا المؤرخون إن كان قد وفد إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وحده، أو وفد مع قومه بني عذرة.. فإن كان قد وفد مع قومه، فلا إشكال ..

لكن يبقى سؤال: لماذا أفردوا وفادته بالذكر دون سائر من كان معه؟! وهو ما لم يفعلوه مع غيره من رؤساء الوفود، وفيهم من ولّاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على قومهم؟!

وإن كان قد وفد وحده فلماذا عقد النبي «صلى الله عليه وآله» له لواء، في الوقت الذي كان لا يعقد لواءً لأقل من عشرة ـ كما قدمناه في بعض الفصول السابقة(١).

إلا أن يقال: إن ما عرف عنه «صلى الله عليه وآله» من أنه كان لا يعقد لواء لأقل من عشرة، إنما هو لمن يريد تأميره على مجموعة بعينها، وفي مهمة محدودة، أما إذا كان المقصود هو التأمير على بلدة أو على منطقته، أو عشيرة، فلا حاجة إلى حضور تلك العشيرة بعينها .. بل يكفي أن يرسل إليها الوالي المعيَّن مع كتاب التولية، حتى لو كان ذلك الوالي وحده..

علماً بأن تلك العشيرة أو البلد، أو القوم هم أكثر من عشرة، فيتحقق بذلك النصاب. وليس حضورهم في محضر الرسول «صلى الله عليه وآله» ضرورياً..

والذي نظنه قوياً: أن هذا التعظيم والتفخيم لزمل.. ثم لبني عذرة يدخل في سياق مكافآت زمل على خدماته ومواقفه، وإخلاصه للعرش

---

(١) راجع: أسد الغابة ج٢ ص٢٥٩ ومصادر كثيرة أخرى في بعض الهوامش السابقة.

الأموي، ولقتله أبناء الأنبياء كما تقدم..

لا تسألوا الكهان:

ولعل سؤالهم عن أمر الكاهنة قد أريد به الإمتحان والإستكشاف لأمر النبوة، على أساس أنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» ـ والعياذ بالله ـ كاهناً، فسوف لا يمانع في مراجعتهم لتلك الكاهنة، وإن كان «صلى الله عليه وآله» نبياً حقاً فسوف يكون حاسماً في المنع من ذلك.

فلما ظهر لهم هذا الأمر الثاني قال متكلمهم: الله أكبر، على سبيل الإستحسان والظفر بالمطلوب.

هرقل عقدة تحتاج إلى حل:

وقد أظهر بنو عذرة ما يشير إلى أنهم رغم كونهم يعيشون في اليمن، فإنهم كانوا يعانون من عقدة الخوف من هرقل، الذي كانت تفصلهم عنه مسافات شاسعة وبلاد واسعة، لمجرد أنهم يسافرون إلى طرف من أطراف مناطق نفوذ هرقل، وهو الشام..

وهم يرون: أن لملكه من القوة والإمتداد ما يجعله خارجاً عن تقديرات البشر، فلا محيص عن اللجوء في ذلك إلى الإخبارات الغيبية الإلهية.. ولذلك سألوا النبي «صلى الله عليه وآله» عن أمره..

ولعل مما هيأهم للإنبهار بهرقل والشعور بعظمته، وهول أمره: أنهم قد شهدوا أو سمعوا بالنصر الكبير الذي سجله على مملكة فارس، تصديقاً للوعد الإلهي الوارد في سورة الروم: ﴿**الم، غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الأَرْضِ**

وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾(١).

ولعل رؤيتهم هزيمة كسرى، ووقوفهم على مدى ما تعانيه مملكة فارس من مشكلات، ومن انقسامات تقطع أوصالها، جعلهم لا يهتمون بمعرفة مصيرها، فإن شواهده لائحة، ودلائله واضحة، ولأجل ذلك اقتصر سؤالهم على هرقل، وأهملوا ذكر كسرى..

السؤال عن الأشخاص:

ويلاحظ هنا: أنهم سألوا النبي «صلى الله عليه وآله» عن مصير هرقل، لا عن مصير مملكة الروم، لأنهم اعتادوا أن يكون الملك للشخص، وأن يردوا كل شيء مسخراً لخدمته، وأغراضه، وتلبية رغباته والإستجابة لشهواته، والإنسياق مع أهوائه؛ فالحكم والحكومة والمال والرجال، والعساكر، والبلاد والعباد، ليس بذي قيمة، ولا يشعر أحد بوجود أي شيء من ذلك إلا بمقدار ما يؤدّيه من خدمات في هذا الإتجاه.. ولأجل ذلك لم يسألوا عن مصير مملكة الروم أو مملكة فارس، بل سألوا عن مصير شخص هرقل.

ولكن الإسلام يعلِّم أتباعه: أن يعتبروا أن الإرتباط أولاً وبالذات يكون بالله، ثم بالنهج والدين والحق، وبالرسول والإمام من حيث إنه باب الله الذي منه يؤتى، وأنه نهجه القويم، وصراطه المستقيم، وأنه مصباح هدى، وسفينة نجاة..

---

(١) الآيات ١ إلى ٣ من سورة الروم.

وفود بلي:

عن رويفع بن ثابت البلوي قال: قدم وفد من قومي في شهر ربيع الأول سنة تسع، فأنزلتهم في منزلي ببني جديلة، ثم خرجت بهم حتى انتهينا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو جالس مع أصحابه في بيته في الغداة، فسلمت. فقال: «رويفع».

فقلت: لبيك.

قال: «من هؤلاء القوم»؟

قلت: قومي.

قال: «مرحباً بك وبقومك».

قلت: يا رسول الله، قدموا وافدين عليك مقرِّين بالإسلام، وهم على من وراءهم من قومهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من يرد الله به خيراً يهده للإسلام».

قال: فتقدم شيخ الوفد، أبو الضبيب، فقال: «يا رسول الله، إنَّا قدمنا عليك لنصدقك ونشهد أن ما جئت به حق، ونخلع ما كنا نعبد ويعبد آباؤنا».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الحمد لله الذي هداكم للإسلام، فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار».

وقال له أبو الضبيب: يا رسول الله، إني رجل لي رغبة في الضيافة، فهل لي في ذلك أجر؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نعم، وكل معروف صنعته إلى

غني أو فقير فهو صدقة».

قال: يا رسول الله، ما وقت الضيافة؟

قال: «ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فصدقة، ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحرجك».

قال: يا رسول الله، أرأيت الضالة من الغنم أجدها في الفلاة من الأرض.

قال: «لك ولأخيك، أو للذئب».

قال: فالبعير.

قال: «ما لك وله، دعه حتى يجده صاحبه».

[**قال رويفع**]: وسألوا عن أشياء من أمر دينهم فأجابهم.

ثم رجعت بهم إلى منزلي، فإذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأتي بحمل تمر يقول: «استعن بهذا التمر».

قال: فكانوا يأكلون منه ومن غيره.

فأقاموا ثلاثاً، ثم جاؤوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يودعونه.

فأمر لهم بجوائز كما كان يجيز من كان قبلهم، ثم رجعوا إلى بلادهم[1].

تنبيه:

إنه إذا صح أن رجوع النبي «صلى الله عليه وآله» من تبوك كان في شهر

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٨٢ عن الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٢ ص٩٤ وعن ابن شاهين عن ابن إسحاق، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص٢١٦ و ٢١٧، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣١٠، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٣.

رمضان، فوفد ثقيف لا يمكن أن يكون في شعبان.. ويتأكد صحة أن يكون وفدهم الثاني قد جاء إليه في شهر رمضان. وفي جميع الأحوال نقول:

الوفد الثاني لثقيف:

وجاء وفد ثقيف الثاني ـ كما يقول بعضهم ـ في شهر شعبان سنة تسع وكان خروجه من المدينة إلى تبوك يوم الخميس في رجب في تلك السنة[1].

لكن قال في زاد المعاد: قال ابن إسحاق: وقدم في رمضان سنة تسع منصرفه من تبوك وفد ثقيف، وكان من حديثهم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما انصرف عنهم اتّبعه عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يدخل المدينة، فأسلم، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنهم قاتلوك»، وعرف أن فيهم نخوة الإمتناع الذي كان منهم.

فقال عروة: لو وجدوني نائماً ما ايقظوني. أو قال: يا رسول الله، أنا أحب إليهم من أبكارهم. وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً.

فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء ألا يخالفوه لمنزلته فيهم. فلما أشرف لهم على عُلِّيَّة له، وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله. فقيل لعروة: ما ترى في دمك؟

قال: «كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إلي، فليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل أن يرتحل

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٢١ عن ابن سعد، ومغلطاي.

عنكم، فادفنوني معهم». فدفنوه معهم.

فزعموا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال فيه: «إن مثله في قومه لَكَمَثَلِ صاحب يس في قومه»[١].

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً، ثم إنهم لما رجع النبي «صلى الله عليه وآله» من تبوك، وكانت ثقيف قد رأت ممن حولها ما يسوؤها في الأموال والأنفس، إذ أسلم من حولهم وكانوا يستلبون أموالهم، ويرعون زروعهم، ولا يؤدون لهم ديونهم، فقرر الذين لم يسلموا منهم أن يسلموا.

فائتمروا بينهم، ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، وقد بايعوا وأسلموا. وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجلاً كما أرسلوا عروة، فكلموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير، وكان سِنَّ عروة بن مسعود، وعرضوا عليه ذلك. فأبى أن يفعل، وخشي أن يصنع به إذا رجع كما صنع بعروة.

فقال: لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجالاً.

فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٩٦ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٢١ و ١٢٢ وأسد الغابة ج٣ ص٤٠٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٩٤ والكامل لابن بن الأثير ج٢ ص١٠٨ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٣ وعن السيرة لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٨، وعمدة القاري ج١٤ ص٩، والإستيعاب ج٣ ص١٠٦٧، وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٦٣، والوافي بالوفيات ج١٩ ص٣٦١، والبداية والنهاية ج٥ ص٣٦، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٤.

فيكونوا ستة، وقيل: غير ذلك[1].

وكانت ثقيف طائفتين: بنو مالك والأحلاف، وكانوا أهل حرث وتجارة ولهم أموال عظيمة وديون كثيرة على الناس، فبعثوا مع عبد ياليل: الحكم بن عمرو بن وهب، وشرحبيل بن غيلان. ومن بني مالك: عثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونمير بن خرشة.

فخرج بهم عبد ياليل، فلما دنوا من المدينة، ونزلوا قناة ألفوا بها المغيرة بن شعبة. فاشتد ليبشر بهم النبي «صلى الله عليه وآله»، فلقيه أبو بكر فقال: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى أكون أنا أحدثه.

فدخل أبو بكر على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخبره بقدومهم. ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروح الظهر معهم. وعلمهم كيف يحيون رسول الله «صلى الله عليه وآله». فأبوا إلا تحية الجاهلية.

ولما قدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ضرب لهم قُبَّة في ناحية المسجد، لكي يسمعوا القرآن، ويروا الناس إذا صلوا.

وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى كتب كتابهم بيده. وكانوا لا يأكلون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا.

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٩٦ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٩٥ و ١٩٧ وعن الكامل لابن الأثير ج٢ ص١٠٨ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٤ وعن السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٩.

وكان فيما سألوا أن يدع لهم الطاغية وهي اللّات، ولا يهدمها ثلاث سنين، حتى سألوه شهراً، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام. فأبى رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدمها.

وقد كانوا سألوه أن يعفيهم من الصلاة، وألا يكسروا أوثانهم بأيديهم. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه».

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً، أمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص بإشارة أبي بكر كما عن ابن إسحاق[1]، وكان من أحدثهم سناً، وذلك أنه كان من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن[2].

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٢٥، وسبل السلام للكحلاني ج١ ص١٢٧، والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١ مقدمة التحقيق ص٤٢ نقلاً عن الطبري، والبحار ج٢١ ص٣٦٤ والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص ٣٦١، ومكاتيب الرسول ج١ ص٣١ عن اليعقوبي ج٢ ص٦٦ وج١ ص١٦٩ عن تاريخ الخميس ج٢ ص١٨١، ومسند احمد ج٤ ص٢١ و٢١٦، وصحيح مسلم ج٢ ص٤٣، وسنن ابن ماجة ج٢ ص١١٧٤، وسنن أبي داود ج١ ص١٣٠، والمستدرك للحاكم ج١ ص١٩٩ و٢٠١، والسنن الكبرى للبيهقي ج١ ص٤٢٩ وج٣ ص١١٨، وشرح مسلم للنووي ج٤ ص١٨٥، وفتح الباري ج٢ ص١٦٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٩٦ و ٢٩٧ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٢٤ و ١٢٥، ومسند احمد ج٤ ص٢١٨، ومجمع الزوائد للهيثمي ج١ ص٢٧٧.

وروي عنه أنه قال: قدمت في وفد ثقيف حين قدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله». فلما حللنا بباب النبي «صلى الله عليه وآله» قالوا: من يمسك رواحلنا؟ فكل القوم أحب الدخول على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكره التخلف عنه، وكنت أصغرهم، فقلت: إن شئتم أمسكت لكم على أن عليكم عهد الله لتمسكن لي إذا خرجتم.

قالوا: فذلك لك.

فدخلوا عليه ثم خرجوا، فقالوا: انطلق بنا.

قلت: إلى أين؟

قالوا: إلى أهلك.

فقلت: «ضربت من أهلي حتى إذا حللت بباب رسول الله «صلى الله عليه وآله» أرجع ولا أدخل عليه؟ وقد أعطيتموني ما علمتم»؟!.

قالوا: فاعجل، فإنا قد كفيناك المسألة، لم ندع شيئاً إلا سألناه.

فدخلت فقلت: يا رسول الله، ادع الله تعالى أن يفقهني في الدين ويعلمني.

قال: «ماذا قلت»؟

فأعدت عليه القول.

فقال: «قد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أصحابك، اذهب فأنت أمير عليهم وعلى من تقدم عليه من قومك».

وفي رواية: فدخلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسألته

مصحفاً كان عنده فأعطانيه[١].

ونص آخر يقول:

وكانوا يغدون على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في كل يوم، ويخلفون عثمان بن أبي العاص على رحالهم، لأنه أصغرهم. فلما رجعوا عمد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسأله عن الدين، واستقرأه القرآن حتى فقه في الدين وعلم. فأعجب ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأحبه. فمكث الوفد يختلفون إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يدعوهم إلى الإسلام، فأسلموا.

فقال كنانة بن عبد ياليل: هل أنت مقاضينا حتى نرجع إلى قومنا؟

قال: نعم، إن أنتم أقررتم بالإسلام أقاضيكم، وإلا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم.

قالوا: أفرأيت الزنا؟ فإنا قوم نغترب لا بد لنا منه.

قال: وهو عليكم حرام، إن الله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[٢].

قالوا: أفرأيت الربا فإنه أموالنا كلها؟

قال: لكم رؤوس أموالكم، إن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٩٧ عن الطبراني، ومجمع الزوائد ج٩ ص٣٧١ وحياة الصحابة ج٣ ص٢٤٤، ومجمع الزوائد ج٩ ص٣٧١، والآحاد والمثاني للضحاك ج١ ص٤٠ وج٣ ص١٩١، والمعجم الكبير للطبراني ج٩ ص٦١.

(٢) الآية ٣٢ من سورة الإسراء.

اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

قالوا: أفرأيت الخمر فإنه لا بد لنا منها ؟

قال: إن الله تعالى قد حرمها وقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

فارتفع القوم وخلا بعضهم ببعض، وكلموه ألَّا يهدم الربة، فأبى، فقال ابن عبد ياليل: إنَّا لا نتولى هدمها.

فقال: «سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها». وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص كما تقدم لما علم من حرصه على الإسلام. وكان قد تعلم سوراً من القرآن قبل أن يخرج لما سألوه أن يؤمّر عليهم[3].

هدم الطاغية:

وقالوا أيضاً: لما توجه أبو سفيان والمغيرة إلى الطائف لهدم الطاغية أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان، فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال: ادخل أنت على قومك. وأقام أبو سفيان بماله بذي الهرم[4].

---

(١) الآية ٢٧٨ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٩٠ من سورة المائدة.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٩٨ وراجع: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٢٥ و ١٢٦، والبداية والنهاية ج٥ ص٤١، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦٢.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٩٧ عن زاد المعاد عن ابن إسحاق وغيره والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٢٥، والدرر لابن عبد البر ص٢٤٩، وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٦٦، والبداية والنهاية ج٥ ص٤٠، والسيرة النبوية لابن هشام =

فلما دخل المغيرة علاها ليضربها بالمعول، وقام قومه دونه، بنو معتب، خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة. فلما هدمها المغيرة، وأخذ مالها وحُلِيِّها أرسل أبا سفيان بمجموع ما لها من الذهب والفضة والجزع[1].

الوفد العائد:

ولما رجع الوفد خرجت ثقيف يتلقونهم، فلما رأوهم ساروا العنق، وقطروا الإبل قال بعضهم لبعض: ما وفدكم بخير، وقصد الوفد اللات، ونزلوا عندها.

فقال ناس من ثقيف: إنهم لا عهد لهم برؤيتنا، ثم رحل كل رجل منهم إلى أهله، فسألوهم: ماذا جئتم به؟

قالوا: أتينا رجلاً فظاً غليظاً، قد ظهر بالسيف، وداخ له العرب، قد عرض علينا أموراً شداداً: هدم اللات.

فقالت ثقيف: والله لا نقبل هذا أبداً.

فقال الوفد: أصلحوا السلاح، وتهيأوا للقتال.

فمكثت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة يريدون القتال، ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب، فقالوا: والله، ما لنا به من طاقة، فارجعوا فاعطوه ما سأل.

= ج٤ ص٩٦٨، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٢٧٣، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦١، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٤.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٩٧، وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٦٦، والبداية والنهاية ج٥ ص٤٠، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٦٨، وعيون الأثر ج٢ ص٢٧٣، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦١.

فلما رأى الوفد أنهم قد رغبوا واختاروا الإيمان قال الوفد: فإنَّا قاضيناه وشرطنا ما أردنا، ووجدناه أتقى الناس، وأوفاهم، وأرحمهم، وأصدقهم، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه، فاقبلوا عافية الله.

فقالت ثقيف: فلم كتمتونا هذا الحديث؟

فقالوا: أردنا أن ننزع من قلوبكم نخوة الشيطان، فأسلموا مكانهم، ومكثوا أياماً. ثم قدم رسل النبي «صلى الله عليه وآله»، وعمدوا إلى اللات ليهدموها، فهدمها المغيرة حسبما تقدم[1].

وقال عثمان بن أبي العاص، كما رواه عنه أبو داود: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كانت طاغيتهم.

وقال عثمان: إنما استعملني رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأني كنت قرأت سورة البقرة، فقلت: يا رسول الله إن القرآن ينفلت مني، فوضع يده على صدري وقال: «يا شيطان، اخرج من صدر عثمان». فما نسيت شيئاً بعده أريد حفظه[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٩٨ و ٢٩٩ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧، وتاريخ المدينة للنميري ج٢ ص٥٠٥، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٧١، والبداية والنهاية ج٥ ص٤١، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٩٨ و ٢٩٩ عن أبي داود، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٢٦ و ١٢٧، ومجمع الزوائد ج٩ ص٣، والمعجم الكبير للطبراني ج٩ ص٤٧، والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص١٣٧، وتاريخ المدينة ج٢ ص٥٠٨، وإمتاع الأسماع ج٤ ص٣٩٥ ج١١ ص٣٢٢ و٣٢٥.

وعن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي قال: انطلقت في وفد ثقيف إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأتيناه فأنخنا بالباب، وما في الناس رجل أبغض إلينا من رجل نلج عليه، فلما خرجنا بعد دخولنا عليه فخرجنا وما في الناس أحب إلينا من رجل دخلنا عليه قال: فقال قائل منا: يا رسول الله، ألا سألت ربك ملكاً كملك سليمان؟

قال: فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم قال: «فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان «عليه السلام»، إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة، فمنهم من اتخذ بها دُنياً فأُعطيَها، ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه، فأُهلكوا بها، وإن الله عز وجل أعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة»[1].

كتاب رسول الله ﷺ لوفد ثقيف:

وعاد وفد ثقيف، وقد حصل على كتاب من رسول «صلى الله عليه وآله»، وهو التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي رسول الله «صلى

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٥ عن البخاري في تاريخه، والحارث بن أبي أسامة، وابن مندة، والطبراني، والبزار، والبيهقي، ومجمع الزوائد ج١٠ ص٣٧٤ عن الطبراني والبزار برجال ثقات، والمستدرك للحاكم ج١ ص٦٨، ومجمع الزوائد ج١٠ ص٣٧١، والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٤٣٢، والبداية والنهاية ج٥ ص١٠٠، وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٣ ص٢٨٤، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٦٥.

الله عليه وآله» لثقيف:

كتب أن لهم ذمة الله الذي لا إله إلا هو، وذمة محمد بن عبد الله النبي على ما كتب عليهم في هذه الصحيفة.

أن واديهم حرام محرم لله كل عضاهه وصيده، وظلم فيه، وسرق فيه، أو إساءة.

وثقيف أحق الناس بوجٍّ، ولا يعبر طائفهم، ولا يدخله عليهم أحد من المسلمين يغلبهم عليه، وما شاؤوا أحدثوا في طائفهم من بنيان أو سواه وبواديهم.

لا يحشرون، ولا يعشرون، ولا يستكرهون بمال الأنفس.

وهم أمة من المسلمين يتولجون من المسلمين حيث ما شاؤوا، وأين تولجوا ولجوا.

وما كان لهم من أسير فهو لهم، هم أحق الناس به حتى يفعلوا به ما شاؤوا.

وما كان لهم من دين في رهن فبلغ أجله، فإنه لواط (لياط) مبرأ من الله، وما كان من دَين في رهن وراء عكاظ، فإنه يقضى إلى عكاظ رأسه.

وما كان لثقيف من دَين في صحفهم اليوم الذي أسلموا عليه في الناس فإنه لهم.

وما كان لثقيف من وديعة في الناس أو مال أو نفس غنمها مُوْدِعُها أو أضاعها ألا فإنها مؤداة.

وما كان لثقيف من نفس غائبة أو مال، فإن له من الأمن ما لشاهدهم.

وما كان لهم مال بِلَّيَةَ فإن له من الأمن ما لهم بوجّ.

وما كان لثقيف من حليف أو تاجر فأسلم فإن له مثل قضية أمر ثقيف.

وإن طعن طاعن على ثقيف أو ظلمهم ظالم، فإنه لا يطاع فيهم في مال ولا نفس، وأن الرسول ينصرهم على من ظلمهم والمؤمنون.

ومن كرهوا أن يلج عليهم من الناس فإنه لا يلج عليهم.

وأن السوق والبيع بأفنية البيوت.

وأنه لا يؤمّر عليهم إلا بعضهم على بعض، على بني مالك أميرهم، وعلى الأحلاف أميرهم.

وما سقت ثقيف من أعناب قريش فإن شطرها لمن سقاها.

وما كان لهم من دين في رهن لم يلط، فإن وجد أهلها قضاء قضوا، وإن لم يجدوا قضاء، فإنه إلى جمادى الأولى من عام قابل، فمن بلغ أجله فلم يقضه فإنه قد لاطه.

وما كان لهم في الناس من دين فليس عليهم إلا رأسه.

وما كان لهم من أسير باعه ربه فإن له بيعه، وما لم يبع فإن فيه ست قلائص نصفين: حقاق، وبنات لبون، كرام سمان.

ومن كان له بيع اشتراه فإن له بيعه[1].

---

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص٥٦ و ٥٧ و ٦٥ و ٦٦ عن المصادر التالية: الأموال لأبي عبيد ص١٩٠ وفي (ط أخرى) ص٢٧٦ ومدينة البلاغة ج٢ ص٣٣٦. ومجموعة الوثائق السياسية ص٢٨٤ والخراج لقدامة ورقة ١٢٣، والسهيلي ج٢ ص٦٢ و ٣٢٧ والعباب للصاغاني (خطية) مادة «ليط»، والكامل لابن الأثير ج١ ص٢٤٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٥١٠ وعن ص٣٧٢ وج١ ص٢٨٥ وعن ج٤ ق١ ص٦٩ والوثائق ص٧٢٠ عن ابن شبة، ونشأة الدولة =

كتاب آخر لوفد ثقيف:

وسأل وفد ثقيف رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يجعل وجّاً حمى لهم، فأجاب طلبهم، وكتب لهم الكتاب التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين: إن عضاه وَجّ وصيده حرام لا يُعْضَد [ولا يقتل صيده]، فمن وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه، ومن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ النبي محمداً، وإن هذا أمر النبي محمد رسول الله. وكتب خالد بن سعيد بأمر من محمد بن عبد الله رسول الله [فلا يتعدَّه أحد فيظلم نفسه فيما

= الإسلامية ص٣١٥. وراجع: فتوح البلدان ص٦٧ وفي (ط أخرى) ص٧٥ والإصابة ج١ ص١٨٤/ ٨٣٩ في ترجمة تميم بن جراشة الثقفي، وأنساب الأشراف (تحقيق محمد حميد الله) ص٣٦٦ وأسد الغابة ج١ ص٢١٦ و ج٣ ص٣٧٣ والتراتيب الإدارية ج١ ص٢٧٤ عن السهيلي، والثقات لابن حبان ج٢ ص١١٢ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٢ ص٥٠٧ و ٥١٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص١٩٧ وغريب الحديث لأبي عبيد ج٣ ص١٩٨ والفائق للزمخشري ج٣ ص٥٨ و ٢٣٨ والنهاية، ولسان العرب في ليط، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٣ ص٨٣ و ٩٩ ورسالات نبوية ص١٣ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٤٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ ص٨٢٣ والأموال لابن زنجويه ج٢ ص٤٥٣ وحياة الصحابة ج١ ص١٦٥ و ١٦٦ والعقد الفريد ج٢ ص٣٥ ومعجم البلدان ج٤ ص١٢ في «الطائف»، والدر المنثور ج١ ص٣٦٤ ومعجم قبائل العرب ج١ ص١٥٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٨٤ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٦٧ وراجع: مجمع الزوائد ج٤ ص١١٩.

أمر به محمد رسول الله لثقيف]».

وشهد على نسخة هذه الصحيفة صحيفة رسول الله التي كتب لثقيف علي بن أبي طالب، وحسن بن علي، وحسين بن علي، وكتب نسختها لمكان الشهادة[١].

واستعمل «صلى الله عليه وآله» سعد بن أبي وقاص على حمى وَجّ[٢].

وذكر ابن سعد في الطبقات شهادة الحسنين «عليهما السلام» على

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٩٨ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٢ و٧٣ عن المصادر التالية: الأموال لأبي عبيد ص١٩٣ وفي (ط أخرى) ص٢٧٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٨٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٤٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٩٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٨٥ وفي (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٣٣ وعن ج٤ ق١ ص٦٩ وإعلام السائلين ص٥٠ وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٥٢ عن المواهب اللدنية شرح الزرقاني ج٤ ص١٠ ورسالات نبوية ص٣٠٧/ ١١٤ والأموال لابن زنجويه ج٢ ص٤٥٢ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٧٣ وزاد المعاد لابن القيم ج٢ ص١٩٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٤ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص١١ والمواهب اللدنية ج١ ص٢٣٦ ومدينة البلاغة ج٢ ص٣٣٥ وسيرة النبي «صلى الله عليه وآله» لإسحاق بن محمد الهمداني قاضي أبرقوه ص٩٩٧ ومجموعة الوثائق السياسية ص٢٨٧/ ١٨٢ عن مجموعة المكتبات للديبلي/ ١٧ وابن هشام، وابن سعد، والواقدي، وابن كثير، والقسطلاني في المواهب، ورسالات نبوية، وزاد المعاد، والأموال لأبي عبيد، وابن زنجويه، وإمتاع الأسماع للمقريزي ج١ ص٤٩٣ و ٤٩٤ ثم قال: قابل سنن أبي داود، ووفاء الوفا ص١٠٣٦ وانظر كايتاني ص٥٨٩ التعليقة الرابعة واشپربر ص٧٢ واشپرنكر ج٣ ص٤٨٦.

(٢) المغازي للواقدي ج٣ ص٩٧٣، وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٢ ص٨٨.

الكتاب الأول، دون الثاني[1].

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات، نجملها فيما يلي:

إيضاحات لا بد منها:

وقبل أن نشرع في بيان ما ربما يكون بيانه مفيداً نشير إلى بعض الإيضاحات لنصوص الكتابين المذكورين آنفاً، فنقول:

ثقيف قبيلة من هوازن، وهم قسمان: الأحلاف، وبنو مالك. وكانوا يعبدون اللات، ويسمونها الربة.

العضاه: كل شجر ذي شوك، وقد ذكر الكتاب: أنه لا يجوز ظلم ثقيف في واديهم، ولا السرقة، ولا الإساءة.

لا يعضد: لا يقطع.

وَجّ: بفتح الواو وتشديد الجيم: قال في القاموس: «اسم واد بالطائف، لا بلد به. وغلط الجوهري [وهو ما بين جبلي المحترق والأُحَيْحَدين] ومنه آخر وطأة وطئها الله تعالى بِوَجّ، يريد غزوة حنين لا الطائف وغلط الجوهري.

وحنين: واد قبل وَجّ، أما غزوة الطائف، فلم يكن فيها قتال». انتهى.

قال في النور: قوله لم يكن فيها قتال، فيه نظر، إلا أن يريد توجهه [إلى موضع العدو وإرهابه][2].

---

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص٧٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٠٢ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٢٧ و ١٢٨.

لا يعبر طائفهم: أي بغير إذنهم، ولا يدخل فيه أحد بغير إذنهم.

لا يحشرون: أي لا تضرب عليهم البعوث، أو لا يحشرون إلى عامل الزكاة، بل يأخذها في أماكنها.

ولا يعشرون: أي لا يؤخذ منهم عشر أموالهم كضريبة كانت معروفة قبل الإسلام، وإنما تؤخذ منهم الصدقة الواجبة.

يلجون: أي يدخلون بلاد المسلمين حيث شاؤوا.

وما كان لهم من أسير: أي أسروه في الجاهلية، فهو لهم حتى يأخذوا فديته، فإن الإسلام أقرّ الناس على ما في إيديهم من مال، وأرض، وعبيد وإماء. وجعل لهم أن يفادوا أسراهم وحدد فداء كل أسير بست قلائص، وليس لهم بيعه بعد هذا العهد، أما ما بيع قبله، فبيعه صحيح.

واللياط: الإلصاق، إي أنهم قد ألصقوا الربا بالبيع ولاطوه به، ولأجل ذلك حكم أنه إذا كان الدين إلى عكاظ، فإنه يقضي برأسه أي برأس المال، ويسقط الربا.

وكانت ثقيف تريد أن يبيح النبي «صلى الله عليه وآله» لها الربا الذي كانت تتعامل به بكثرة، وكانت تملك أموالاً طائلة فتقرض وترهن.

وقد حكم «صلى الله عليه وآله» أيضاً بأن المديون لهم يعطيهم الدين، ولا يعطيهم الربا، فإن الربا قد ألصق بالبيع وبالرهن بغير وجه حق.

لِية ـ بكسر اللام ـ: وادٍ لثقيف قرب الطائف.

القلوص: الناقة الشابة.

الحقة: الناقة التي دخلت في الرابعة.

وبنت اللبون: الناقة التي دخلت في الثالثة.

إلغاء سوق عكاظ:

ويلاحظ هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد صرح بأن عليهم البيع بالأفنية. أي في الساحات المتسعة أمام دورهم أو في بلدهم..

فهل هذا يهدف إلى تثبيطهم عن الإرتحال إلى سوق عكاظ الذي كان يشتمل على المفاسد، لما يكون فيه من هجاء، وافتخار بمآثر الجاهلية، وتشبيب بالنساء، وغير ذلك مما من شأنه أن يترك آثاراً سيئة على العلاقات بين الناس، وعلى أخلاقهم، وعلى حالاتهم الإجتماعية.

شهادة الحسنين عليهما السلام على كتاب ثقيف:

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أشهد الحسنين «عليهما السلام» على كتاب ثقيف، وكان عمرهما في سنة تسع خمس و ست سنين، وفي هذا تعظيم لشأنهما، وإظهار لفضلهما.

وفيه أيضاً: دلالة على أن الحسنين «عليهما السلام» قادران على حفظ حقوق الناس، حتى وهما في هذه السنّ، لأنهما يملكان من الوعي والإدراك والعقل وسداد الرأي، والإتزان وقوة الإلتزام، ما يكفي لذلك، وهذه ميزة لم تكن لغيرهما ممن هو أكبر منهما سناً..

على أن من الواضح: أن هذه الشهادة قد كانت على أمر يرتبط بمصير جماعة كبيرة من الناس، فإنهما لم يشهدا على ملكية شاة أو دار، أو قطعة أرض، بل على ما هو أجل وأخطر من ذلك بكثير..

مع ملاحظة: أن شهادتهما قد أُثبتت إلى جانب شهادة أبيهما في أمر يرتبط بسياسة العباد، وبالتعهدات الملزمة فيما بين إمام المسلمين وبين جماعة

من الناس أصرت على مناوأة الإسلام وأهله حقبة من الزمن.

وقد أُثبتت شهادتهما مع أبيهما، دون غيرهم من المسلمين، كبيرهم وصغيرهم، مع أن الجميع كانوا موجودين، أو غير بعيدين..

فما هو السبب في ذلك يا ترى؟! فهل يراد الإلماح إلى أن من يفي بهذا العهد، ويكون المسؤول عنه هو القائم بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو علي «عليه السلام» ثم الحسن، ثم الحسين صلوات الله وسلامه عليهما؟!..

ملك سليمان:

وتقدم: أن أحد أعضاء وفد ثقيف قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: لو سألت ربك ملكاً كملك سليمان؟!

فضحك «صلى الله عليه وآله» وقال: فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان الخ..

ومن الواضح: أن هؤلاء الناس يرون أن العظمة والمقام والفضل إنما يكون بالملك والسلطان في الدنيا.. وأن المثل الأعلى لذلك بنظرهم هو ملك سليمان..

وقد ضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ضحك الإستهانة بهذه النظرة، ثم أوضح لهم أن الأمر ليس كما يظنون، فإن الملك الحقيقي والعظيم والجليل، قد لا يكون ظاهراً لهم، وأن من يرونه فاقداً للملك قد يكون هو الأغنى، والأعظم ملكاً، والأوسع نفوذاً، وسلطاناً، والأقوى شوكةً، والأجل مقاماً، والأكرم والأفضل، فإن المعيار في الملك والكرامة

هو ما أعده الله تعالى لعباده، فاذا كان الناس لا يدركون بواطن الأمور فلا يحق لهم إصدار الأحكام، وليس لهم أن يقولوا:

هذا واجد، وهذا فاقد.. وعليهم أن يتوقعوا أن يكون الأمر حين تتكشف لهم الأمور على خلاف ما هي عليه في ظاهر الحال..

ثم أخبرهم زيادة على ذلك بأنه «صلى الله عليه وآله» يملك دعوة قد خبأها لأمته، وأن ما ناله سليمان إنما ناله بدعوة مثلها، أما نبينا «صلى الله عليه وآله» فلعل الله تعالى قد أعطاه بالإضافة إلى تلك الدعوة ملكاً أعظم من ملك سليمان.. وقد أبقى دعوته لأمته، وبذلك يكون قد بلغ منتهى الفضل، وأقصى غايات الكرامة..

علم عثمان بن أبي العاص:

وقد ذكر في ما تقدم: أن عثمان بن أبي العاص بعد أن رجع الوفد من عند رسول الله عمد إليه «صلى الله عليه وآله» فسأله عن الدين، واستقرأه القرآن حتى فقه وعلم.. فمكث الوفد عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى قبلوا الإسلام..

ونقول:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن قد فرّغ نفسه لتعليم عثمان بن أبي العاص، وكان من عادته أن يدفع من يريد التفقه في الدين إلى بعض أصحابه ليتولى هو ذلك.

ولو فرض أنه قد أعطاه من وقته، فإن هذه الأيام اليسيرة جداً لم تكن تكفي لأن يفقَه عثمان ويعلم..

على أن الرواية الأخرى تكاد تكون صريحة في أن الوفد التقى بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فلما حصل على ما أراد، خرج من عنده عازماً على السير، ولم يرضوا إلا بإعطاء فرصة يسيرة جداً لعثمان بن أبي العاص ليلتقي برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأمروه بالعجلة، ومعنى هذا هو أنه لم يمكث عند النبي «صلى الله عليه وآله»، لا أياماً ولا ساعات فكيف يفقه ويعلم، بتعليم رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!.

لا خير في دين لا صلاة فيه:

والصلاة هي الصلة بين العبد وربه، وهي تمثل فرصة لإظهار العبودية لله، وتبلور الشعور بألوهيته وهيمنته وقاهريته، والحاجة إليه، والإحساس برقابته، وهي تهدف إلى دفع العبد نحو عمل الخير، والإبتعاد عن المنكر، والفحشاء.. فمن أجل ذلك وسواه قال «صلى الله عليه وآله»: «لا خير في دين لا صلاة فيه».

لا مساومة على أحكام الله:

وقد رفض «صلى الله عليه وآله» أن يساوم وفد ثقيف على شيء من أحكام الله تبارك وتعالى، بحيث يصدر هو قراراً بتجويز ارتكاب تلك المحرمات لهم.. لأن ذلك نقض لأحكام الله، وتضييع لشرائعه.

أما حين يبقى حكم الله تعالى ثابتاً، ويريد هذا أو ذاك أن يخالفه، فان الأمر يصبح أقل سوءاً وخطراً، لأن ذلك العاصي المتعمد يكون قد آذى نفسه بتعريضها لعقوبة الله تبارك وتعالى، وللمفاسد التي تنشأ عن تلك المخالفة.. كما أن المضطر للمخالفة فإنه وإن كان يعرض نفسه للمفسدة في الدنيا، أو

يفوّت على نفسه أجراً أو منفعة، لكن اضطراره يسقط عنه عقوبة الآخرة..

ولأجل ذلك نلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يجبرهم على هدم صنمهم بأيديهم، ولكنه لم يفرط بالحكم الإلهي القاضي بلزوم هدمه، كما هو ظاهر لا يخفى..

جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ:

وقد تقدم: أن عثمان بن أبي العاص حين قدم على النبي «صلى الله عليه وآله» في وفد ثقيف سأل النبي «صلى الله عليه وآله» مصحفاً كان عنده، فأعطاه إياه..

وهذا يدل على أن القرآن قد جمع في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجُعل مصحفاً يراه ويطلبه هذا الرجل من النبي «صلى الله عليه وآله»، فيعطيه إياه..

وهذا يكذب ما زعموه: من أن القرآن قد جمع في عهد أبي بكر بشهادة رجلين، ورجل واحد أحياناً.

ولعل أبا بكر، أو أبا بكر وعمر كانا لا يملكان مصحفاً، ولم يرضيا بالمصحف الذي جاءهم به علي «عليه السلام»، وكان قد كتب فيه التنزيل والتأويل، والمحكم، والمتشابه، ومتى نزلت الآيات وفي من نزلت.

نعم.. لم يرضوا بهذا المصحف، لأن ذلك يحرجهم في كثير من الأمور، وفي الأشخاص والرموز التي يراد إشراكها في القرار، وفي السلطة..

فلم يكن لهم من خيار سوى تكليف زيد بن ثابت بجمع مصحف لهما، يكون خالياً عن ذلك كله، ففعل، فقيل: إن القرآن قد جمع على عهد أبي بكر..

وقد تكلمنا حول هذا الموضوع بنوع من التفصيل في كتابنا «حقائق هامة حول القرآن الكريم».

ادعُ الله أن يفقهني، ويعلمني:

وقد طلب عثمان بن أبي العاص من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يفقهه في الدين، ويعلمه.. وهذا يستثير سؤالاً هاماً جداً، يحتاج إلى الإجابة الصريحة، والواضحة وهو:

إنه لا شك في أن هذا الطلب قد جاء في آواخر حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يستطع عثمان أن يجالس رسول الله «صلى الله عليه وآله» سوى فترة قصيرة جداً، ثم انصرف إلى عمله في إدارة شؤون قومه..

ولا شك في أن العلم والفقه في الدين يحتاج إلى معلم، ولا يناله عثمان ولا غيره بالوحي، ولا يراه في المنام، فلماذا لم يرشده «صلى الله عليه وآله» إلى من يعلمه عقائده وشرائع دينه بعد وفاته؟!

وأليس ذلك يدل على لزوم وجود من يرجع الناس إليه بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

عثمان بن أبي العاص يمدح نفسه:

قد تقدم: أن عثمان بن أبي العاص يتحدث عن نفسه بما يشير إلى خصوصية وفضيلة له.. ونحن لا ننكر أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد ولّاه على الطائف، غير أننا نقول:

إن تولية النبي «صلى الله عليه وآله» له لا تعني أنه كان من الأخيار الأبرار، فقد ولى من لم يكن بذاك..

ومن جهة أخرى: فقد كان عثمان هذا موضع اهتمام من قبل الحاكمين، فقد استعمله أبو بكر وعمر(١)، واستعمله عمر على عمان والبحرين(٢).

المغيرة يقدم أبا سفيان، فيرفض:

وعن محاولة المغيرة تقديم أبي سفيان ليكون هو الذي يواجه ثقيف، حين هدم الطاغية، فلعله أراد أن يحرج أبا سفيان بهذا الأمر، ويخفف من حدة نظرة قومه إليه، بإظهاره أنه جاء تابعاً لأبي سفيان، ولكن أبا سفيان قد تلافى هذا الموقف بأن ترك المغيرة يدخل وحده على قومه، ويذهب هو إلى موضع له، وينزل فيه.

وهذا يدل على أن أبا سفيان والمغيرة كانا بعيدين عن دائرة الإيمان الصافي والصادق.. كما هو ظاهر لا يخفى.

توضيحات عن وفد ثقيف:

قد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد فتح الطائف، وأسقط مقاومة ثقيف، ولعل الذين أسلموا منهم كانوا ثلة قليلة لعلها لم تستطع

---

(١) راجع: مجموعة الوثائق السياسية ص٣٩٥ والكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٨٤ و٤٢١ والإصابة ج٢ ص٤٦٠ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٩١ واسد الغابة ج٣ ص٣٧٣ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٦٣ و٩٦٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٩٩ و٥٩٧، وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٣٧٤، والإصابة ج٤ ص٣٧٤، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٢٧٠.

(٢) المعارف لابن قتيبة ص١٥٣، وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٣٧٤، والإصابة ج٤ ص٣٧٤، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٢٧٠.

الصمود أمام الكثرة التي اختارت طريق الغي، أو أنها قد عادت إليه بعد أن كانت قد تظاهرت بالتخلي عنه.

ويبدو أن عروة بن مسعود قد ظن أنه قادر على التأثير عليهم، لمكانته فيهم، فأخبره «صلى الله عليه وآله» بأن الأمر لم يكن على ما يظن، فلما أصر عليه لم يشأ أن يحرمه من شرف الجهاد والشهادة. وربما يكون لشهادته بعض الأثر في عودة رشدهم إليهم، وتنبههم إلى الأخطار الجسام التي تنتظرهم لو أصروا على اللجاج والعناد والجحود، بعد أن رأوا أنهم قد أصبحوا حالة شاذة في محيطهم، وأن لا مناص لهم من مسايرة هذا الجو بما يحفظ لهم حياةِ طيبة وهادئة.

فأرسل الثقفيون الذين كانوا قد أبطأوا في الإستجابة لنداء الحق، أو كانوا قد نكثوا عهدهم، وعادوا إلى البغي والشرك والجحود ـ أرسلوا ـ وفدهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» برئاسة عبد ياليل بن عمرو..

وقد لاحظنا: أن عبد ياليل لم يرض بالذهاب وحده، بل اشترط أن يكون معه أناس آخرون من جميع طوائف لا يتمكن أحد من ثقيف أن يقدم على عمل يثير حفيظتها، ويجعلها في موقع المعادى والمحارب، فطلب أن يشاركه في الوفد اثنان من الأحلاف وثلاثة من بني مالك.

لكي يسمعهم القرآن ويريهم الصلاة:

وعن جعلهم في المسجد بحيث يرون صلاة المسلمين، ويسمعون القرآن، نقول:

إننا لا نريد أن نسهب في تفصيل دلالات، وغايات هذا الإجراء، بل

نقتصر على الإشارة إلى أن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» أراد أن يستثير فيهم حب المعرفة، وتلمس المعاني، والدلالات القرآنية والصلاتية، بأنفسهم، بعيداً عن مظاهر الحجاج والإحتجاج، وعن الشعور بأن ثمة سعياً لمحاصرتهم، والهيمنة على طريقة تفكيرهم أو التأثير على قراراتهم، فتتحرك فيهم نوازع الممانعة، والسعي نحو التفلت والخروج من دائرة الحصار، وتحقيق ما يشبه الإنتصار..

إنه «صلى الله عليه وآله» يريد لهم ان يرجعوا إلى فطرتهم، وإلى ما يرضاه لهم وجدانهم وضميرهم، فيتدبروا هذا القرآن، ويفكروا في معاني الحركات والأقوال، والمظاهر الصلاتية ودلالاتها بعفوية وهدؤ وصفاء.

استئثار أبي بكر بالبشارة:

وقد أقسم أبو بكر على المغيرة بن شعبة، الذي كان يشتد لتبشير رسول الله «صلى الله عليه وآله» بوفد ثقيف، أن لا يسبقه بالبشارة، حتى يكون أبو بكر هو الذي يبشره..

ولا ندري لماذا يحرص أبو بكر على إخبار رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذا الأمر؟! ألا يعد ذلك شاهداً أو دليلاً على أن حبه لنفسه قد تجاوز الحد حتى جعله يستأثر على الآخرين حتى بمثل هذا الأمر العادي جداً والبسيط؟!

ولماذا يحرم غيره حتى من إبلاغ خبر سار لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ويصده عنه بالقسم، ولا يترك له حرية السعي إلى ما يريد؟! فإن كان له هو رغبة في شيء من ذلك فليبذل جهده أيضاً، فأيهما سبق فقد حصل على مبتغاه، ويبقى للآخر ثواب سعيه، إلا أن يكون المقصود هو: لفت

النظر، وإعلام الناس بأنه قد أدى خدمة، وقام بعمل وهو الذي لم يُعهد منه القيام بشيء ذي بال!!

ويا ليت هذا الحرص على الأجر والثواب لدى أبي بكر يتجلى لنا في ساحات الجهاد، ومقارعة الأبطال!! التي يغيب عنها غيبة من يكاد يُحْسَبُ في عداد الأموات..

أسكنهم في ناحية المسجد:

وعن ضرب القبة للوفد في ناحية المسجد نقول:

إن ذلك لا يعني أنه «صلى الله عليه وآله» قد أسكنهم في داخل مسجده، الذي تكون صلاة المسلمين فيه، ليقال: إنه قد أدخل المشركين إلى المسجد، بل أسكنهم في ناحية منه، فلعلها دار المسجد، أو بعض الملحقات به، ولعلها موضع الصفة المعروف أو نحو ذلك، فليس في هذا النص دلالة على جواز دخول المشركين للمساجد..

يسيئون الظن برسول الله ﷺ:

وعن أنهم كانوا لا يأكلون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى يأكل منه خالد نقول:

إن الإنسان الغادر يظن أن غيره غادر مثله، ولذلك لم يقتنع هؤلاء بأن لمحمد «صلى الله عليه وآله» طريقة وخلقاً يختلف عما عرفوه وألفوه، رغم أنهم قد عاينوا أو سمعوا طيلة عشرات السنين الكثير الكثير من المفردات التي تدل على هذه المباينة فيما بينه وبينهم.. والمضحك المبكي أن هؤلاء الغدرة أنفسهم يدّعون للناس أنهم أوفياء، كما يدّعي الجبناء أنهم شجعان،

والبخلاء أنهم أسخياء.

تأجيل هدم الطاغية:

ومن السخف الظاهر، والتفاهة الفاضحة أن يطلب وفد ثقيف من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يَدَع لهم «اللات» ولا يهدمها ثلاث سنين، فلم يقبل منهم، حتى طلبوا منه شهراً، فأبى عليهم أن يدعها لهم شيئاً مسمى..

فإنه إذا كان لا بد من هدمها، بعد ثلاث سنوات، أو أقل أو أكثر، فذلك يعني أنها لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن أن يكون لها أي تأثير بالنسبة لغيرها، فهي إذن فاقدة لما تستحق به العبادة ولو لحظة واحدة. فما معنى أن يتعلقوا بها إلى هذا الحد.. وما الفرق بين اللحظة وبين الألف عام؟!

ومن جهة أخرى: فإنه «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يرضى بإبقائها إلا إذا رضي بأن تعبد ولو لحظة واحدة، فإذا كانت أهلاً للعبادة في تلك المدة أو اللحظة، فلا يصح هدمها بعد ذلك أيضاً، لأن حالها لم تختلف، وأهليتها لا تزال محفوظة، فإن منعت من هدمها وجوزت عبادتها لحظة، فهي تمنع من ذلك، وتجوز عبادتها في اللحظة التي بعدها وهكذا إلى ما لا نهاية.

وقد زعموا: أن هدفهم من تأخير هدم اللات هو: أن لا يستثار سفهاؤهم، ونساؤهم وذرياتهم، ولا يروعوا قومهم بهدمها، حتى يدخلوا الإسلام.

غير أن من البديهي: أن إبقاء رمز الكفر من شأنه أن يبقي الإرتباط القلبي قائماً بين أولئك الضعفاء والسفهاء، وبين ذلك الرمز.. ويتبلور نتيجة لذلك شعور بإمكان التعايش والإنسجام والمصالحة بين حالتي

الشرك والتوحيد، والظلمة والنور، والحق والباطل، وسيزيد ذلك من صعوبة اقتلاع آثار الشرك وطرد الباطل من العقول والنفوس.

وذلك من شأنه أن يفسد الفطرة، ويربك ويبطئ حركة العقل، ويعمِّي على كثير من الناس سبل الهداية. فلأجل هذا وذاك أصر «صلى الله عليه وآله» على هدم الأصنام وأن لا يبقيها ولو لحظة واحدة.

لا يكسرون أصنامهم بأيديهم:

ثم إنهم قد طلبوا منه «صلى الله عليه وآله» أن يعفيهم من كسر أصنامهم بأيديهم، لا لأجل أن ذلك يمثل إذلالاً لهم، وإنما لأنهم كانوا يخشون أن يصيبهم بسبب ذلك بعض المصائب..

وقد كان إعفاؤهم من ذلك هو القرار الحكيم والصائب، إذ لو أصر عليهم بمباشرة هدمها، فإن أي شيء يعرض لهم بعد ذلك ولو كان صداعاً في الرأس أو شوكة تصيب رجل أحدهم سوف يعتبرونه من آثار هدمها، وبالتالي فإن ذلك سوف يكرس مكانتها في نفوسهم، وسيعكر ذلك صفاء توحيدهم، ويخدش في صحة إيمانهم..

نظرة في كتاب ثقيف:

وبعد.. إننا إذا ألقينا نظرة فاحصة على مضمون الكتاب الذي كتبه لهم فسنجد: أنه قد أطال في التفاصيل ولكنه لم يزد على أمور معلومة الحكم، ظاهرة لكل أحد، ولا مجال فيها للمناقشة، ولا سبيل للأخذ والرد فيها من أي كان.

أي أنه لم يزد على المسلمات الشرعية، والبديهيات العقلية، والأمور الوجدانية شيئاً، فهو ينص على منعهم من الظلم والسرقة والإساءة، ويحرم عليهم الربا،

ويوجب على المسلمين نصرهم إذا تعرضوا لأي ظلم وحيف من أحد.

ويوجب على الناس الإستئذان منهم إذا أرادوا أن يدخلوا عليهم، أو أن يعبروا من بلادهم، وأنهم لهم الحرية في أن يتصرفوا فيما يملكونه كيف يشاؤون، وليس لأحد أن يفرض عليهم ضريبة كضريبة الجاهلية، ولا أن يفرض عليهم الإجتماع في مكان بعينه لأداء صدقاتهم.

وأنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم أينما كانت، وأن حلفاءهم إذا أسلموا فإن لهم ما لمسلمي ثقيف، وكذلك الحال بالنسبة لمن يسلم من تجار ثقيف نفسها.

وذكر: أن الأعناب التي لقريش إذا سقاها أهل الطائف فلهم شطرها، إلى آخر ما هنالك من أحكام ذكرت في الكتاب..

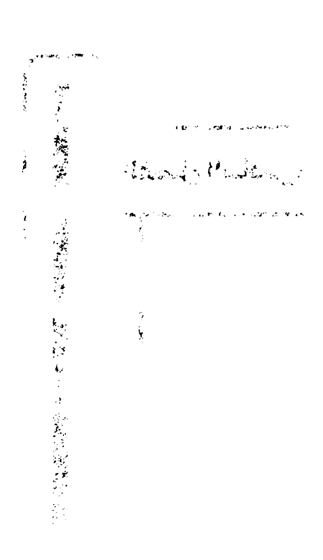
والسؤال هو: لماذا يصرح بكل ما ذكرناه وسواه مما هو من البديهيات العقلية، والشرعية، والوجدانية؟

قد يكون السبب في ذلك هو شعوره بأنه لا يكفي أن يكلهم إلى إيمانهم، ووجدانهم، وإلى حكم عقلهم، وقضاء فطرتهم؟! بل يحتاجون زيادة على ذلك إلى أخذ العهود والمواثيق الصريحة والواضحة.

ولعله حين رأى حرصهم على الربا وقد فاوضوه فيه، ثم خلوا بأنفسهم. ثم تظاهروا بقبول ذلك منه لم يثق بصحة نواياهم، فكان أن شدد عليهم فيه، وسجله في هذه الوثيقة، لكي يبطل تدبيرهم، إن كانوا قد اتفقوا فيما بينهم على التظاهر بالموافقة، ثم العمل بما يحلو لهم.. فيكون هذا الكتاب قد قطع الطريق عليهم، وأحرجهم، وألجأهم إلى التزام طريق الحق، وأخذهم بعهد صريح لن يسهل عليهم نقضه، لأنه يجعل له السبيل عليهم.

الفصل السادس:

وفود السنة العاشرة والحادية عشرة



وفود بني تغلب:

عن يعقوب بن زيد بن طلحة قال: قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفد بني تغلب ستة عشر رجلاً مسلمين ونصارى، عليهم صُلُب الذهب، فنزلوا دار رملة بنت الحارث. فصالح رسول الله «صلى الله عليه وآله» النصارى على أن يقرهم على دينهم، على أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم[1].

ونقول:

إن هذا النص قد تضمن أمراً هاماً جداً، نشير إليه فيما يلي:

إستغلال سذاجة الآخرين ممنوع:

إن هذا الذي اشترطه رسول الله «صلى الله عليه وآله» على نصارى بني تغلب، وهو: أن يقرهم على دينهم، على أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية، يشير إلى أمرين:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٨٧ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣١٦، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٧٨، وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص١٠٨.

الأول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عامل نصارى تغلب بالرفق والعفو، حين رضي منهم أن يقرهم على دينهم، مع أن له كل الحق في معاملتهم بالشدة والعنف، ما دام أنه قد قهرهم بالحجة، فلجوا في طغيانهم، وأصروا على باطلهم وأقاموا على الجحود على ما أصبح واضحاً أنهم يعلمون بطلانه وبواره.

الثاني: إنه «صلى الله عليه وآله» آثر أن يرفق بهم، ليحفظ حق أبنائهم في الإختيار، وليضمن لهم حرية الفكر والإعتقاد، ثم حرية الموقف والممارسة.. فطلب منهم: أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية.

الثالث: إن هذا الإشتراط يعطينا: أنه ليس من حق أحد أن يستغل سذاجة أي إنسان، حتى لو كان ولده، ليفرض عليه عقيدته، وما يدين به، بل عليه أن يفسح له المجال، ليصل إلى قناعاته الدينية واعتقاداته عن طريق الدليل والبرهان.. ولا يجوز له أن يهيمن على فكره وعقله وقلبه من خلال أجواء يثيرها، أو إيحاءات يمارسها، ما دام أن الطرف الآخر غير قادر على التمييز بين الحق والباطل، أو كان ذلك مما يصرفه عن التفكير في هذا وذاك..

الرابع: إن هذا المبدأ لا يختص بصورة ما لو كان الطرف الآخر لا يدين بالإسلام، بل هو مما يفرضه الإسلام حتى على المسلمين أنفسهم، إمعاناً منه في إنصافهم، وفي إجراء سنة العدل فيهم، ففرض على كل مسلم أن يحصِّل قناعاته عن طريق الحجة والدليل، ولا سيما فيما يختص بالتوحيد والنبوة، وبعض المعتقدات الأخرى.. حيث لم يرض منه بتقليد الناس جهابذة العلم، وأساطين الفكر، فإنه لا يرضى بأن يقلد أحد أحداً من غير العلماء

حتى تقليد الأبناء لآبائهم أو لغيرهم كما هو واضح.

وفود الرهاويين:

عن قتادة الرهاوي قال: «لما عقد لي رسول الله «صلى الله عليه وآله» على قومي، أخذت بيده فودعته، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «جعل الله التقوى زادك، وغفر لك ذنبك، ووجَّهك للخير حيثما تكون»»[1].

وروى ابن سعد عن زيد بن طلحة التيمي قال: قدم خمسة عشر رجلاً من الرهاويين، وهم حي من مَذْحِج، على رسول الله «صلى الله عليه وآله» سنة عشر، فنزِلوا دار رملة بنت الحدث، فأتاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتحدث عندهم طويلاً، وأهدوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» هدايا، منها فرس يقال له: المِروَاح، فأمر فَشُوِرَ بين يديه، فأعجبه. فأسلموا وتعلموا القرآن والفرائض، وأجازهم كما يجيز الوافد: أرفعهم اثني عشرة أوقية ونشَّاً، وأخفضهم خمس أواق، ثم رجعوا إلى بلادهم.

ثم قدم منهم نفر، فحجوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المدينة، وأقاموا حتى توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأوصى لهم

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٣٩ عن الطبراني برجال ثقات وقال في هامشه: أخرجه الطبراني في الكبير ج١٩ ص١٥ والبخاري في التاريخ ج٧ ص١٨٥ وذكره الهيثمي في المجمع ج١٠ ص١٣١ والسيوطي في الدر ج١ ص٢٢١، وكتاب الدعاء للطبراني ص٢٥٩، وطبقات خليفة للعصفري ص١٣٧، والتاريخ الكبير للبخاري ج٧ ص١٨٥، وأسد الغابة ج٤ ص١٩٤ وج٥ ص٦٥، والإصابة ج٥ ص٣١٩.

بِجَادّ مائة بخيبر في الكتيبة جارية عليهم، وكتب لهم كتاباً، فباعوا ذلك في زمن معاوية[١].

ونقول:

إننا حين نلاحظ مفردات الدعاء الذي دعا به رسول الله «صلى الله عليه وآله» لقتادة الرهاوي، فسنرى: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يدعُ له بأمر دنيوي بصورة مباشرة، لكن ما دعا به من شأنه أن يمنحه أعلى درجات السعادة في الدنيا، بالرغم من أنه دعاء يخص الآخرة.. فإن من كانت التقوى زاده، وغفر الله تعالى له ذنبه، ووجهه للخير حيثما يكون، لا يمكن إلا أن يكون سعيداً مفلحاً منجَحاً في دنياه كما يكون كذلك في آخرته..

إجازات النبي ﷺ للوفود:

وقد قرأنا في مواضع كثيرة ما يدلنا على أنه كان من عادة النبي «صلى الله عليه وآله» أن يجيز الوفود، وأن إجازته لهم كانت تتراوح ما بين خمس أواق إلى اثنتي عشرة أوقية ونشَّاً من الفضة..

ولا يمكن اعتبار هذا التفاوت تكريساً لزعامات جاهلية، كان من الضروري محاربتها وإسقاطها. بل إن هذا التفاوت اعتراف بواقع

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٣٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٦٧ ورسالات نبوية ص٣٩ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٧٦ و (ط دار صادر) ج١ ص٣٤٤ ومجموعة الوثائق السياسية ص٩٤ و ٢٣٥ وإمتاع الأسماع ج١ ص٥٠٧ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٢ ص١٩٤.

موضوعي قائم يريد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يحفظه، ليحفظ به حياة الناس ووجودهم، وأمنهم. وهو سعي إلى استصلاح تلك الزعامات، وإعطائها الفرصة لتغيير أوضاعها بما ينسجم مع الواقع الجديد، وبما يخدم الأهداف العليا البعيدة المدى، إذ إن إسقاط تلك الزعامات دفعة واحدة لن ينتج إلا هرجاً ومرجاً، ودفع أولئك المتنفذين إلى العبث بأمن الناس، وبراحتهم، وربما السعي إلى تضليلهم، وإخراجهم من دائرة الإيمان..

مع العلم بأن الذين يمكن أن يأخذوا مكانهم في حفظ الشأن العام لا يملكون تجربة تمكنهم من إنجاز هذا المهم على النحو الأكمل حتى في الظروف العادية، فكيف إذا كان هذا الإجراء سوف يستتبع وجود مشكلات ووضع عراقيل من قبل أناس يملكون التجربة الطويلة، ولديهم خبرة عميقة بأحوال الناس الذين يتعاملون معهم، ويريدون إثارة النزاعات فيما بينهم..

على أن هؤلاء الناس كانوا لا يملكون من الإمكانات الروحية ما يميزهم عن الزعامات التي يراد إبعادها واستبدالها بهم.. بل الجميع كانوا يشربون من نفس المستنقعات، ويعيشون في محيط واحد، ويرفعون نفس الشعارات، ويمارسون ما كان يمارسه أولئك من سنن وعادات، ويشاركونهم في انحرافاتهم، وفي جرائمهم، وتعدياتهم..

على أن هذا الإجراء، بالإضافة إلى أنه سوف يثير الطموح لدى الآخرين ممن يرون انفسهم من أقران هؤلاء، فإنه لا يحمل معه أية ضمانة لانقياد سائر الناس لهم، ما دام أن الناس لم يخرجوا بعد بصورة تامة من أجواء الجاهلية، ولا تخلصوا من وطأة مفاهيمها، وأعرافها، بصورة تضمن

سير الأمور بطريقة عفوية وطبيعية، خصوصاً إذا ترافق ذلك بتحريض ظاهر، أو مبطن من قبل من يرون أنفسهم قد تضرروا، أو الذين حرموا مما يرون أن العدل يقضي بمشاركتهم فيه..

أضف إلى ذلك كله: أنه إذا ظهر للناس في المنطقة بأسرها أن السياسة المتبعة هي إسقاط الزعامات واستبدالها بأخرى.. فإنه سيصبح من الصعوبة بمكان إتخاذ قرار بالدخول في هذا الدين، خصوصاً مع سعي تلك الزعامات إلى إبعاد الناس عن كل ما من شأنه أن يزعزع أركان قيادتهم وزعامتهم، وسوف تثور العصبيات، وتنطلق المشاحنات، ولربما يصبح دخول القبائل في الإسلام أمنع من العقاب، ومن أصعب الصعاب، حيث تنحصر الوسيلة إليه باستعمال السيف ولا شيء غيره.. ولن يكون من السهل أن تقبل القلوب عليه، وأن تتشوق الأرواح إليه، وهذا يتنافى مع المبدأ الذي قرره الإسلام من أنه: لا إكراه في الدين، وهو نقض للغرض بلا مبرر ظاهر..

وبذلك يتضح: أن إجازات النبي «صلى الله عليه وآله» للوفود، وتفضيل اهل الشأن بالجائزة، وحفظ شأن أصحاب الشأن الرفيع، يطمئن الناس إلى أن الإسلام لم يأت لهدم عز أحد، إذا التزم السير في خط الله تبارك وتعالى، بل جاء ليزيدهم عزة، ويمنحهم كرامة، ويدفع بهم على الخروج من واقعهم، والشروع في السير على طريق السؤدد والكرامة، والكمال، ونيل المقامات السامية، وفق الهدى الإلهي، والرعاية الربانية. فالإسلام لله يجعل الجميع في ربح دائم، وفي تكامل وتقدم مستمر..

وعن التفضيل بالجائزة نقول:

إنه تفضيل دعت إليه الحاجة والمسؤولية التي لابد لذلك الزعيم، أو الرئيس أن يضطلع بها، وليس تفضيلاً أهوائياً فرضته العناوين والأسماء..

واللافت هنا: أننا لم نجد أحداً تذمر من هذا الأمر، أو اعترض عليه، إلا من شاذ قصر فهمه عن إدارك وجه الحكمة فيه، وزينه له شيطان الهوى أو دعاه إليه مرض القلب، الذي أوقعه في وهاد العمى..

وفد غامد:

وقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفد غامد سنة عشر، وهم عشرة، فنزلوا ببقيع الغرقد، وهو يومئذ أثل وطرفاء، ثم انطلقوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله». وخلفوا عند رحلهم أحدثهم سناً. فنام عنه، وأتى سارق فسرق عيبة لأحدهم فيها أثواب له. وانتهى القوم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسلموا عليه، وأقروا له بالإسلام، وكتب لهم كتاباً فيه شرائع الإسلام، وقال لهم: «من خلفتم في رحالكم»؟

قالوا: أحدثنا سناً يا رسول الله.

قال: «فإنه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت أخذ عيبة أحدكم».

فقال رجل من القوم: يا رسول الله، ما لأحد من القوم عيبة غيري.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «فقد أخذت وردت إلى موضعها».

فخرج القوم سراعاً حتى أتوا رواحلهم، فوجدوا صاحبهم، فسألوه عما أخبرهم رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: فزعت من نومي ففقدت العيبة، فقمت في طلبها، فإذا رجل قد كان قاعداً، فلما رآني صار يعدو مني، فانتهيت إلى حيث انتهى فإذا أثر حفر، وإذا هو قد غيب العيبة فاستخرجتها.

فقالوا: نشهد أنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه قد أخبرنا بأخذها وأنها قد ردت.

فرجعوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فأخبروه، وجاء الغلام الذي خلفوه، فأسلم، وأمر النبي «صلى الله عليه وآله» أبي بن كعب، فعلمهم قرآناً، وأجازهم «صلى الله عليه وآله» كما كان يجيز الوفود وانصرفوا(1).

ونقول:

إننا لا نرى أننا بحاجة إلى التعليق على هذا النص، فإنه «صلى الله عليه وآله» قد قدم لهؤلاء القوم الدليل القاطع على نبوته..

غير أننا نشير إلى ما يلي:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» أراد بمبادأتهم بهذا الخبر أن يسهّل عليهم تحصيل اليقين، مراعاة منه لحالهم..

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكتف منهم بإظهار الإسلام، لأنه يريد لهم الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة. ولو أنه كان يريد منهم ذلك وحسب، لأكتفى بإظهارهم الإسلام، ولم يخبرهم بشيء مما جرى، لأن مطلوبه يكون قد حصل، وانتهى الأمر..

---

(1) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٩٠ عن زاد المعاد، عن الواقدي، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص٢٢٥ و ٢٢٦، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣١٩.

٣ـ إن هذا يدلنا على: أن هؤلاء الناس كانوا من الناحية الثقافية والفكرية في مستويات متدنية، حيث لم يعتبروا بكل ما شاع وذاع عنه مما لا يمكن من الناحية الثقافية والفكرية إلا أن يكون بتسديد إلهي، ومدد رباني..

كما أن كل ما بيَّنه من حقائق، وأدلة على بطلان الشرك، وصحة التوحيد، لم ينفع في تكوين اليقين لديهم، فضلاً عن عدم خضوعهم لمعجزة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

كما أن فطرتهم وعقولهم لم تستطع أن تجد لها دوراً في تكوين نظرتهم إلى الأمور، وتقييمهم لها.. لأنها كانت محكومة بالأهواء، مقصاة عن دائرة القرار. فكان لابد من تحريك ضمائرهم ووجدانهم من خلال ملامسة واقعهم الذي يعنيهم أكثر من أي شيء آخر. وأي شيء لديهم يكون أهم من أموالهم، وحفظها، فجاءهم الخطاب من هذا الطريق فأثر فيهم، ورسخ يقينهم.

وفود كندة:

عن الزهري قال: قدم الأشعث بن قيس على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ثمانين، أو ستين، أو اثني عشر راكباً من كندة، فدخلوا عليه مسجده، قد رجلوا جممهم، واكتحلوا، ولبسوا جباب الحبرات، مكثفة بالحرير.

فلما دخلوا قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أولم تسلموا»؟

قالوا: بلى.

قال: «فما هذا الحرير في أعناقكم»؟

فشقوه ونزعوه وألقوه[١].

وكان ذلك في سنة عشر، وكندة قبيلة من اليمن[٢].

وفي نص آخر: إنهم لما دخلوا عليه قالوا: أبيت اللعن، وكانت تحيتهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لست ملكاً، أنا محمد بن عبد الله.

قالوا: لا نسميك باسمك.

قال: لكن الله سماني، وأنا أبو القاسم.

فقالوا: يا أبا القاسم، إنّا قد خبأنا لك خبيئاً فما هو؟ إذ كانوا خبأوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» عين جرادة في ظرف سمن.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: سبحان الله، إنما يفعل هذا بالكاهن، وإن الكاهن، والكهانة والتكهن في النار.

فقالوا: يا رسول الله، كيف نعلم أنك رسول الله.

فأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» كفاً من حصى، فقال: هذا يشهد أني رسول الله.

فسبح الحصى في يده، فقالوا: نشهد إنك رسول الله.

فقال: إن الله بعثني بالحق، وأنزل عليّ كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٠٢ و ٢٧٦ عن زاد المعاد، عن ابن إسحاق، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٦١ و ١٦٢ وعن البداية والنهاية ج٥ ص٧٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٢٨، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٤٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٨٩، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٠٦، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٢٩٣.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٦٠، والإصابة ج١ ص٥٩٧.

ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، أثقل في الميزان من الجبل العظيم، وفي الليلة الظلماء مثل نور الشهاب.

قالوا: فأسمعنا منه.

فتلا رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ﴿**وَالصَّافَّاتِ صَفّاً**﴾. حتى بلغ ﴿**وَرَبُّ الْمَشَارِقِ**﴾[1]، ثم سكت وسكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسكن روعه، فما يتحرك منه شيء، ودموعه تجري على لحيته.

فقالوا: إنا نراك تبكي، أفمن مخافة من أرسلك تبكي؟!

قال: إن خشيتي منه أبكتني، بعثني على صراط مستقيم، في مثل حد السيف، إن زغت عنه هلكت، ثم تلا: ﴿**وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً**﴾[2]»[3].

ويتابع نص آخر فيقول:

إن الأشعث بن قيس قال: يا رسول الله، نحن بنو آكل المُرار، وأنت ابن آكل المُرار.

فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثم قال: «ناسب بهذا النسب ربيعة بن الحارث، والعباس بن عبد المطلب».

(**قال الزهري وابن إسحاق:** كانا تاجرين، وكانا إذا سارا في أرض

---

(١) الآيات ١ ـ ٥ من سورة الصافات.

(٢) الآية ٨٦ من سورة الإسراء.

(٣) راجع: الدر المنثور ج٤ ص٢٠١ وج٥ ص٢٧١ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٦٠ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٦١، وإمتاع الأسماع ج٤ ص٣٥٦، وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٧٢.

العرب فسئلا: من أنتما؟

قالا: نحن بنو آكل المرار، يتعززان بذلك في العرب، ويدفعان به عن نفسيهما، لأن بني آكل المرار من كندة كانوا ملوكاً).

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا، بل نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفوا أمنا، ولا ننتفي من أبينا»[1].

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧٦ و٤٠٢، وراجع: الشرح الكبير لابن قدامه ج٧ ص١٠، ومسند احمد ج٥ ص٢١١، وسنن ابن ماجة ج٢ ص٨٧١، ومجمع الزوائد ج١ ص١٩٥ وج٨ ص٢١٨، وعمدة القاري ج١٦ ص٧٣، والآحاد والمثاني ج٢ ص١٦٥ وج٤ ص٣٨٢، والمعجم الصغير للطبراني ج١ ص٨١ و٢٣٦، والمعجم الكبير للطبراني ج٢ ص٢٨٦، والإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر ص٤٢، والإستيعاب ج١ ص١٣٣و٢٧٧، والدرر ص٢٥٧، وكنز العمال ج١٢ ص٣٦٩ و٤٤٢، وجامع البيان للطبري ج١٥ ص١١٠، وتفسير الثعلبي ج٦ ص٩٩ وج١٠ ص٣٠١، وتفسير السمعاني ج٣ ص٢٤١، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ج٣ ص٤٥٥، وتفسير الرازي ج٣٢ ص١٠٦، وتفسير القرطبي ج١٠ ص٢٥٨ وج٢٠ ص٢٠٢، وتفسير البحر المحيط ج٦ ص٣٢، وتفسير الثعالبي ج٣ ص٤٧٣، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٣، والتاريخ الكبير للبخاري ج٧ ص٢٧٤، وتاريخ بغداد ج٧ ص١٣١، وتاريخ مدينة دمشق ج٥٤ ص٢١٨، وأسد الغابة ج١ ص٩٨ و٢٨٣ و٢٩٠، والإصابة ج١ ص٥٩٨، والأنساب للسمعاني ج١ ص٢٧، وتاريخ المدينة ج٢ ص٥٤٧، وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٩٤، والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٩٨، والبداية والنهاية ج٢ ص٢٥٣ و٢٥٤، وج٥ ص٨٦، وتاريخ ابن خلدون ج٢ ق٢ ص٥٦، وإمتاع =

وعن الأشعث بن قيس قال: قدمنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفد كندة، ولا يرون إلا أني أفضلهم، قلت: يا رسول الله، ألستم منا؟

قال: «لا، نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا، ولا ننتفي من أبينا».

فكان الأشعث يقول: لا أوتى برجل نفى رجلاً من قريش من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد[1].

وعن الأشعث أيضاً قال: قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في وفد كندة، فقال لي النبي «صلى الله عليه وآله»: «هل لك من ولد»؟

قلت: غلام ولد مخرجي إليك من ابنة فلان، ولوددت أن يشبع القوم.

فقال: «لا تقولن ذا، فإن فيهم قرة عين، وأجراً إذا قبضوا».

ثم قال: «إنهم لمجبنة مبخلة»[2].

وعن الأشعث قال: قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال لي: «ما فعلت بنت عمك»؟

= الأسماع ج٢ ص٩٩، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٢٩٣، والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص٨٦ وج٤ ص١٤١.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٠٢ و ٤٠٣ عن مسند أحمد، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٦٢ وعن البداية والنهاية ج٥ ص٧٢، ومسند احمد ج٥ ص٢١١، وسنن ابن ماجة ج٢ ص٨٧١، وإرواء الغليل للألباني ج٨ ص٣٥، والتاريخ الصغير للبخاري ج١ ص٣٧، وإمتاع الأسماع ج٣ ص٢١٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٠٢ و ٤٠٣ عن أحمد، وابن ماجة، والحارث، والبارودي، وابن سعد، والطبراني في الكبير، وأبي نعيم، والضياء، وراجع: مجمع الزوائد ج١٠ ص١٥٨ عن أحمد، والطبراني.

قلت: نفست بغلام والله لوددت أن لي سبية.

فقال: «إنهم لمجبنة مبخلة، وإنهم لقرة العين، وثمرة الفؤاد»[1].

قال ابن هشام: الأشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قبل أمه، وآكل المرار: الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندي، ويقال: كندة. وإنما سمي: آكل المرار، لأن عمرو بن الهبولة الغساني أغار عليهم. فأكل هو وأصحابه في تلك الغزوة شجراً يقال له المرار[2].

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم بعض البيانات والتوضيحات، هي التالية:

عدد أعضاء الوفد:

تقدم: أن وفد كندة كان يتألف من ستين أو ثمانين أو اثني عشر راكباً.. وهذا تناقض لا مجال لقبوله، إلا إذا فرض أنهم وفدوا أكثر من مرة، وقد شارك الأشعث بن قيس في هذا الوفد وذاك..

الرسول ﷺ لا يرضى بلبس الحرير:

وقد قرأنا أيضاً: أن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» لم يرض منهم

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٠٣ عن العسكري، وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٦١، وكشف الخفاء للعجلوني ج٢ ص٣٣٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧٦ و٤٠٣، وراجع: السيرة النبوية لابن هشام الحميري ج٤ ص١٠٠٦، وخزانة الأدب للبغدادي ج٨ ص٢٨٥.

لبس الحرير، وقد شقوه، ونزعوه، وألقوه من أعناقهم.. ولم يعترض على لبس الثياب الحبرات، وترجيل الجمم، والإكتحال، لأن الإسلام يدعوهم إلى ذلك، وإلى كل تجمل يليق بشأنهم، بشرط أن لا يتجاوز حدود الشرع..

غير أن ما لفت نظرنا هو: وصف الرواة لحال هؤلاء، وكأن ذلك يوحي بأن هذه الحالة كانت استثنائية، وغير مألوفة في المجتمع العربي، فهي تلفت النظر، وتثير الفضول. وربما تكون ندرتها فيهم بسبب رقة حالتهم المادية، وضعفهم الإقتصادي، الذي يفرض عليهم التقشف، والخشونة..

بل لعل هذا الضعف في عامة الناس كان يجعل من تظهر عليه أمارات الرفاهية والغنى في خطر أكيد من قبل أهل الأطماع الذين يعيشون على السلب والنهب والغارة، وما أكثرهم..

أبيت اللعن تحية الملوك:

وحين حيّاه وفد كنده بقولهم: أبيت اللعن، لم يقل لهم: هذه تحية الجاهلية، بل قال لهم: لست ملكاً.. لأن مجرد أن يخطئ الإنسان في اختيار التحية الصحيحة، فيختار تحية الجاهلية، انسياقاً مع الإلف والعادة، أو جهلاً بما يجب عليه ـ إن ذلك ـ ليس بالأمر المهم، ويمكن معالجته بسهولة..

ولكن الأهم منه هو: أن يخلط الإنسان بين مفهومي الملك والنبي، فإن هذا يضر بدين ذلك الشخص وبإسلامه وبالإسلام من الأساس.. ولأجل ذلك بادر «صلى الله عليه وآله» إلى ردعهم، ونفي صفة الملك عن نفسه، فقال: لست ملكاً.

لا تناقض في فعل النبي ﷺ:

وقد رأينا: أن هؤلاء الوافدين قد خبأوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» عين جرادة في ظرف سمن، فإن أخبرهم به آمنوا..

ولكنه «صلى الله عليه وآله» لم يستجب لهم، وأظهر لهم عوضاً عنه معجزة تسبيح الحصى بيديه، في حين أنه استجاب لاختبار غيرهم، كما تقدم معنا. وأظهر الخبء لهم.

ولعل سبب ذلك هو: أن الكهان كانوا يستفيدون من بعض شياطين الجن، فيخبرونهم ببعض الأمور التي يرون أنها قد حصلت أو غيرها، مما يتمكنون من الوصول إليه والحصول عليه، ولو باستراق السمع لما يتحدث به الملائكة في السماء. ثم يجعلون ذلك مبرراً لإطلاق دعاوى أوسع وأكبر، مثل علمهم بالأسرار، وبما يأتي في المستقبل[1].

فإذا تكرر منه «صلى الله عليه وآله» الإخبار عن الخبء، فقد يتكون انطباع خاطئ يؤدي إلى جعله «صلى الله عليه وآله» في مصاف الكهان لدى بعض الناس الذين لا حظ لهم من العلم والمعرفة، وتؤثر عليهم التلقينات، وتأخذ بألبابهم الشائعات، ولا يملكون القدرة على التمييز بين الحق والباطل، وبين الدر والصدف، وبين الأصيل والزائف..

فكان لا بد من إظهار معجزة لا سبيل فيها إلى اللبس، ولا محل فيها للشبهة، لتكون سبيل هداية، ومنشأ حصانة لما أخبر به وعنه سابقاً، ولما قد

---

(١) وقد قيل: إن الفرق بين العرَّاف والكاهن: أن الكاهن يخبر عما مضى، والعرَّاف يخبر عما يأتي. راجع: أقرب الموارد، مادة كهن ج٢ ص١١١٠ عن كليات أبي البقاء.

يخبر عنه فيما يأتي.. فكان تسبيح الحصى بيديه هو تلك المعجزة القاهرة والظاهرة.

بكاء النبي ﷺ حيّرهم:

وإن بكاء النبي «صلى الله عليه وآله» الذي حيَّرهم، كان مفعماً بالدلالات، في كل اتجاه، فهو من جهة قد أظهر عمق تفاعل النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» مع الحقائق التي يتلوها، ليتضح أن شريعته، ودينه دين كرامة، وإنسانية، ومشاعر، وروح وطهر وصفاء، يثير كوامن النفس الإنسانية، لكي ترتقي من خلال كمالاتها، إلى آفاق الشرف والكرامة، لدى خالق الكون والحياة..

وأظهر أيضاً: أنه لم يأت بالدين ليكون لغيره، ويكون هو مستثنى منه، بل هو مثلهم فيه، في جميع المجالات، وسائر الإتجاهات.

وأظهر من جهة أخرى ـ من خلال اندفاعهم للسؤال عن سبب بكائه «صلى الله عليه وآله» ـ: أنهم لم يتأملوا فيما يتلوه عليهم، ولا تفاعلوا معه، ولا انفعلوا به، بل هم قد تحيَّروا، أو تعجبوا ممن وعى معناه، وتأثر به!!

النبي ﷺ يصد الأشعث:

وقد أظهرت الروايات المتقدمة: أن الأشعث بن قيس قد حاول أن يتزلف للنبي «صلى الله عليه وآله» بطريقة ماكرة، من شأنها أن تنقص من قدره «صلى الله عليه وآله»، حيث ألقى إليه مقولة أنه «صلى الله عليه وآله» ابن أكل المرار، أي إنه يريد أن ينسبه إلى غير أبيه. وكأنه يريد أن يضع علامة استفهام على صحة انتسابه إليه.. لأن القبول بمقولة الأشعث سوف

يكرس انتسابهم لأمهم دون أبيهم.

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» عرف ما يرمي إليه الأشعث، فعالجه بما فضح أمره، وأبطل كيده.. حين أظهر «صلى الله عليه وآله» في كلامه، أنه أراد أن يستدرجه للإعتراف بالإنتساب إلى أمه دون أبيه.

ليشرِّف نفسه من جهة، ولينقص من قدر النبي «صلى الله عليه وآله» من جهة أخرى..

وقد عرّفه النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه كان على علم بأن العباس، وربيعة بن الحارث كانا يستفيدان من اسم آكل المرار، ليأمنا على نفسيهما، ولكي لا يتعرض لهما من ينتسب إلى آكل المرار بسوء، بل يكون المنتسبون إليه عضداً لهما على من سواهما، إن لزم الأمر..

وقد صرح الأشعث نفسه بأنه كان يرمي ـ فعلاً ـ إلى نفي انتساب النبي «صلى الله عليه وآله» وقريش إلى أبيه النضر بن كنانة.. وحاول استعادة بعض ماء الوجه حين قال: لا أوتى برجل نفى رجلاً من قريش، من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد.. حيث إن قوله هذا بمثابة تذرع بالجهل، لينأى بنفسه عن موقع التشكيك بنسب رسول الله «صلى الله عليه وآله». لأنه بذلك يكون قد وضع على نفسه علامة استفهام كبيرة عند قومه، وسيسقط محله فيهم، وسيرون أنه لا يملك من الكرامة والفضل ما كانوا يظنونه به.

الأولاد مجبنة مبخلة:

ثم إنه ليس في قول النبي «صلى الله عليه وآله» عن الأولاد: إنهم لمجبنة

مبخلة ما يوجب الذم والإنتقاص لأحد، بل هو يخبر عن واقع الناس وحالاتهم، لأن وجود الأولاد يدفع الإنسان إلى أن ينأى بنفسه عن مواطن الخطر، حيث يسعى إلى أن يحفظ حياته، وقدرته على رعايتهم، وتدبير شؤونهم، لأنه يخشى عليهم من الضياع لو غاب عنهم، ما داموا غير قادرين على حفظ أنفسهم بأنفسهم، وهذا يلتقي في نتيجته مع فعل الجبناء، ونتائج جبنهم.

كما أنه يهتم من جهة أخرى بجمع الأموال وادخارها حباً بالأولاد، ليستفيدوا منها في مستقبل أيامهم. وهذا يلتقي مع فعل البخيل الذي يجمع المال حباً بنفسه، أو حباً بالمال. وذلك ظاهر لا يخفى.

وفود بني سلامان:

قال محمد بن عمر: كان مَقْدَمُهُم في شوال سنة عشر.

و عن حبيب بن عمرو السلاماني قال: قدمنا وفد سلامان على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ونحن سبعة، فصادفنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» خارجاً من المسجد إلى جنازة دُعي إليها، فقلنا: السلام عليك يا رسول الله.

فقال: «وعليكم من أنتم»؟

فقلنا: نحن من سلامان قدمنا إليك لنبايعك على الإسلام، ونحن على من وراءنا من قومنا.

فالتفت إلى ثوبان، غلامه فقال: «أنزل هؤلاء الوفد حيث ينزل الوفد».

فلما صلى الظهر جلس بين المنبر وبيته، فتقدمنا إليه، فسألناه عن أشياء من

أمر الصلاة وشرائع الإسلام، وعن الرقى، وأسلمنا، وأعطى كل رجل منا خمس أواقي، ورجعنا إلى بلادنا، وذلك في شوال سنة عشر.

وفي نص آخر أنه «صلى الله عليه وآله» قال لوفد سلامان: «كيف البلاد عندكم»؟

قالوا: مجدبة، فادعُ الله أن يسقينا في موطننا.

فقال: «اللهم أسقهم الغيث في دارهم».

فقالوا: يا نبي الله، ارفع يديك، فإنه أكثر وأطيب.

فتبسم، ورفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، ثم رجعوا إلى بلادهم، فوجدوها قد مطرت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في تلك الساعة(١).

ونقول:

قد اشرنا أكثر من مرة لأمور تضمنها هذا النص، ومنها:

١ ـ تعهدهم بإسلام قومهم الذين لم يحضروا معهم.

٢ ـ إنه قد كانت هناك دار خصصت لنزول الوفود فيها، وهي دار رملة بنت الحدث (الحارث).

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» كان يجيز تلك الوفود بأواق من الفضة.

٤ ـ إنهم كانوا يرون لدعاء النبي «صلى الله عليه وآله» أثراً في سقي الله لهم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٤٥ وفي هامشه عن: دلائل النبوة لأبي نعيم ص١٦٠ وعن الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ق٢ ص٤٣ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص٢٢٣ و ٢٢٤، وراجع: عمدة القاري ج٧ ص٣٦، وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٣١١، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣١٧.

٥ ـ إن وفد سلامان هنا قد تدخل في طريقة دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» لهم، حيث طلبوا منه أن يرفع يديه، مدَّعين أن ذلك يؤثر في أمرين، هما: الكثرة والطيبة.

وقد تبسم «صلى الله عليه وآله» لهذا التطفل الذي ينم عن حاجتهم إلى المزيد من التثقيف، والتعريف بشؤون النبوة، والأنبياء..

٦ ـ كما أن سؤالهم عن الرقى، يشير إلى مدى تأثرهم بكل ما من شأنه أن يطمئنهم إلى ما هو غائب عنهم، مما لا سبيل لهم إلى معرفته، فيسعون للتحرز مما قد ينالهم منه من سوء وأذى..

٧ ـ إنهم قد حددوا المكان الذي يريدون نزول الغيث فيه، وقد استجاب النبي «صلى الله عليه وآله» لطلبهم، محدداً المكان وفق ما طلبوه..

٨ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد سألهم عن حال البلاد عندهم.. مما أفهمهم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» مهتم بقضاياهم، ويريد لهم أن ينعموا بالراحة، والعيش الرغيد..

٩ ـ إن معرفتهم بعد رجوعهم باستجابة دعاء النبي «صلى الله عليه وآله»، الموافقة لما طلبوه، في نفس ساعة الدعاء، لابد أن يترك أثره على إيمانهم، فيزيده رسوخاً وعمقاً، وصلابة..

١٠ ـ ثم يلاحظ أخيراً: أنهم حين ألقوا السلام على رسول الله، أجابهم «صلى الله عليه وآله» بقوله: «..وعليكم»، ولم يزد على ذلك..

ولعل السبب هو: أنه يريد أن يعرفنا كيفية التعامل مع الناس في الحالات المشابهة، إذا كان أمر الوافدين غير ظاهر لنا، إذا ألقوا علينا السلام، مع قيام احتمال أن يكونوا من غير المسلمين، حيث أجابهم إجابة لا

تفيد أنه قد سلم عليهم بتحية أهل الإسلام، كما أنها لا تأبى أن تنطبق عليها، إذ يصح أن يكون التقدير هو: وعليكم السلام. وأن يكون التقدير: وعليكم نفس ما قصدتموه.

١١ ـ إن ذلك يعطينا: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يتعامل مع الأمور وفق حكمها الظاهري، لا وفق ما يعلمه منها بما أظهره الله تبارك وتعالى عليه من الغيوب. وذلك ظاهر لا يخفى.

وفود خثعم:

وقالوا: وفد عثعث بن زَحر، وأنس بن مدرك في رجال من خثعم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ما هدم جرير بن عبد الله البجلي ذا الخلصة، وقتل من قتل من خثعم، فقالوا: آمنا بالله ورسوله، وما جاء [به] من عند الله، فاكتب لنا كتاباً نتبع ما فيه.

فكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لخثعم:

«هذا كتاب من محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لخثعم من حاضر بيشة وباديتها: أن كل دم أصبتموه في الجاهلية فهو عنكم موضوع، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث من خَبار أو عَزاز تسقيه السماء، أو يرويه اللثى، فزكا عِمارة في غير أزمة ولا حطمة، فله نشره وأكله، وعليهم في كل سيح العشر، وفي كل غرب نصف العشر، شهد جرير بن عبد الله ومن حضر»[1].

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٣١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٨٦ و (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٧٨ ونثر الدر لـلآبي ج١ ص٢٦٢ ونشأة =

ونقول:

١ ـ قد ظهر مما تقدم: أن اللغة التي كان «صلى الله عليه وآله» يكتب بها كتبه للقبائل إنما كانت تستعمل الألفاظ التي يتداولونها فيما بينهم، وذلك أنه يريد لهم أن يفهموا مقاصده، ويفوا بتعهداتهم.

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» يطمئنهم بأنهم سوف لا يطالبهم أحد بالدماء التي سفكوها قبل أن يدخلوا في الإسلام، فإن الإسلام يجب ما قبله، ولعلهم كانوا قد أصابوا بعضاً من المسلمين في السنوات التي سبقت إسلامهم، فكانوا يخشون من ملاحقة المسلمين لهم بتلك الدماء، فأراد أن يزيل هذا الوهم من نفوسهم، ليعيشوا حال السكينة في ظل الإسلام.

وفد بني الحارث بن كعب:

تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل خالداً إلى بني الحارث بن كعب، فاستجابوا للإسلام، فكتب خالد بذلك إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فطلب إليه النبي «صلى الله عليه وآله» أن يقدم، ويقدم معه وفدهم، فقدم بهم خالد، وقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بِمَ كنتم تغلبون

= الدولة الإسلامية ص٣٥١، و مكاتيب الرسول للأحمدي الميانجي ج ٣ ص ٤١٣ عن: لطبقات ج١ ق٢ ص٣٤ وفي (ط أخرى) ص٢٨٦ (وأوعز إليه ص٧٨)، وراجع نثر الدر للآبي ج١ ص٢٦٢، ونشأة الدولة الاسلامية ص٣٥١، ومدينة البلاغة ج٢ ص٣٤٠، والوثائق السياسية ص٢٩١ و١٨٦ عن الطبقات ونثر الدر المكنون للأهدل ص٦٤ وقال قابل الطبقات ج١ ق ٢ ص٧٨ وانظر كايتاني ج١٠ ص٢٨، واشپرنكر ج٣ ص٤٦٩.

من قاتلكم في الجاهلية»؟

قالوا: لم نكن نغلب أحداً.

قال: «بلى [قد كنتم تغلبون من قاتلكم]».

قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم.

قال: «صدقتم». وأمَّر عليهم قيس بن الحصين، فرجعوا إلى قومهم في بقية من شوال، أو في صدر ذي القعدة، فلم يمكثوا بعد رجوعهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»»[1].

وقال ابن إسحاق: «لما رآهم النبي «صلى الله عليه وآله» قال: من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند؟

قيل: يا رسول الله، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب.

فسلموا عليه وقالوا: نشهد أنك لرسول الله، وأنه لا إله إلا هو.

فقال «صلى الله عليه وآله»: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله. ثم قال «صلى الله عليه وآله»: أنتم الذين إذا زجروا استقدموا.

فسكتوا، فلم يراجعه منهم أحد، فأعادها ثلاث مرات.

فقال يزيد بن عبد المدان بعد الرابعة: نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٠ وفي هامشه عن: البداية والنهاية ج٥ ص٩٥، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٢٩٨ وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٧١ ـ ١٧٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٣٩ و ٣٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٤١، ومكاتيب الرسول ج٢ ص٥١٥ نقلاً عن: ابن هشام والطبري والطبقات وتأريخ الخميس والتنبيه والاشراف وشرح المواهب للزرقاني، و تاريخ ابن خلدون ج ٢ ق٢ ص ٥٤.

زجروا استقدموا.

قالها أربع مرات.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: لو أن خالداً لم يكتب إليّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا، لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم.

فقال يزيد بن عبد المدان: أما والله ما حمدناك، ولا حمدنا خالداً.

قال: فمن حمدتم؟

قال: حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله.

قال: صدقتم، وأمَّر عليهم قيس بن الحصين، ورجع الوفد، فأرسل «صلى الله عليه وآله» عمرو بن حزم ليفقههم في الدين، ويعلمهم معالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم[1].

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٧٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٤٢٦ وراجع: مكاتيب الرسول ج٢ ص٥١٥ وقال في هامشه: راجع في تفاصيل وفودهم: تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٣ ص١٢٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٢٦ وفي (ط أخرى) ص٢٣٩ والمفصل ج٤ ص١٨٨ و ج٣ ص٥٣٢ وحياة الصحابة ج١ ص٩٥ و ٩٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ق٢ ص٧٢ وزاد المعاد ج٣ ص٣٥ والكامل ج٢ ص٢٩٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٥٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٤٤ والبحار ج٢١ ص٢٧٠ والروض الأنف ج٤ ص٢٢٨ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٣ و ٣٤ ومعجم قبائل العرب ج١ ص٢٣١ وأسد الغابة ج٤ ص٢١١ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٩ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٢ ص٣٨٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص٤١١ والبداية والنهاية ج٥ ص٩٨ وما بعدها.

وقد أرسله إليهم وعمره سبع عشرة سنة.

ونقول:

إن لنا هنا بعض الإيضاحات، وهي التالية:

قضايا فطرية تأتي بالنصر:

تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد سأل بني الحارث بن كعب عن سر غلبتهم من قاتلهم، فأجابوه بأن السبب هو اجتماعهم أولاً. وعدم بدئهم بظلم أحد..

ونستفيد من ذلك:

أولاً: تكرر انتصار هؤلاء القوم على أعدائهم حتى أصبح ذلك لافتاً للنظر، بحيث يُسأل عن سببه، ولم نجد لهؤلاء القوم شهرة تاريخية في ذلك، وهذا يجعلنا نتوقف في الحكم على هذا النص بالصحة..

غير أننا نورد الكلام هنا رجاء أن يكون صحيحاً..

ثانياً: إن هذا النص يدل على أن ثمة أحكاماً يدركها الإنسان بعقله، وينساق إليها بفطرته، وتفرضها عليه حكمته، ويدعوه إليها تدبيره، ويشترك فيها جميع البشر، وتقضي بها عقولهم، من دون حاجة إلى تعليم من الشارع، ومنها: قبح الظلم، ولزوم التناصر على العدو المشترك.

ثالثاً: إن هذا التقرير لهم، ثم التصريح بصحة نظرتهم، يستبطن حثهم على الإستقامة على هذا النهج، كما أنه يشير للآخرين بلزوم الأخذ به، إن أرادوا أن يكون لهم النصر على أعدائهم.

النبي ﷺ يشهد لنفسه بالنبوة:

وقد لاحظنا: أنه «صلى الله عليه وآله» أعلن بالشهادتين كما شهد بها ذلك الوفد الذي كان يكلمه.. ونستفيد من هذه المبادرة ما يلي:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد ساوى نفسه بهم، من حيث التكليف، ولزوم الإعلان بالشهادتين..

٢ ـ إنه قد أوضح لهم: أن الشهادة له «صلى الله عليه وآله» بالرسالة، لا تعني أن المطلوب هو تكريس الإمتيازات له كشخص، بحيث يكون هو المستفيد الأول والأخير، حيث ينتهي إليه إيمان الناس، ثم لا يتعداه، ولذلك ليس لأحد أن يمنّ عليه بإسلامه وإيمانه..

تهديد النبي ﷺ لبني الحارث:

ثم إنه لا مجال لتصديق ما تذكره الرواية المتقدمة من تهديد النبي «صلى الله عليه وآله» لبني الحارث بن كعب بالقتل بعد أن قررهم ـ ثلاث مرات ـ بأنهم هم الذين إذا زجروا استقدموا، فأجابوا بالإيجاب..

فأولاً: المفروض: أن ما يتهددهم من أجله إنما كان منهم قبل إسلامهم، والإسلام يجب ما قبله. ولا يطالب المسلم بشيء منه، ولا يعاقب عليه.

ثانياً: لا فرق في هذا الحكم بين أن يسلموا بعد القتال أو من دون قتال.. فما معنى أن يقول لهم ـ حسب زعم الرواية ـ: «إنكم أسلمتم ولم تقاتلوا»..

ثالثاً: إنهم حتى لو فعلوا ذلك بعد أن أسلموا، فهل يكون القتل هو

جزاء من يفعل هذا الذي يلومهم عليه؟!.

وفود محارب:

عن أبي وجرة السعدي قال: قدم وفد محارب سنة عشر في حجة الوداع، وهم عشرة نفر، منهم سواء بن الحارث، وابنه خزيمة بن سواء، فانزلوا دار رملة بنت الحدث. وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء إلى أن جلسوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوماً من الظهر إلى العصر، فأسلموا وقالوا: نحن على من وراءنا، ولم يكن أحد في مواسم الحج التي كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعرض دعوته فيها على القبائل، ويدعوهم إلى الله وإلى نصرته، أفظ ولا أغلظ على رسول الله «صلى الله عليه وآله» منهم.

وكان في الوفد رجل منهم، فعرفه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأمده النظر، فلما ر آه المحاربي يديم النظر إليه قال: كأنك يا رسول الله توهمني، قال: «لقد رأيتك».

قال المحاربي: أي والله، لقد رأيتني وكلمتني، وكلمتك بأقبح الكلام، ورددت عليك بأقبح الرد بعكاظ، وأنت تطوف على الناس.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «نعم».

فقال المحاربي: «يا رسول الله، ما كان في أصحابي أشد عليك يومئذٍ ولا أبعد عن الإسلام مني»، فأحمد الله الذي أبقاني حتى صدقت بك، ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «إن هذه القلوب بيد الله عز وجل».

فقال: يا رسول الله، استغفر لي من مراجعتي إياك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «إن الإسلام يجب ما كان قبله من الكفر».

ومسح رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجه خزيمة بن سواء، فكانت له غرة بيضاء. وأجازهم كما يجيز الوفد، وانصرفوا إلى أهليهم[1].

عن أبان المحاربي، ويقال له: أبان العبدي، قال: «كنت في الوفد، فرأيت بياض إبط رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين رفع يديه يستقبل بهما القبلة»[2].

ونقول:

آثار لقاءات عكاظ ظهرت في المدينة:

إن هذا النص يظهر لنا عمق ما تركته لقاءات النبي «صلى الله عليه وآله» في مكة للقبائل التي كانت تفد لحضور سوق عكاظ. فإنها أظهرت لهم: كذب ما كانت تتهمه به قريش، من أنه مجنون، كما أنها هيأت لهم الفرصة ليشاهدوا سلوك أهل الإيمان، وصلاح وجمال أقوالهم وأفعالهم، وانسجام ما يدعون إليه مع فطرتهم، وموافقته لما تقضي به عقولهم، ثم

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٠٩ عن ابن سعد، وفي هامشه عن: الطبقات لابن سعد، (ط ليدن) ج٢ ص٤٣٦ وفي (ط دار صادر) ج١ ص٢٩٩، والبداية والنهاية ج٥ ص١٠٤، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٧٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٠٩ عن ابن شاهين، وأبي نعيم في معرفة الصحابة، وابن خلاد في الجزء الثاني من فوائده، وأسد الغابة ج١ ص٣٧، والإصابة ج١ ص١٧١.

مقارنة ذلك كله مع ما هم فيه من انحراف، وزيف، ومتابعة للأهواء، وبعد عن الحق والعدل، وانغماس في الرذيلة والشر، ليقودهم ذلك كله بعد أن تخف الضغوط عليهم في المحيط الذي يعيشون فيه، إلى قبول دعوة الحق والخير والهدى.. ويجعلهم يندمون على ما فرط منهم..

وفود زبيد في السنة الحادية عشرة:

لما كانت السنة التي توفي فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، رأت زبيد قبائل اليمن تقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مقرين بالإسلام، مصدقين برسول الله، يرجع راجعهم إلى بلادهم وهم على ما هم عليه.

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» استعمل خالد بن سعيد بن العاص على صدقاتهم ـ وأرسله مع فروة بن مُسيك كما قلنا ـ فقالوا: «والله لقد دخلنا فيما دخل فيه الناس. وصدقنا بمحمد «صلى الله عليه وآله»، وخلينا بينك وبين صدقات أموالنا، وكنا لك عوناً على من خالفك من قومنا».

قال خالد: قد فعلتم.

قالوا: فأوفد منا نفراً يقدمون على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويخبرونه بإسلامنا، ويقبسونا منه خيراً.

فقال خالد: ما أحسن ما عدتم إليه وأنا أجيبكم، ولم يمنعني أن أقول لكم هذا إلا أني رأيت وفود العرب تمر بكم فلا يهيجنكم ذلك على الخروج، فساءني ذلك منكم، حتى ساء ظني فيكم، وكنتم على ما كنتم عليه من حداثة عهدكم بالشرك، فحسبت أن لا يكون الإسلام راسخاً في

قلوبكم»[1].

آخر الوفود وفد النخع:

قالوا: بعثت النخع ـ قبيلة من اليمن ـ رجلين منهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وافدين بإسلامهم، وهما: أرطأة بن شراحيل بن كعب، والجهيش، واسمه الأرقم من بني بكر بن عوف بن النخع.

فخرجا حتى قدما على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فعرض عليهما الإسلام فقبلاه وبايعاه على قومهما، فأعجب رسول الله «صلى الله عليه وآله» شأنهما، وحسن هيئتهما، فقال: «هل خلفتما وراءكما قومكما مثلكما»؟

فقالا: يا رسول الله، قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلاً كلهم أفضل منا، وكلهم يقطع الأمر وينفذ الأشياء، ما يشاركوننا في الأمر إذا كان.

فدعا لهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولقومهما بخير وقال: «اللهم بارك في النخع».

وعقد لأرطأة لواء على قومه (وكتب له كتاباً)، فكان في يده يوم الفتح[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٤٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢٣ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج١ ص٣٤٦ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص٢٣٤ و ٢٣٥ وراجع: أسد الغابة ج١ ص٦١ والإصابة ج١ ص٢٧ و ٢٥٥ ورسالات نبوية ص٩ ومجموعة الوثائق السياسية ص٢٤٤ وكنز العمال ج١٦ ص١٨٦، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٨٠.

وقال ابن سعد: كان آخر من قدم من الوفد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفد النخع، وقدموا من اليمن للنصف من المحرم سنة إحدى عشرة، وهم مائتا رجل، فنزلوا دار رملة بنت الحدث، ثم جاؤوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن، فكان فيهم زرارة بن عمرو.

قال: أخبرنا هشام بن محمد هو زرارة بن قيس بن الحارث بن عدي، وكان نصرانياً[1].

وقالوا: وفد رجل من النخع يقال له زرارة بن عمرو على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، إني رأيت في سفري هذا رؤيا هالتني.

قال: «وما رأيت»؟

قال: رأيت أتانا تركتها في الحي كأنها ولدت جدياً أسفع أحوى.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هل لك من أمة تركتها مصرة حملاً»؟

قال: نعم تركت أمة لي أظنها قد حملت.

قال: «فإنها قد ولدت غلاماً وهو ابنك».

فقال: يا رسول الله، ما باله أسفع أحوى؟

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢٣ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج١ ص٣٤٦ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص٢٣٤ و ٢٣٥ عنه، وعن ابن شاهين، وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٤٦ ص١٣.

قال: «ادن مني».

فدنا منه. فقال: «هل بك برص تكتمه»؟

قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما علم به أحد، ولا اطلع عليه غيرك.

قال: «فهو ذلك».

قال: يا رسول الله، ورأيت النعمان بن المنذر وعليه قرطان، ودملجان، ومسكتان.

قال: «ذلك ملك العرب عاد إلى أحسن زيه وبهجته».

قال: يا رسول الله، ورأيت عجوزاً شمطاء خرجت من الأرض.

قال: «تلك بقية الدنيا».

قال: ورأيت ناراً خرجت من الأرض، فحالت بيني وبين ابن لي يقال له: عمرو، ورأيتها تقول: لظى لظى، بصير وأعمى، أطعموني آكلكم، أهلككم وما لكم.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «تلك فتنة في آخر الزمان».

قال: وما الفتنة يا رسول الله؟

قال: «يقتل الناس إمامهم ثم يشتجرون اشتجار أطباق الرأس ـ وخالف رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين أصابعه ـ يحسب المسيء أنه محسن، ودم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء، إن مات ابنك أدركت الفتنة، وإن مت أنت أدركها ابنك».

فقال: يا رسول الله، ادع الله ألا أدركها.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم لا يدركها».

فمات وبقي ابنه، وكان ممن خلع عثمان[١].

ونقول:

إن لنا مع النص المتقدم وقفات عديدة، نذكر منها ما يلي:

فتنة آخر الزمان:

تقول الرواية المتقدمة: إنه «صلى الله عليه وآله» قد فسر رؤيا النار التي حالت بين ذلك الرجل وبين ابنه بفتنة في آخر الزمان، يقتل فيها الناس إمامهم.. ثم طبق تلك الفتنة على قتل عثمان.

ويرد على ذلك:

أن قتل عثمان لم يكن في آخر الزمان، وقد حاول الزرقاني حل هذا الإشكال فقال: «سماه آخراً مع أنها قتل عثمان، على معنى أنه لغلظ أمره وفحشه بمنزلة ما يكون في آخر الزمان، الذي تندرس فيه الأحكام وتزول حتى كأنها لا أثر لها، أو أن المراد آخر زمان الخلافة الحقيقية التي جروا فيها على سنن المصطفى، وسماها آخراً مع أنه بقي منها مدة علي وابنه، لقرب قتل عثمان من آخرها»[٢].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢٣ و ٤٢٤ عن ابن شاهين من طريق المدائني، وابن الكلبي، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص٢٣٥ ـ ٢٣٨، و الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٥٣٢، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٦ ص١٤،وعيون الأثر ج٢ ص٣٢١، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٩.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص٢٣٧.

غير أننا نقول:

إنها محاولة فاشلة:

أولاً: لأن الأحكام لم تندرس بقتل عثمان حتى كأنها لا أثر لها، بل اندرست في زمن عثمان، وزمن من سبقه، وقد أعادها علي «عليه السلام»، وستعود إلى الإندراس في أزمنة لاحقة على زمان علي «عليه السلام»، وقد أشار صلوات الله عليه إلى هذه الأمور الثلاثة حيث قال لأهل العراق: «وركزت فيكم راية الإيمان، وعرفتكم حدود الحلال والحرام»[١].

وقال «عليه السلام»: «إن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، يعمل فيه بالهوى، وتطلب به الدنيا»[٢].

وعنه «عليه السلام» أنه قال: «يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من القرآن إلا رسمه ومن الإسلام إلا اسمه»[٣].

وقد ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب نصوصاً أخرى في هذا السياق، فلا حاجة لإعادتها. فذلك كله يشير إلى أن الإسلام كان قبل قتل عثمان، وحينه قد تعرض لأعظم الأضرار نتيجة للسياسات التي انتهجها أسلاف أمير المؤمنين «عليه السلام»[٤]. ولكن علياً «عليه السلام» أعاد إليه رونقه..

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج١ ص١٥٣، والبحار ج٣٤ ص٢٠٩، وشرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٣٨٠، وأعلام الدين في صفات المؤمنين للديلمي ص ١٢٨.

(٢) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٣ ص٩٥ من عهده «عليه السلام» للأشتر.

(٣) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٤ ص٨٧ الحكمة رقم ٣٦٩ و ١٩٠.

(٤) راجع: الجزء الأول من هذا الكتاب فصل: «الدوافع والأهداف، والآثار والنتائج».

ثانياً: دعواه: أن خلافة عثمان هي آخر زمان الخلافة الحقيقية التي جروا فيها على سنن المصطفى «صلى الله عليه وآله».. مردودة عليه، فإن الأحكام والأمور قد جرت في خلافة علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، ثم في خلافة ولده الإمام الحسن «عليهما السلام» على سنن المصطفى «صلى الله عليه وآله»، بعد أن خالف من سبقهما سنته وحادا عن طريقته ونهجه «صلى الله عليه وآله».. بل خلافتهما هي التي أعادت الناس إلى ما كان على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأعلن أصحاب الأطماع عليهما الحروب في الجمل وصفين والنهروان. وبعد ذلك حين استولى معاوية على البلاد، وأذل العباد.

ثالثاً: إن الزرقاني يريد تطبيق مفهوم الفتنة على حروب البغاة على علي «عليه السلام»، مع أن الفتنة هي التي لا يعرف وجه الحق فيها، في حين أن وجه الحق معروف في حروب الجمل وصفين والنهروان، فإن الحق كان مع علي «عليه السلام»، وكان محاربوه بغاة عليه.

ويزيد الأمر وضوحاً كثرة ما روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في شأن الناكثين والقاسطين والمارقين، وفي شأن الخوارج، وفيما أخبر به «صلى الله عليه وآله» عائشة والزبير، من أنهما سيحاربان علياً «عليه السلام»، مع ذكره «صلى الله عليه وآله» حتى لبعض جزئيات ما يجري، مثل ركوبها الجمل الأدبب، ونباح كلاب الحوأب عليها، وغير ذلك..

متى قدم زرارة بن عمرو؟!:

تقدم في رواية أسيد: أن زرارة بن عمرو قدم على النبي «صلى الله عليه

وآله» سنة إحدى عشرة، ولكن آخرين يقولون: إنه قدم في نصف رجب سنة تسع[١]. قال الزرقاني: «فيحتمل أنه وفد فيها، ثم وفد مع قومه سنة إحدى عشرة»[٢].

غير أن النص المتقدم قد صرح: بأن اللواء الذي عقده النبي «صلى الله عليه وآله» لزرارة بن عمرو على قومه قد كان مع زرارة يوم الفتح، وهذا معناه: أن وفادته على النبي «صلى الله عليه وآله» قبل فتح مكة في سنة ثمان، وكان زرارة قبل ذلك نصرانياً.

ويدل هذا أيضاً على: أن النخع قد أرسلوا رجلين منهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله» قبل فتح مكة، ثم قدم عليه منهم مائتا رجل في المحرم سنة إحدى عشرة[٣].

حديث رؤيا زرارة:

وعن رؤيا زرارة نقول:

١ ـ ما المقصود بملك العرب فيها؟! هل هو ملك أبي بكر وعمر وعثمان! أم ملك بني أمية؟! وهل هذا الملك كان حسناً بنظر رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

٢ ـ وما معنى أن يحال بين زرارة وبين ولده، في حين أن ولده كان ممن

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص٢٣٤ عن ابن عبد البر، والذهبي، والوافي بالوفيات ج١٤ ص١٢٩، والإصابة ج٢ ص٤٦٣.

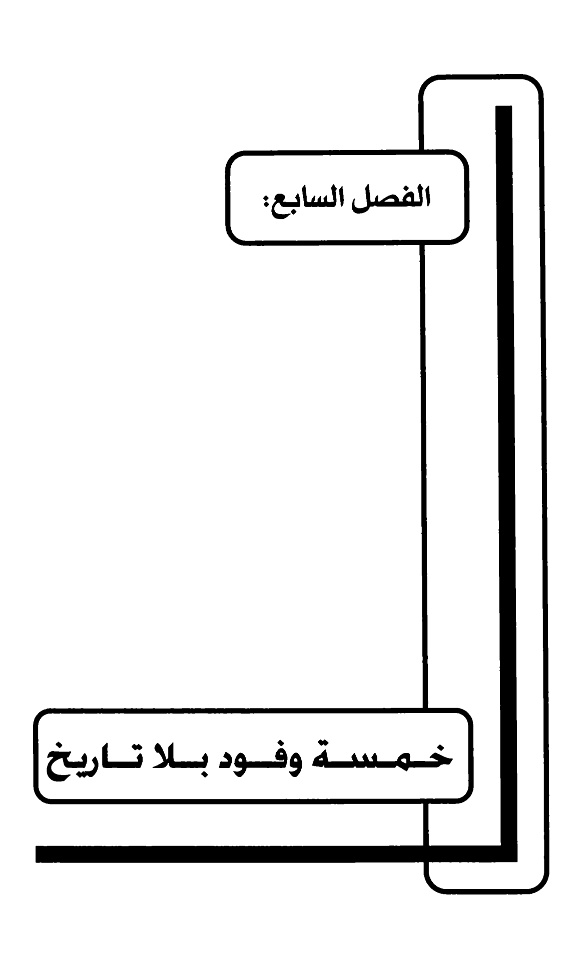
(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص٢٣٤ وقال: كذا في النور.

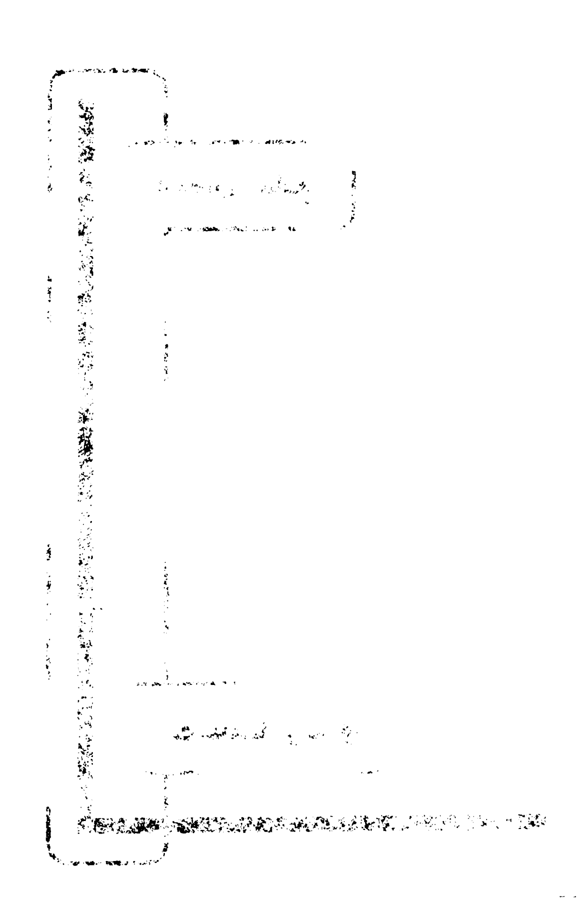
(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢٣.

خلع عثمان وبايع علياً«عليه السلام».. فهل من يبايع علياً «عليه السلام» يهلك، وتأكله نار الفتنة؟!

ولماذا وبماذا نجا زرارة؟! هل نجا لأنه شارك في حرب القادسية، وقتل فيها؟!

٣ ـ أضف إلى ذلك ما قدمناه مما يرتبط بالفتنة، كما يزعم هؤلاء.


الفصل السابع:
خمسة وفود بلا تاريخ



١ـ وفد أزد شنوءة:

عن مُنير بن عبد الله الأزدي قال: قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» صرد بن عبد الله الأزدي في وفد من الأزد، بضعة عشر رجلاً (خمسة عشر)، فنزلوا على فروة بن عمرو، فحباهم وأكرمهم. وأقاموا عنده عشرة أيام، فأسلموا، وكان صُرَد أفضلهم، فأمَّره رسول الله «صلى الله عليه وآله» على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بهم من يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن (وكان ذلك سنة عشر).

فخرج صُرَد يسير بأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى نزل بجرش (مخلاف من مخاليف اليمن)، وهي يومئذ مدينة حصينة مُغْلَقة، وبها قبائل من اليمن قد تحصنوا بها، وقد ضوت إليهم خثعم، فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم. فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا، فحاصرهم شهراً أو قريباً منه، وكان يغير على مواشيهم فيأخذها.

ثم تنحى عنهم إلى جبل يقال له: شكر، فظنوا أنه قد انهزم، فخرجوا في طلبه حتى أدركوه.

فصف صفوفه، فحمل عليهم هو والمسلمون، فوضعوا سيوفهم فيهم حيث شاءوا، وأخذوا من خيلهم عشرين فرساً، فقاتلوهم عليها نهاراً طويلاً.

وقد كان أهل جرش بعثوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجلين منهم يرتادان وينظران (أي يطلبان الأخبار).

فبينما هما عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» عشية بعد العصر، إذ قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بأي بلاد الله شكر»؟

فقال الجرشيان: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له: كشر بذلم يسميه أهل جرش.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ليس بكشر، ولكنه شكر».

قالا: فما شأنه يا رسول الله؟

قال: «إن بدن الله لتنحر عنده الآن».

وأخبرهما رسول ا لله «صلى الله عليه وآله» بملتقاهم، وظفر صرد بهم.

فجلس الرجلان إلى أبي بكر وعثمان، فقالا لهما: ويحكما، إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لينعي لكما قومكما، فقوما إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسلاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما.

فقاما إليه، فسألاه أن يدعو الله أن يرفع عنهم.

فقال: «اللهم ارفع عنهم».

فخرجا من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر.

قال ابن سعد: فقصَّا على قومهما [القصة]، فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأسلموا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «مرحباً بكم، أحسن الناس وجوهاً،

وأصدقه لقاءً، وأطيبه كلاماً، وأعظمه أمانةً، أنتم مني وأنا منكم». وجعل شعارهم مبروراً، وأحمى لهم حمى حول قريتهم، على أعلام معلومة، للفرس والراحلة، [وللمثيرة] بقرة الحرث، فمن رعاه من الناس فماله سحت[1].

وقد سميت الأَزد: أزد شنوءة لشنآن كان بينهم.

ونقول:

إن لنا مع هذه النصوص وقفات عديدة هي التالية:

بُدْنُ الله تنحر عند شكر:

إننا لم نعرِف سبب وصف النبي «صلى الله عليه وآله» لأولئك المشركين الذين يُقتلون بأيدي المسلمين بأنهم «بُدْنُ الله» تبارك وتعالى!! مع أن البدن لا يبغضها الله تبارك وتعالى، بل هي محبوبة له، وهي من شعائر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ٦ ص٢٦٢ عن ابن سعد، وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج٥ ص٣٧٢ و ٣٧٣، وابن هشام في سيرته ج ٤ ص٢٣٤.
وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٦٩ ـ ١٧١ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص١٣٠ و ١٣١ والبداية والنهاية ج٥ ص٧٤ وصحبة النبي «صلى الله عليه وآله» ص١٢٠ والروض الأنف ج٤ ص٢٢٤ والإصابة ج٢ ص١٨٢ وأسد الغابة ج٣ ص١١٧ والدرر لابن عبد البر ص١٩٥ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج١ ص٣٣٧ و ٣٣٨ و (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٧١ و ٦٣ عن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٧ و (ط دار المعرفة) ص٢٦٢ وعن السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٢٩ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٩٥.

(٢) الآية ٣٦ من سورة الحج.

وهؤلاء كفرة أرجاس محاربون لأهل الإسلام، مبغضون له تبارك وتعالى..

على أنه لو كان المقصود مجرد تشبيههم بالبدن في عدم الوعي، وفقد الإدراك، فلماذا أضاف البدن إليه تبارك وتعالى؟! فإن إضافتهم إليه تفيد التشريف والتكريم لهم!!..

وبذلك يظهر: عدم صحة ما زعمه الزرقاني: من أن «إطلاق البدن عليهم استعارة، أو تشبيه بليغ، وأصله: أن قومكم الذين هم كالبدن في عدم الإدراك، حيث لم يؤمنوا، وحاربوا المسلمين، وإضافتهم إلى الله إشارة إلى تحقيق الإستعارة، حيث جعلوا كالبدن التي تنحر تقرُّباً، أو إشارة إلى أنهم مخلوقون لله، مغمورون بأنعامه، فأضافهم إليه توبيخاً لهم على عدم الإيمان..»[1].

فإن هذه الأقوال لا تعدو كونها تمحلات سمجة، وممجوجة؛ فإن ما زعمه من الإضافة التي تفيد تحقيق الإستعارة!! إذا كانت موجبة لتشويش المعنى، وإيهام خلاف المقصود تصبح معيبة، ولا يمكن أن تصدر عن أحكم الحكماء، وأعقل العقلاء، وأبلغ البلغاء. أعني رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وأما ادِّعاء: أن إضافتهم إليه تعالى لتوبيخهم على عدم الإيمان، فلا نجد له مبرراً أيضاً سوى التحكم، والإقتراح، وفرض التوجيهات والتأويلات السخيفة، من دون دلالة عليها، أو إشارة إليها..

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٧٠.

تفويض حرب المشركين لصُرد الأزدي:

وتحدثت الرواية المتقدمة أيضاً عن: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد فوض لصُرد الأزدي حرب من يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن..

مع أن هذا الرجل قد أسلم لتوه، ولم يتفقه بعد في الدين، ولا تأدب بآداب الإسلام، ولا عرف أحكامه؛ فما معنى تفويضه بحرب المشركين من قبائل اليمن؟ وللحرب حدودها وأحكامها في الإسلام..

كما أن من المفروض هو أن يدعوهم إلى الإسلام أولاً، وأن يقدم لهم الأدلة والبراهين عليه، وأن ينشر لهم أعلامه، ويعلمهم أحكامه، في حين أنه هو نفسه كانَ جاهلاً بها، والحال أن فاقد الشيء لا يعطيه، بل هو غير قادر على أن يطبقه على نفسه ويراعيه.. فكيف يدعو الناس إليه، ويحملهم عليه؟!..

هل فتحت جرش عنوة أو صلحاً؟!:

ويبقى أمامنا سؤال محير، يحتاج إلى جواب، وهو:

كيف فتحت مدينة جرش؟! هل فتحت عنوة، بعد حصارها، ثم بعد معركة هائلة تعرض فيها الجرشيون للقتل الذريع؟! حيث وضع المسلمون فيهم سيوفهم حيث شاؤوا؟ أم أنها فتحت صلحاً؟

إن الرواية التي نحن بصدد معالجتها لعلها تشير إلى أنها فتحت عنوة، وبعد حصار وقتال وأعداد كبيرة من القتلى..

مع أنهم يقولون: إنها فتحت سنة عشر في حياة النبي «صلى الله عليه

وآله» صلحاً على الفيء، وأن يتقاسموا العُشر، ونصف العُشر[1].

وعن الزهري: «أسلم أهل بتالة وجرش من غير قتال، فأقرهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ما أسلموا عليه، وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً، واشترط عليهم ضيافة المسلمين، وولى أبا سفيان بن حرب على جرش[2].

أو بعث عليهم عبد الله بن ثور، أحد بني الغوث[3].

وروى الواقدي: أنه «صلى الله عليه وآله» توفي وعامله على جرش صُرد بن عبد الله الأزدي[4].

فأي ذلك هو الصحيح؟!

أسئلة أخرى تحتاج إلى جواب:

وهناك أسئلة عديدة، ترتبط بنصوص الرواية التي نحن بصددها، لا نجد لها جواباً مقنعاً ومقبولاً، فلاحظ ما يلي:

١ ـ إذا كان صُرَد بن عبد الله قد حاصر بمن معه مدينة جرش، فمعنى ذلك: أن لا يخرج أحد منهم من المدينة، وأن لا يدعوا ماشيتهم تخرج إلى خارج المدينة أيضاً، لأن ذلك سيعرضها ويعرضهم للخطر الأكيد.

فما معنى قولهم: «وكان يغير على مواشيهم فيأخذها»؟!

---

(١) معجم البلدان ج٢ ص١٢٦ والمفصل ج١ ص١٧١.

(٢) فتوح البلدان ص٧١ ومعجم البلدان لياقوت ج٢ ص٩.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٤٢٧ والكامل ج٢ ص٤٢١.

(٤) الإصابة ج٢ ص١٨٢.

فهل كانت مواشيهم ظاهرة لهم، وفي متناول أيديهم؟!

٢ ـ والمحاصر هو: المهزوم، في واقع الأمر، فإنه لعجزه عن مواجهة عدوه، أخفى نفسه عنه وراء الأحجار، والأسوار، والذين يحاصرونه، هم المنتصرون الذين يلاحقونه، ويجهدون للوصول إليه بمزيد من التصميم والإصرار، فإذا انصرف هذا المنتصر عن حصار عدوه، فذلك لا يجعله منهزماً، بل يكون منكفئاً عنه.

فما معنى قول الرواية السابقة: «فظنوا أنه قد انهزم»؟! إلا إذا أريد بالهزيمة هنا معنى آخر، يختلف عما يعطيه ظاهر هذه الكلمة.

٣ ـ ومع غض النظر عن هذا وذاك، فإنه إذا كان الجرشيون قادرين على مواجهة عدوهم، ولديهم الجرأة على الوقوف في وجهه، فلماذا اختبأوا منه داخل حصونهم طيلة شهر كامل؟!

ولماذا لم يبرزوا لقتاله من أول يوم حل فيه بساحتهم؟!

٤ ـ وبعد قتالهم يوماً كاملاً، وبعد أن وضع المسلمون سيوفهم فيهم حيث شاؤوا، وبعد أن أخذوا من خيلهم عشرين فرساً.. وأوقعوا فيهم تلك الضربة القاصمة والهائلة، نعم.. بعد ذلك كله، ماذا كانت النتيجة؟! وماذا صنع المسلمون تجاه أعدائهم؟ هل تركوهم يرجعون إلى حصنهم بصورة طبيعية؟ أم أنهم طاردوهم إلى باب الحصن؟! وحين بلغوا إلى الباب هل زاحموهم على الدخول فيه؟ أم انكفأوا عنهم؟! وهل تمكنوا من عرقلة دخولهم، أو دخول بعضهم إليه؟!..

وإذا كان ذلك قد حصل فعلاً، أو حتى لو كان ذلك لم يحصل أيضاً، فالسؤال هو: كم من الناس أسر المسلمون في تلك الوقعة؟! وهل عادوا إلى

حصار جرش، بعد أن حققوا هذا الإنتصار الكبير عليهم؟! أم أنهم تركوها غارقة في مصائبها التي حلت بها؟!..

٥ ـ وعن الرجلين الذين كانا يتجسسان على رسول الله «صلى الله عليه وآله» لصالح أهل جرش، نسأل: هل كان المسلمون يعرفون شيئاً عن هذين الرجلين الغريبين؟! وإذا كان الجواب بالإيجاب فلماذا تركوهما يسرحان ويمرحان بلا حسيب ولا رقيب..

وإن كان الجواب بالنفي، فهل حاولوا أن يتعرفوا عليهما؟! وهل سألهما أحد عن بلدهما، وعن سبب قدومهما، وعن دينهما، وما إلى ذلك؟ وبماذا أجابا؟! وهل كان جوابهما مقنعاً؟! وهل؟ وهل؟

إن الحقيقة هي: أن سياق ما جرى لهما في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله» يدل على أنهما كانا يتجاهران بالانتساب إلى بلدهما، ويتحدثان عنه ويشفعان لأهله لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأمام جماعة المسلمين، ويتصرفان بصورة عادية وطبيعية!!

علاقة الجاسوسين بأبي بكر وعثمان:

وأغرب شيء سمعناه وقرأناه في هذه الرواية، هو تصريحها بوجود علاقة مميزة فيما بين هذين الجاسوسين وبين أبي بكر وعثمان.

فقد أظهر ذلك النص، الأمور التالية:

١ ـ ما معنى: أن يختلي جاسوسان جاءا لرصد حركة المسلمين برجلين هما بنظر الكثيرين، من الكبار والأعيان، ويعيشان الطموح ويخططان للحصول على أعظم مقام بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

٢ ـ لماذا اجتمع هذان الجاسوسان بأبي بكر وعثمان فقط؟! وأين كان عمر بن الخطاب عن هذا الإجتماع؟ ونحن نجد الإقتران الدائم بين أبي بكر وعمر في مختلف الحالات والوقائع..

ثم أين كان أبو عبيدة، وابن عوف.. وسالم وغير هؤلاء ممن يعدون فريقاً واحداً؟!

٣ ـ لماذا يحرض أبو بكر وعثمان ذينك الجاسوسين على الطلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يدعو الله لرفع البلاء عن قوم مشركين، محاربين لله ولرسوله؟! ولماذا يسعى أبو بكر وعثمان لرفع القتل عنهم، ومنع المسلمين من الظفر بهم؟!..

وما معنى هذا العطف منهما على أولئك المشركين؟!.

٤ ـ وفي محاولة للتخفيف من سماجة هذا الواقع الهجين، قال الزرقاني: إن قوله «صلى الله عليه وآله»: اللهم ارفع عنهم، إنما أُجيب في الذين في القرية، دون من في الجبل، لوقوعها بعد قتلهم[1].

والهدف من هذا التوجيه هو: تجنب القول: بأن مطلوب أبي بكر وعثمان والجاسوسين هو رفع البلاء عن الذين أخذتهم سيوف المسلمين، ليسلم منهم من لم تحصده تلك السيوف، بل يكون المطلوب هو: مجرد رفع البلاء عن الذين بقوا في الحصن، ولم يخرجوا منه، فإنهم هم الذين حين علموا بما جرى للجاسوسين مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أرسلوا وفدهم إليه «صلى الله عليه وآله» بإسلامهم..

---

(١) شرح المواهب للزرقاني ج٥ ص١٧١.

غير أن هذا التوجيه غير مقبول ولا معقول، لأنه يتنافى، بل يتناقض مع صريح الرواية.. كما لا يخفى على من لاحظ كلماتها، وعباراتها..

فإن أبا بكر وعثمان قد طلبا من الجاسوسين أن يطلبا من النبي الدعاء برفع البلاء عن الذين أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عنهم، بأنهم ينحرون كالبدن، ويتعرضون للقتل والفناء، بسيوف المسلمين..

على أن قول الزرقاني: إن دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» برفع البلاء عنهم، إنما حصل بعد قتل من قتل، لا يحل الإشكال، فإن المفروض: أن بعضهم قد قتل، ولكن المعظم قد بقي، فجاءت الدعوة لكي تحفظ وتنجي من بقي وكان في معرض القتل، وأما الذين بقوا في الحصن فلا داعي للدعاء لهم، فقد كانوا في مأمن من كل سوء..

٦ ـ ألا يعد هذا الموقف من أبي بكر وعثمان من مفردات تولي الكافرين، الذي حذر الله تعالى المؤمنين والمسلمين منه، وبين لهم آثاره السيئة؟!..

٧ ـ لماذا يريد أبو بكر وعثمان منع المسلمين من ممارسة حريتهم في قمع عدوهم، إلى حد أنهما يطلبان من الله أن يتدخل لمنعهم من ذلك بصورة جبرية قاهرة؟!..

٨ ـ وهل صحيح: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد استجاب لطلب ذينك الجاسوسين وطلب من الله رفع البلاء عن المشركين، الساعين إلى إطفاء نور الله وقتل المؤمنين؟!

٩ ـ وإذا كان البلاء قد ارتفع فعلاً، فهل ارتفع عنهم بطريق الجبر الإلهي، ومنع الأيدي من التحرك، أو التصرف بحركتها لكي تصبح ضرباتهم خائبة؟!..

وإذا كانت أيدي المسلمين قد يبست، ومُنعت من الحركة، أو أصبحت ضرباتهم خائبة، فكيف واجه المشركون ذلك؟! هل اغتنموا الفرصة، وأوقعوا بالمسلمين، وقتلوهم وطردوهم من ديارهم؟! أم أنهم تركوهم وهربوا إلى الحصن؟! ولماذا هربوا إذا كان عدوهم قد قيّد عن الحركة؟! أو أن ضرباته قد أصبحت خائبة؟!

مدائح النبي ﷺ لأهل جرش:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين قدم عليه وفد جرش، وصفهم بما لم نعهد أنه وصف به أحداً من الناس، حيث قال: «أحسن الناس وجوهاً، وأصدقه لقاءً، وأطيبه كلاماً، وأعظمه أمانةً، أنتم مني وأنا منكم».

ونقول:

قد روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أطلق هذه الأوصاف بالذات، أو بعضها على قبائل وفئات أخرى أيضاً، فقد روي أنه قال في حق قبيلة دوس: «أحسن وجوهاً، وأطيب الناس أفواهاً، وأعظمهم أمانةً»[1].

وروي أنه «صلى الله عليه وآله» قال في حق المهاجرين والأنصار من بني عمه: «أحسن الناس وجوهاً، وأعظم الناس أحلاماً»[2].

---

(١) مجمع الزوائد ج١٠ ص٥٠ والمعجم الكبير ج١٢ ص١٧٢ والمعجم الأوسط ج٧ ص٤٧ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٣٦، وميزان الاعتدال للذهبي ج٣ ص٢٠٦، ولسان الميزان لابن حجر ج٤ ص٣١٣.

(٢) تفسير الثعلبي ج٩ ص٧٤ وأسد الغابة ج١ ص١٠٨ والسيرة الحلبية (ط دار =

وروي أيضاً أنه قال لوفد الأزد: «مرحباً بالأزد، أحسن الناس وجوهاً، وأشجعهم قلوباً، وأطيبهم أفواهاً، وأعظمهم أمانةً، وشعاركم يا مبرور»(١).

فأي ذلك هو الصحيح؟!

فإن الأحسنية، والأعظمية، والأطيبية و.. و.. منحصرة في واحد، ولا يمكن إثباتها لاثنين، فضلاً عن إثباتها لثلاثة، أو أربعة!! فإذا كان فلان أحسن الناس فلا يمكن أن يكون فلان الآخر أحسن الناس أيضاً.

في وفد أزد عمان:

وقالوا: أسلم أهل عمان، فبعث إليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» العلاء بن الحضرمي يُعلِّمهم شرائع الإسلام، ويُصَدِّق أموالهم.

فخرج وفدهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيهم: أسد بن بيرح الطاحي. فلقوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسألوه أن يبعث معهم

= المعرفة) ج٣ ص٢١٧ وأسباب النزول للواحدي ص٢٥٩ وكنز العمال ج١٠ ص٦١٣ وفيه (من بني نمر) وهو تصحيف، والبحر المحيط (تفسير) ج٨ ص٢٠٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٩ ص١٨٨.

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص٨١ وأسد الغابة ج٣ ص٣٠٦ والإصابة ج٤ ص٣١٠ وميزان الإعتدال ج٣ ص٢٠٦ ولسان الميزان ج٤ ص٣١٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٤٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٦٤ والمستدرك على الصحيحين ج٢ ص١٠٦ والآحاد والمثاني ج٤ ص٢٦٩ والمعجم الأوسط ج٣ ص١٦٦ وكنزالعمال ج١٢ ص٥٦ و ٥٨ وج١٤ ص٨٩ والضعفاء للعقيلي ج٣ ص١٧٤ والكامل لابن عدي ج٥ ص٣٠ وعلل الحديث لابن أبي حاتم ج٢ ص٣٥٨.

رجلاً يقيم أمرهم.

فقال مخربة العبدي ـ واسمه مدرك بن خوط ـ: ابعثني إليهم، فإن لهم عليّ منة، أسروني يوم جنوب، فمنوا عليّ. فوجهه معهم إلى عمان.

وقدم سلمة بن عياذ الأزدي (ملك عمان) في أناس من قومه، فسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، عما يعبد وما يدعو إليه، فأخبره رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال: «ادع الله لي أن يجمع كلمتنا وألفتنا». فدعا لهم، وأسلم سلمة ومن معه[١].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نِعْمَ الوفد الأُزد، طَيِّبة أفواههم، بَرَّة أيمانهم، تَقِيَّة قلوبهم»[٢].

ونقول:

إننا لا نستطيع أن نؤكد صحة هذه المدائح أو الذموم التي ينقلونها عن النبي «صلى الله عليه وآله» في حق بعض القبائل أو الفئات، أو البلاد، فإنها مظنة الجعل والإفتراء لدوافع لا تخفى..

غير أننا قد لا نتحفظ كثيراً، إذا كان ما يذكرونه عنه «صلى الله عليه وآله» كان قد قاله في أعقاب عمل صالح صدر عنهم، وإساءة اقترفوها، فيأتي المدح للترغيب في تلك، وللردع عن هذه.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٦٤ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٥١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٦٤ عن أحمد بسند حسن، وراجع: كنز العمال ج١٤ ص٨٥، وأسد الغابة ج١ ص٢٧٦.

غير أن المدح الذي ذكر في النص الآنف الذكر إنما هو لأناس بأعيانهم، وهم خصوص أعضاء الوفد الذين قدموا عليه «صلى الله عليه وآله».. فلعل هذا الوفد بالخصوص كان يتشكل من رجال صالحين، يستحقون هذا الثناء النبوي الكريم مع بقاء احتمال الكذب فيه قائماً..

وفد الأزد في حديث آخر:

عن سويد الأزدي: أنه كان سابع سبعة من قومه وفدوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله». فقال: ما أنتم؟!.

قلنا: مؤمنون.

فتبسم «صلى الله عليه وآله» وقال: إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟!

قلنا: خمس عشرة خصلة: خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً.

فقال «صلى الله عليه وآله»: ما الخمس التي أمرتكم بها رسلي؟!

قلنا: أمرتنا ان نؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت.

قال: وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها؟.

قالوا: أمرتنا أن نقول: لا إله إلا الله، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت إن استطعنا إليه سبيلاً.

قال: وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية؟

قالوا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضا بمُر القضاء،

والصدق في مواطن اللقاء، وترك الشماتة بالأعداء.

فقال «صلى الله عليه وآله» حكماء علماء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء، ثم قال: وأنا أزيدكم خمساً فتتم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون، فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً زائلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما أنتم عليه تقدمون وفيه تخلدون، فانصرفوا وقد حفظوا وصيته «صلى الله عليه وآله» وعملوا بها[1].

وما قلناه حول صحة هذا النقل أو عدم صحته هو نفس ما قلناه في سابقه، فإنه زاد على سابقه ثناء آخر وهو أنهم كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء قبل أن يعملوا بالخمس التي زادهم إياها..

ولسنا ندري إن كانوا بعد أن عملوا بالخمس الباقية هل وصلوا إلى مقام النبوة أم لا؟! غير أننا لم نجد لهؤلاء الناس أي نشاط يميزهم عن غيرهم ممن لم يكن مثلهم في الفقه والحكمة والعلم..

٢ـ وفود مهرة:

قالوا: قدم وفد مهرة. عليهم مهري بن الأبيض، فعرض عليهم رسول

---

(١) المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص٢٢٧ ـ ٢٣٠ ومعجم قبائل العرب ج١ ص١٦ والإصابة ج٢ ص٩٨ عن أبي أحمد العسكري، والرشاطي، وابن عساكر، وأبي سعيد النيسابوري في شرف المصطفى، وتاريخ مدينة دمشق ج٤١ ص١٩٨ و٢٠١، وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص١٠٩، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٨١.

الله «صلى الله عليه وآله» الإسلام، فأسلموا ووصلهم وكتب لهم:

«هذا كتاب من محمد رسول الله لمهري بن الأبيض على من آمن به من مهرة: ألا يؤكلوا ولا يعركوا، وعليهم إقامة شرائع الإسلام، فمن بدل فقد حارب، ومن آمن به فله ذمة الله وذمة رسوله، اللقطة مؤداة، والسارحة منداة، والتفث السيئة، والرفث الفسوق». وكتب محمد بن مسلمة الأنصاري.

وعن عمران المهري قال: وَفَدَ إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجل من مهرة يقال له: زهير ـ وفي لفظ: ذهبن ـ ابن قرضم بن العجيل [ابن قثات]، فكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يدنيه ويكرمه لبعد مسافته، فلما أراد الإنصراف بتَّه وحمله، وكتب له كتاباً فكتابه عندهم [إلى اليوم](١).

لا يعركون: أي لا يحملون ما يوجب عُدمهم.

منداة: أي لا تمنع من الرعي والسقي.

ثم فسر لهم «صلى الله عليه وآله» معنى كلمتي: التفث الرفث.

قدوم نافع بن زيد الحميري:

عن أياس بن عمرو الحميري: أن نافع بن زيد الحميري قدم وافداً على النبي «صلى الله عليه وآله» في نفر من حمير، فقالوا: أتيناك لنتفقه في الدين، ونسأل عن أول هذا الأمر.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٤ عن ابن سعد في الطبقات (ط ليدن) ج٢ ص١١٧ و (ط دار صادر) ج١ ص٢٨٦ و ٣٥٥ ومجموعة الوثائق السياسية ص٢٥١ ورسالات نبوية ص٢٨٧ ومدينة البلاغة ج٢ ص٣٣٩ وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص٣٥٤ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٤ ص١٩٩.

قال: «كان الله ولا شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثم خلق القلم فقال: اكتب ما هو كائن، ثم خلق السماوات والأرض وما بينهما، واستوى على عرشه»[١].

ونقول:

١ ـ إن وفد حمير قد جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، ليتفقهوا في الدين، احتياطاً منهم لأنفسهم، ولدينهم، فإن وجوب التعلم لما به تكون النجاة من العقاب، مما تحكم به الفطرة ويحتمه الوجدان، وتقضي به العقول.

حديث القلم.. والجبر والعدل:

قد ذكر آنفاً: حديث كتابة القلم ما هو كائن إلى يوم القيامة.. ولهذا الحديث ألفاظ مختلفة منها ما رواه أبو هريرة قال: قال لي النبي «صلى الله عليه وآله»: «جف القلم بما أنت لاق»[٢].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٥ عن ابن شاهين، وراجع: جمهرة أنساب العرب ص٤٤٠.

(٢) راجع: البحار ج٥٤ ص٣٦٢ وج٥٧ ص٩٣ والسنن الكبرى ج٩ ص٣ وفتح الباري ج٦ ص٢٠٦ ونسخة وكيع ص٥٦ ومسند أبي داود الطيالسي ص٧٩ وكتاب السنة ص٤٨ و ٤٩ وكنز العمال ج١ ص١٢٦ وج٦ ص١٢٢ وتفسير القرآن للصنعاني ج٣ ص٣٠٧ وجامع البيان ج٢٩ ص١٨ و ١٩ و ٢١ وتفسير السمرقندي ج٣ ص٢٠٩ و ٤٥٨ وتفسير الرازي ج١٣ ص٢٢٨ وج٣٠ ص٧٨ وتفسير القرطبي ج١ ص٢٥٧ وج١٨ ص٢٢٥ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤٢٧ و ٤٢٨ وتاريخ بغداد ج٩ ص٦٠ وتهذيب الكمال ج١٨ ص٤٥٧ وتاريخ الأمم والملوك ج١ ص٢٢ و ٣٤ و ٣٥.

ومنها ما روي: من أن «أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب.

فقال: ما أكتب؟

قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة»(١).

وفي نص آخر: فجرى من ذلك اليوم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ثم طوى الكتاب وارتفع القلم(٢).

وقال سراقة بن جشعم: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟

أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير؟! أم فيما نستقبل؟!

---

(١) صحيح البخاري ج٨ ص١٢٢٢ و (ط دار الفكر) ج٦ ص١١٩وج٧ ص٢١٠ وسنن النسائي ج٦ ص٥٩ وج٧ ص٧٩ وفتح الباري ج١١ ص٤٣١ وعمدة القاري ج٢٠ ص٧٣ وج٢٣ ص١٤٧ وكتاب السنة لعمرو بن أبي عاصم ص٥١ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٤٦٤ والمعجم الأوسط ج٧ ص٤٩ ومسند الشهاب لابن سلامة ج١ ص٣٥٣ وتغليق التعليق لابن حجر ج٤ ص٣٩٦ وكنز العمال ج١ ص١١٦و ٣٥٨ وكشف الخفاء ج١ ص٣٣٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٥ ص٧ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٢٩٠ والدر المنثور ج٦ تفسير سورة القلم، عن ابن جرير، والطبراني، وابن مردويه، وعن الترمذي (القدر) باب ١٧.

(٢) راجع: الدر المنثور ج٦ ص٢٤٩ عن عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن ابي حاتم، وأبي الشيخ في العظمة، والحاكم وصححه، والبيهقي في الأسماء والصفات، وتاريخ بغداد للخطيب، والضياء في المختارة، وفتح القدير للشوكاني ج٥ ص٢٦٩ وتفسير ابن أبي حاتم ج١٠ ص٣٣٦٤ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٤٩٨.

قال: لا، بل فيما جفت فيه الأقلام، وجرت به المقادير[١].

وعنه «صلى الله عليه وآله» في تفسير قوله تعالى: ﴿**ن وَالْقَلَمِ**﴾. والقلم الذي خط به ربنا عز وجل القدر، خيره وشره، ونفعه وضره[٢].

وعن أبي هريرة عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إن أول شيء خلق الله القلم، ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال له: اكتب.

قال: وما أكتب؟

قال: ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، من عمل، أو أثر، أو رزق، فكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، وذلك قوله: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾[٣] ثم ختم عليه في القلم، فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة. ثم خلق الله العقل[٤].

---

(١) راجع: الدر المنثور ج٦ ص٢٤٩ ومسند أحمد ج٣ ص٢٩٣ وصحيح مسلم ج٨ ص٤٧ والديباج على مسلم ج٦ ص١١ ومسند ابن أبي الجعد ص٣٨٤ وتفسير البغوي ج٤ ص٤٩٢ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٢٢٦، ، وحديث خيثمة للأطرابلسي ص١٨٧، وصحيح ابن حبان ج٩ ص٢٢٧، والمعجم الكبير للطبراني ج٧ ص١٢١ و١٢٨، وفوائد العراقيين للنقاش ص٤٢، وإرواء الغليل للألباني ج٤ ص٢٠٤، وتفسير البغوي ج٤ ص٤٩٢، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٧٥، وراجع: سنن ابن ماجة ج١ ص٣٥، وفتح الباري ج١١ ص٤٣١.

(٢) راجع: البحار ج٥٧ ص٩٣ والدر المنثور ج٦ ص٢٥٠، وفتح القدير ج٥ ص٢٧٠.

(٣) الآية ١ من سورة القلم.

(٤) راجع: الدر المنثور ج٦ ص عن الحكيم الترمذي، وأدب الإملاء والإستملاء للسمعاني ص١٧٧، وكشف الخفاء للعجلوني ج١ ص٢٦٤، وتفسير الميزان =

وفي نص آخر: أنه سبحانه وتعالى أخذ القلم بيمينه ـ وكلتا يديه يمين ـ وخلق النون، وهي الدواة، وخلق اللوح فكتب فيه[1].

والروايات حول القلم التي تذكر: أنه كتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة كثيرة، فراجع على سبيل المثال، ما أورده السيوطي منها في كتابه الدر المنثور عن ابن عباس، وأبي هريرة. وعن قرة، وعبادة بن الصامت[2].

استفادة الجبرية من أحاديث القلم:

وقد ضم أنصار عقيدة الجبر الإلهي، وهم غير الشيعة، إلى أحاديث القلم المذكورة، روايات أخرى نسبوها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وخرجوا بنتيجة تقضي بتعميم القدر والجبر الإلهي لأفعال العباد أيضاً..

ولكنهم يرفضون تسميتهم بـ «الجبرية» و «القدرية» و «المجبرة»، لكي يتفادوا انطباق حديث: «القدرية مجوس هذه الأمة» عليهم.

رغم أن الخلَّال، وهو أحد علماء الحنابلة قد أطلق كلمة «القدرية» على القائلين بالجبر[3].

= ج١٩ ص٣٧٧، وأحكام القرآن لابن العربي ج٤ ص٣٠٤، وتفسير القرطبي ج١٨ ص٢٢٣، وتفسير الثعالبي ج٥ ص٤٦٤، والدر المنثور للسيوطي ج٦ ص٢٥٠، والكامل لابن عدي ج٦ ص٢٦٩، وتاريخ مدينة دمشق ج٥ ص١٧٤ وج٥٦ ص٢٠٨ وج٦١ ص٣٨٥.

(١) راجع: الدر المنثور ج٦ ص٢٥٠ عن ابن أبي شيبة، وابن المنذر.

(٢) راجع: الدر المنثور ج٦ ص٢٤٩ و ٢٥٠.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ص٦٦ عن الخلَّال.

لماذا كانت القدرية مثل المجوس؟!:

ووجه الشبه بين القدرية والمجوس: أن المجوس يقولون بإلهين مؤثرين، والقدرية يقولون: بأن الله تعالى مؤثر، وخالق، ورازق، وشاف وغير ذلك..

والقدر أيضاً مؤثر، حيث إنه يجري حتى على أفعال الله تعالى، فهو تعالى محكوم بقدره مكره على إجرائه، فإن عليه أن يجري ما كتبه القلم، ثم إنه لما جف القلم أصبح الله غير قادر على فعل أي شيء.

والقدر الذي ـ كتبه القلم ـ هو الذي حرم ناساً من الجنة، وأدخل آخرين النار.:

نماذج من أحاديث الجبر:

ومما أوردوه للتدليل على ما يذهبون إليه من جبر وقدر:

١ ـ أن آدم «عليه السلام» قد احتج على موسى «عليه السلام» بقوله: أتلومني على أمرٍ (عملٍ) قدَّر الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة.. أو قبل أن يخلق الله السماوات والأرض[1].

٢ ـ جاء في أحاديث عالم الذر: «خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي، وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي»[2].

---

(١) راجع: صحيح البخاري ج٧ ص٢١٤، وصحيح مسلم (بشرح النووي) ج١٦ ص١٩٦ والجامع الصحيح للترمذي ج٣ ص٣٠١،

(٢) المستدرك للحاكم ج١ ص٣١ وشرح مسلم للنووي ج١٥ ص١٤٥ وراجع: فيض القدير ج٢ ص٢٩٨ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٧٩ وأسد الغابة =

٣ ـ روايات كيفية خلق الخلق، وأنه بعد نفخ الروح في الإنسان «يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي، وسعيد. زاد في نص آخر: ثم تطوى الصحف، فلا يزاد بها ولا ينقص»[1].

= ج٥ ص٢٤٣ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج٧ ص٢١٥ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج١ ص١٠٠ وقصص الأنبياء لابن كثير ج١ ص٤٩، وكتاب الموطأ لمالك ج٢ ص٨٩٩، والبحار ج٥ ص٢٦٩، ومسند احمد ج١ ص٤٤، وسنن أبي داود ج٢ ص٤١٤، وسنن الترمذي ج٤ ص٣٣١، والمستدرك للحاكم ج٢ ص٣٢٥ و٥٤٤، وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٨٧، والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٣٤٧، وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٣٨، والإستذكار لابن عبد البر ج٨ ص٢٦٠، والتمهيد لابن عبد البر ج٦ ص٢ وج١٨ ص٨٣، وموارد الظمآن للهيثمي ج٦ ص٣٨، وكنز العمال ج١ ص١١٣ وج٢ ص٤٠٩، وجامع البيان للطبري ج٩ ص١٥٢، وتفسير ابن أبي حاتم ج٥ ص١٦١٢، وتفسير السمرقندي ج١ ص٥٧٧، وتفسير السمعاني ج٦ ص١٧١، وتفسير البغوي ج٢ ص٢١١، وأحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٣٣٣، وتفسير الرازي ج١٥ ص٤٦، وتفسير القرطبي ج٧ ص٣١٤ وج١٤ ص٢٨، ودقائق التفسير لابن تيمية ج٢ ص١٦٨، وتفسير ابن كثير ج٢ ص٢٧٣، والدر المنثور ج٣ ص١٤٢، وتفسير أبي السعود ج٣ ص٢٩٠، وفتح القدير ج٢ ص٢٦٣، وتفسير الآلوسي ج٩ ص١٠٣، وتاريخ مدينة دمشق ج٣٤ ص٧٠، وتاريخ الطبري ج١ ص٩١، والبداية والنهاية ج١ ص٩٩، وقصص الأنبياء لابن كثير ج١ ص٤٨، وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٦٦.

(١) راجع: صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٨ ص٤٤ و ٤٥ وشرح صحيح مسلم للنووي (ط دار الكتب العلمية) ج١٦ ص١٩٠ و ١٩١ والمحلى لابن حزم =

٤ ـ أحاديث: أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها[1].

= ج١١ ص٣٤ ومغني المحتاج للشربيني ج٣ ص٣٣٨ وراجع: نيل الأوطار للشوكاني ج٤ ص٨٣ وسنن الترمذي ج٣ ص٣٠٢ ومسند أبي داود الطيالسي ص٣٨ وتحفة الأحوذي ج٤ ص١٠٢ وتفسير الميزان ج١٤ ص٣٥٤ وتفسير القرطبي ج١ ص١٩٤ وج١٢ ص٧ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٢٠ وراجع ج٣ ص٢١٧ والدر المنثور ج٤ ص٣٤٥ وفتح القدير ج٣ ص٤٣٨ وتفسير الآلوسي ج٧ ص٨٧ وأضواء البيان للشنقيطي ج٤ ص٢٧٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٤ ص١٩٥ وراجع: الديباج على مسلم ج٦ ص٧ وتفسير البغوي ج١ ص٢٧٨ وج٣ ص٢٣.

(١) صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٤ ص٧٩ و ١٠٤ وج٧ ص٢١٠ وج٨ ص١٨٨ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٨ ص٤٤ وسنن ابن ماجة ج١ ص٢٩ وسنن أبي داود ج٢ ص٤١٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٤٢١ وج١٠ ص٢٦٦ وشرح مسلم للنووي ج١٦ ص١٩٢ وعمدة القاري ج١٥ ص١٢٩ و ١٣٠ و ٢١٣ وج٢٣ ص١٤٥ وج٢٥ ص١٣٩ والديباج على مسلم ج٦ ص٥ ومسند أبي داود الطيالسي ص٣٩ ومسند ابن الجعد ص٣٨٠ وكتاب السنة لعمرو بن أبي عاصم ص٧٧ والتمهيد لابن عبد البر ج١٨ ص١٠١ والأذكار النووية ص٤٠٦ ورياض الصالحين ص٢٣٤ والجامع الصغير للسيوطي ج١ ص٣٣٣ وجامع بيان العلم وفضله ج٢ ص١١٤ وفيض القدير ج٢ ص٢٢٤ وج٦ ص٣١٤ وفتح القدير ج٣ ص٤٣٨ وتفسير الميزان ج١٤ ص٣٥٤ وتفسير ابن زمنين ج٢ ص٣٠٩ وتفسير السلمي ج١ ص٣٣٨ =

وقد سئل «صلى الله عليه وآله»: فلم يعمل العاملون؟

فقال: كلٌ يعمل لما خُلق له، أو لما يسِّر له[1]. أو اعملوا فكلٌ ميسَّر لما خلق له[2].

= وتفسير السمعاني ج٢ ص١٧٧ وتفسير البغوي ج١ ص٢٧٨ وأحكام القرآن لابن عربي ج٢ ص٣٣٥ وتفسير الرازي ج٢ ص٤٧ وتفسير القرطبي ج١ ص١٩٤ وج١٨ ص١٣٢ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص١٩١ وج٢ ص٢١٨ وج٣ ص٢٥١ و ٢٥٩ والدر المنثور ج٤ ص٣٤٥ والكامل لابن عدي ج٣ ص٢٩٩ وكنز العمال ج١ ص١١٢ و ١٢٢ و ٣٦٠ وأضواء البيان للشنقيطي ج٨ ص١٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٤ ص١٩٥ وتهذيب الكمال ج١٠ ص١١٤.

(١) صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٧ ص٢١٠ وفتح الباري ج١١ ص٤٣٢ وعمدة القاري ج٢٣ ص١٤٨ والمعجم الكبير ج١٨ ص١٣١ ومسند احمد ج٤ ص٤٢٧ ومسند ابي داود الطيالسي ص١١١ وراجع: منتخب مسند عبد بن حميد ص٣٧ وسنن أبي داود (مطبوع مع عون المعبود) ج١٢ ص٤٥٨ و ٤٧٦ والذهب الأبريز ص٢٦.

(٢) صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٦ ص٨٦ وج٨ ص٢١٥ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٨ ص٤٧ و ٤٨ ومسند أحمد ج١ ص٦ و ٨٢ و ١٥٧ وج٣ ص٣٠٤ وج٤ ص٦٧ و ٤٣١ وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٠ و ٣٥ ج٢ ص٧٢٥ وسنن أبي داود ج٢ ص٤١٥ وسنن الترمذي ج٣ ص٣٠٢ وشرح مسلم للنووي ج١٦ ص٢١٤ ومجمع الزوائد ج٧ ص١٨٧ و ١٨٩ و ١٩٤ و ١٩٥ وفتح الباري ج١١ ص٤٣٥ وعمدة القاري ج٢٥ ص١٩٥ والديباج على مسلم ج٦ ص١٠ ومسند أبي داود ص١١٣ والأدب المفرد للبخاري ص١٩٣ =

أي أنه إذا كان قد خلق للعمل الصالح، فإن العمل الصالح هو الذي يكون ميسوراً له، ويكون هو قادراً عليه، ولا يقدر على غيره، وكذلك الحال لو كان قد خلق للعمل السيء، فإنه يكون قادراً عليه، ولا يقدر على عمل الخير..

الشيعة بريئون من الجبر:

ومهما يكن من أمر، فإن طائفة كبيرة من المسلمين ترى أن القدر يشمل أفعال العباد، بل يشمل أفعال الله أيضاً.. وينكر الشيعة ذلك في الموردين، فيرون ـ وفقاً لتعاليم أئمتهم «عليهم السلام» ـ أن الله قادر على إجبار عباده، ولكنه لا يفعل ذلك.. كما أن له المشيئة فيما قضاه وقدره تبارك وتعالى.. وليس محكوماً بقدره.

من سلبيات تعميم القدر لأفعال العباد:

ومن الواضح: أن تعميم القدر إلى جميع افعال العباد، يجعل كل كفر وشرك، ومعصية، بقدر وبقضاء حتمي، ولا يمكن لأي عبد أن يتخلف عما قدره الله تعالى له.

= وخلق أفعال العباد للبخاري ص٥٣ والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٥١٧ والمعجم الأوسط ج٤ ص١٤٤ وج٥ ص١٣٥ والمعجم الصغير ج١ ص٢٥٥ والمعجم الكبير ج١ ص٦٤ و ٢٣٧ وج٧ ص١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ وج١٨ ص١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ وعوالي اللآلي ج٤ ص١٢٢ والبحار ج٤ ص٢٨٢ وج٦٤ ص١١٩ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٥٩٠ ومصادر أخرى كثيرة.

وقد صرح الأشعري بذلك، حين أعلن توبته عن مذهب الإعتزال والتزام خط أهل السنة، التي هي عقائد أهل الحديث، مع شيء من التلطيف والتخفيف، والعدول عن التصريح إلى التلويح، فقد قال إنه تاب عن قوله: «إن أفعال الشر أنا أفعلها»(١).

فهذا يشير إلى أنه أصبح يرى أن الله هو الذي يفعل أفعال الشر.

وصرحوا أيضاً: بأنه «لا خالق إلا الله، وأن سيئات العباد يخلقها الله»(٢). فإذا كان القدر حاكماً على تلك الأفعال، التي هي في الحقيقة أفعال الله، لأنه هو خالقها، فالقدر حاكم على الله مباشرة، وقد سلبه الإختيار، ولم يعد قادراً إلا على فعل ما جرى به القدر، على قاعدة: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ**﴾(٣).

قال ابن الحجاج:

المجبرون يجادلون بباطل ... وخلاف ما يجدونه في القرآن
كل مقالته الإله أضلني ... وأراد بي ما كان عنه نهاني
أيقول ربك للخلائق آمنوا ... جهراً ويجبرهم على العصيان
إن صح ذا فتعوذوا من ربكم ... وذروا تعوذكم من الشيطان(٤)

---

(١) الفهرست لابن النديم ص٢٣١ ووفيات الأعيان لابن خلكان ج٣ ص٢٨٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢٤ ص١٥٥ والوافي بالوفيات ج٢٠ ص١٣٧.
(٢) مقالات الإسلاميين ج١ ص٣٢١ والإلهيات للسبحاني ص٦٠٨.
(٣) الآية ٦٤ من سورة المائدة.
(٤) راجع: الطرائف لابن طاووس ص٣٢٠.

وما أجرأهم أيضاً بقول الآخر:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له: إياك إياك أن تبتل بالماء

الجبر واليهود، والمشركون:

وقد ذكرنا في كتابنا: «أهل البيت في آية التطهير»: أن عقيدة الجبر هي من بقايا عقائد أهل الكتاب، وقد صرحت بها كتبهم المحرفة بصورة واضحة، فراجع: التوراة، والتلمود، والإنجيل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[1].

وقد كان سكان الجزيرة على احتكاك متواصل باليهود، الذين يعتقدون بالجبر، وخصوصاً الفريسيين منهم، فقد كان: «الفريسيون من اليهود لا يرون للإنسان إرادة، ولا اختياراً، ولا تأثيراً، ولا جزءاً كسبياً، ولذا لا يرونه جديراً بالمدح والثناء، لأن فعل الله فعل بيده»[2].

الحكّام ومقولة الجبر:

وقد راقت مقولة الجبر الإلهي هذه للحكام والمتسلطين، فسعوا إلى نشرها، وحَمْلِ الناس عليها، لأن هذه العقيدة تجعل الناس يستكينون لحكمهم، ويخضعون لسلطانهم، مهما صدر منهم من ظلم وعسف، وبه

---

(١) الآية ٣٥ من سورة النحل.

(٢) هل نحن مسيرون أم مخيرون للزعبي ص٢٦.

يبررون للناس كل ما ارتكبوه من جرائم وموبقات، وهم يفرضون على الناس من خلال هذه العقيدة كل ما يحلو لهم، أو يخطر على بالهم، وبه احتج معاوية لصحة ما أقدم عليه من فرض ولده يزيد المجرم والطاغي والفاسد، على الناس من بعده، فقد قال لعائشه تارة ولابن عمر أخرى: «وإن أمر يزيد قد كان قضاءً من القضاء، وليس للعباد خيرة في أمرهم»[1].

واحتج به عمر بن سعد «لعنه الله» لقتله الإمام الحسين «عليه السلام»، فقد قال له ابن مطيع: أخترت همدان والريّ على قتل ابن عمك؟!

فقال عمر بن سعد «لعنه الله»: كانت أموراً قضيت من السماء. وقد أعذرت إلى ابن عمي قبل الوقعة[2].

وحين ذكرت عائشة لأبي قتادة ما قاله النبي «صلى الله عليه وآله»، في حق الخوارج، وأن الذي يقتلهم أحبهم إليّ، أحبهم إلى الله.

فقال لها أبو قتادة: يا أم المؤمنين، فأنت تعلمين هذا فلم كان منك؟!

قالت: يا أبا قتادة! ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾[3]»[4].

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص١٨٢ و ١٨٣ و (ط مؤسسة الحلبي) تحقيق الزيني ج١ ص١٥٨ و ١٦١ و (ط أمير قم) تحقيق الشيري ج١ ص٢٠٥ و ٢١٠ والغدير ج١٠ ص٢٤٩.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص١١٠ و (ط دار صادر) ص١٤٨، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص٥٥.

(٣) الآية ٣٨ من سورة الأحزاب.

(٤) تاريخ بغداد (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص١٧٢ والمحاسن والمساوئ للبيهقي ج١ ص٤٧١ وشواهد التنزيل للحسكاني ج٢ ص٣٨ و ٣٩ ونور الثقلين =

فهي تبرر حرب الجمل وقتل المئات أو الألوف من المسلمين بالقدر الإلهي !!

وحين سألت أم الحارث الأنصارية عمر بن الخطاب عن سبب فراره يوم حنين، قال: أمر الله[1]. وأجاب نسيبة بنت كعب المازنية بذلك أيضاً[2]، وكذا الحال بالنسبة لأبي قتادة الأنصاري[3].

وبهذه العقيدة استدل خالد بن الوليد لقتل مالك بن نويرة، وبرر بها عثمان تمسكه بالحكم إلى أن قتل، وبرر بها معاوية والمنصور منع الناس

= (تفسيرَ) ج٤ ص٢٧٦ ومجمع البيان ج٨ ص٣٥٧ والبحار ج٣٥ ص٢٢٢ وعن الطرائف ص٣٠، والدر النظيم ص٣٣٥.

(١) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٤ وراجع ص٦٢٣ عن البخاري، وبقية الجماعة، وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٦ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٧ والبحار ج٢١ ص١٥٠ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٠٤.

(٢) تفسير القمي ج١ ص٢٨٧ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣١ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٨ والبحار ج٢١ ص١٥٠ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٦ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص١٩٩.

(٣) السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٨ و (ط دار المعرفة) ص٦٥ والآحاد والمثاني ج٣ ص٤٣٥ والمنتقى من السنن المسندة ص٢٧٠ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢٢٦ وصحيح ابن حبان ج١١ ص١٣١ و ١٦٨ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٥ ص١١٧ والإستذكار ج٥ ص٥٩ والتمهيد ج٢٣ ص٢٤٢ ونصب الراية ج٤ ص٢٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٧ ص١٤٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٣.

حقوقهم في بيت مال المسلمين..

وبها برر عمر بن الخطاب تمزيقه لكتاب كان قد كتبه في إرث الجدة.

إلى غير ذلك من موارد كثيرة.. لا مجال لحصرها، غير أننا ذكرنا طائفة من المصادر لها في كتابنا: «أهل البيت في آية التطهير»[1].

والبحث في هذه الموضوعات طويل ومتشعب، نكتفي منه بما ذكرناه..

رواية أهل البيت عليهم السلام لحديث جف القلم:

وبعد.. فإن جميع ما ذكرناه لا يعني أن حديث «جف القلم» مكذوب ومختلق من أساسه.

إذ إن أهل البيت «عليهم السلام» وهم سفينة نوح، قد رووا لنا النص الصحيح لأحاديث القلم[2]، وفسروه وبينوا معناه، فأخذه عنهم شيعتهم، فأمنوا من الوقوع في الشبهات..

---

(١) راجع: أهل البيت في آية التطهير (الطبعة الثانية) ص١٣٠ و ١٣١.

(٢) راجع: تفسير القمي (مطبعة النجف) ج٢ ص١٩٨ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٥٨٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج٩ ص١٩٣ والتفسير الأصفى ج٢ ص١٣٤ والتفسير الصافي ج٤ ص٢١٠ وج٥ ص٢٠٧ وج٦ ص٨٠ وج٧ ص٢٥٨ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٥١٩ وج٥ ص٣٨٩ وراجع ج١ ص٤٣٢ وراجع: علل الشرايع (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص١٩ والبحار ج١١ ص٢٢٣ وج٥٤ ص٣٦٩ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٠ ص٣٩٤ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٣٤٠ ومعاني الأخبار ص٢٣ ومجمع البيان ج١٠ ص٨٨.

ولكن غير أتباع أهل البيت «عليهم السلام» لم يوردوا الحديث على وجهه، بل قد زِيدَ فيه ونُقِّص، أو أُعطي معنى غير معناه.

إذ إن بعض الروايات عن الإمام الصادق «عليه السلام» قد صرحت بما يدفع شبهة الجبر الإلهي، وبتخطئة من حاول أن يلصق هذه العقيدة بمعنى هذا الحديث.

فقد روى محمد بن مروان عن الإمام الصادق «عليه السلام»، أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(١). نهر في الجنة أشد بياضاً من اللبن. قال: فأمر الله القلم، فجرى بما هو كائن، وما يكون فهو بين يديه موضوع، ما شاء منه زاد فيه، وما شاء نقص منه، وما شاء كان، وما لا يشاء لا يكون(٢).

وهذا يدل على: أن ما جرى به القلم إنما هو ما تقتضيه السنن التي أودعها الله تعالى في الكائنات، بحسب ما لها من استعدادات، ووفق اقتضاء ما فيها من ميزات وخصائص..

غير أن هذه السنن لا تمنع من التدخل الإلهي، ولو من خلال الهيمنة عليها بسنن أرقى منها، فيكون البداء فيها حتى لو كتبها القلم في لوح المحو والإثبات..

أما ما كتبه القلم في أمِّ الكتاب، وهو الكتاب المكنون، والمطابق لعلمه

---

(١) الآية ١ من سورة القلم.

(٢) راجع: تفسير العياشي ج١ ص٤٧ و (ط المكتبة العلمية الإسلامية) ص٣٠ ومدينة المعاجز ج٥ ص١٨٩ والبحار ج٥٤ ص٣٦٩ وج٩٦ ص٢٠٤ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٥٨٤.

تعالى وهو أمُّ الكتاب، والأصل الذي يقاس عليه ما سواه، فإنه لا بداء فيه، بل يكون البداء منه، ويجب مطابقة ما في لوح المحو والإثبات له.. من حيث إجراء السنن أو التحكم فيها.

ولأجل ذلك نلاحظ: أن الروايات قد صرحت: بأنه بعد أن يكتب القلم فيه يختم على فم القلم، فلا ينطق أبداً.. وهذا ما أشارت إليه رواية عبد الرحيم القصير عن الإمام الصادق «عليه السلام»[1].

ورواية يحيى بن أبي العلاء[2]، فراجع.

فتلخص أن روايات أهل البيت «عليهم السلام» تفيد: أن للقلم كتابتين في لوحين:

إحداهما: في لوح المحو والإثبات، وفيه يكون البداء. ولا يكون منه.

والأخرى: في الكتاب المكنون، الذي هو أم الكتاب، ومنه يكون البداء.. ولا يكون فيه.

---

(١) راجع: تفسير القمي ج٢ ص٣٧٩ والبحار ج٥٤ ص٣٦٦ ومستدرك البحار ج٨ ص٥٨٣ وتفسير الميزان ج٨ ص١٦٩ وج١٨ ص١٨٢ وج١٩ ص٣٧٦ والتفسير الصافي ج٥ ص٩ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٥١٨ وج٥ ص٥ و ٦ و٢٢٥ و ٣٨٨، ومجمع البحرين للطريحي ج٤ ص٢٥٨.

(٢) راجع: علل الشرايع ج٢ ص١٠٥ و(ط المكتبة الحيدرية) ص٤٠٢ والبحار ج١١ ص١٠٨ وج٥٤ ص٣٦٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج٩ ص١٩١ والتفسير الصافي ج٥ ص٢٠٧ وج٧ ص٢٥٧ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٥١٨ وج٥ ص٦١ و ٣٨٧.

المخلوق الأول:

ويبقى هنا سؤال يحتاج إلى جواب، وهو: أن أحاديث القلم قد صرحت: بأنه هو أول ما خلقه الله تعالى، مع أن ثمة روايات تفيد غير ذلك، فقد روي:

١ ـ عن سماعة عن أبي عبد الله «عليه السلام»: إن الله عز وجل خلق العقل، وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره، فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً، وكرمتك على جميع خلقي..[1].

٢ ـ عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قلت لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: أول شي خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير[2].

---

(١) راجع: الكافي ج١ ص٢٠ والخصال للصدوق ص٥٨٩ وعلل الشرايع (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص١١٤ وشرح أصول الكافي ج١ ص١٩٩ ومشكاة الأنوار ص٤٤١ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٢٩١ والجواهر السنية ص٣٣١ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٢٩١ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج٢ ص٤١٢ وج٦ ص٢١٠ وج١٢ ص١٥٥.

(٢) راجع: البحار ج١٥ ص٢٤ وج٢٥ ص٢٢ وج٥٤ ص١٧٠ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٤ وسنن النبي «صلى الله عليه وآله» للطباطبائي ص٤٠٠ وكشف الخفاء ج١ ص٢٦٥ وتفسير الميزان ج١ ص١٢١ وتفسير الآلوسي ج١ ص٥١ وينابيع المودة للقندوزي ج١ ص٥٦ ومجمع النورين للمرندي ص٢٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٢٤٠.

وفي رواية أخرى: أول ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقه من جلال عظمته[1].

وفي رواية ثالثة: أول ما خلق الله نوري، ففتق منه نور علي، ثم خلق العرش واللوح، والشمس وضوء النهار، ونور الأبصار والعقل والمعرفة[2].

ونقول في الجواب:

١ ـ أما بالنسبة للعقل، فقد صرحت الرواية المتقدمة: أنه أول خلق من الروحانيين.

٢ ـ إن هذه الكلمة: «أول ما خلق الله القلم» لم ترد إلا في رواية القمي عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام. وهي لا تعارض الروايات الآنفة الذكر. فإن روايات القلم قد صرحت: بأنه قد كتب ما كان وما يكون.

وهذا يدل على: أن ثمة ما هو مخلوق وكائن قبل ذلك. وهو نور رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو النور، أو العقل أو غير ذلك..

ولعلك تقول:

إن خلق القلم لا يعني الكتابة، فلعله خلق القلم أولاً، ثم بعد برهة أمره بكتابة ما كان وجرى، منذ خلق القلم إلى حين الكتابة به..

---

(١) راجع: البحار ج١٥ ص٢٤ و ٩٧ وج٢٥ ص٢٢ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٤ وسنن النبي «صلى الله عليه وآله» للطباطبائي ص٤٠٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٢٤٠ ومشارق أنوار اليقين للبرسي ص٥٧.

(٢) راجع: البحار ج٢٥ ص٢٢ وج٥٤ ص١٧٠ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٤ والخصائص الفاطمية ج١ ص٣١٩.

فإنه يجاب:

بأن الرواية قد عطفت الأمر بالكتابة على خلق القلم بواسطة الفاء الدالة على التعقيب المباشر، ومن دون مهلة..

على أن روايات أولية خلق العقل، وكذلك روايات خلق النور، أو خلق نور النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته «عليهم السلام» لا تتعارض مع روايات أولية خلق القلم، فإن بعض الروايات قد صرحت بإرادة معان منها، تؤدي إلى التوافق بينها، فالقلم، والعقل، والنور قد فسرت أو طبقت على النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام» بصورة أو بأخرى.

ومع غض النظر عن ذلك كله، فإن وجود هذه الروايات يشير إلى أن المقصود بالأولية هو: الأولية النسبية. أي أنه بالنسبة لتقدير شؤون الخلق، فالمخلوق الأول هو القلم ولا غيره..

كما أن المقصود بأولية خلق العقل هو أوليته بالنسبة للروحانيين.

قال المجلسي: «وقيل: أول المخلوقات النار. كما مر، وقد مر (في) بعض الأخبار: أن أول ما خلق الله النور، وفي بعضها: نور النبي «صلى الله عليه وآله»، وفي بعضها: نوره مع أنوار الأئمة «عليه السلام»، وفي بعض الأخبار العامية عن النبي «صلى الله عليه وآله» أول ما خلق الله روحي، فيمكن أن يكون المراد بالجميع واحداً، ويكون خلق الأرواح قبل خلق الماء وسائر الأجسام، وتكون أولية الماء بالنسبة إلى العناصر والأفلاك، فإن بعض الأخبار يدل على تقدم خلق الملائكة على خلق العناصر والأفلاك كما مر، ودلت الأخبار الكثيرة على تقدم خلق أرواحهم وأنوارهم «عليهم

السلام» على كل شيء»[1].

٣ـ وفد بني شيبان:

عن قيلة بنت مخرمة العنبرية التميمية[2] قالت: قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع وفد شيبان، وهو قاعد القرفصاء، فلما رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» متخشعاً في الجلسة أُرعدت من الفرق. فقال جليسه: يا رسول الله أرعدت المسكينة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ ولم ينظر إليّ وأنا عند ظهره ـ: «يا مسكينة عليك السكينة».

فلما قالها أذهب الله ما كان أدخل قلبي من الرعب.

وتقدم صاحبي أول رجل فبايعه على الإسلام عليه وعلى قومه، ثم قال: يا رسول الله، اكتب بيننا وبين بني تميم بالدهناء، لا يجاوزنا إلينا منهم إلا مسافر أو مجاور.

فقال: «يا غلام، اكتب له بالدهناء».

فلما رأيته أمر له بأن يكتب له بها شُخص بي، وهي وطني وداري، فقلت: يا رسول الله، إنه لم يسألك السوية من الأرض إذ سألك، إنما هذه الدهناء عندك مقيد الجمل ومرعى الغنم، ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك.

---

(١) البحار ج٥٤ ص٣٠٩.

(٢) أسد الغابة ج٥ ص٥٣٥ والإصابة ج٤ ص٣٩١ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٤ ص٤٩٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣١٩، وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص١٠٨.

فقال: «أمسك يا غلام، صدقت المسكينة، المسلم أخو المسلم، يسعهما الماء والشجر، ويتعاونان على الفتان»(١).

فلما رأى حريث (بن حسان الشيباني وافد بكر بن وائل) أن قد حيل دون كتابه ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال: كنت أنا وأنت كما قيل: «حتفها تحمل ضأن بأظلافها».

فقلت: أما والله إن كنت لدليلاً في الظلماء، جواداً بذي الرحل، عفيفاً عن الرفيقة، حتى قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكن لا تلمني على حظي إذ سألت حظك.

فقال: وما حظك في الدهناء لا أبا لك؟

فقلت: مقيد جملي تسأله لجمل امرأتك.

فقال: لا جرم أني أشهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أني لك أخ ما حييت، إذ أثنيت هذا عليَّ عنده.

فقلت: إذ بدأتها فلن أضيعها.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أيلام ابن ذِهِ أن يفصل الخطة وينتصر من وراء الحجرة»، فبكيت ثم قلت: «والله، كنت ولدته يا رسول الله حازماً، فقاتل معك يوم الربذة، ثم ذهب يحيرني من خيبر فأصابته حماها وترك علي النساء.

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٤٨ ومجمع الزوائد ج٦ ص١١ والمجموع للنووي ج١٥ ص٢٢٩ ونيل الأوطار ج٦ ص٥٩ وسنن أبي داود ج٢ ص٥٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص١٥٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣١٩ والإصابة ج٨ ص٢٩٠ .

فقال: «والذي نفس محمد بيده لو لم تكوني مسكينة لجررناك اليوم على وجهك، أو لجررت على وجهك» شك عبد الله، «أيغلب أحيدكم أن يصاحب صويحبه في الدنيا معروفاً، فإذا حال بينه وبينه من هو أولى به منه استرجع». ثم قال: «رب أنسني ما أمضيت، وأعني على ما أبقيت، والذي نفس محمد بيده إن أحيدكم ليبكي فيستعبر إليه صويحبه، فيا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم».

وكتب لها في قطعة من أديم أحمر لقيلة وللنسوة بنات قيلة: «ألّا يظلمن حقاً، ولا يكرهن على منكح، وكل مؤمن مسلم لهن نصير، أحسِنَّ ولا تسئن»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٤٨ عن ابن سعد، وقال في هامشه: أخرجه ابن سعد في الطبقات ج١ ق٢ ص٥٨، وذكره الهيثمي في المجمع ج٦ ص١٢ ـ ١٥. وقد نقل العلامة الأحمدي «رحمه الله» هذا الكتاب أيضاً في مكاتيب الرسول ج٣ ص٣٩٨ عن: كنز العمال ج٢ ص٢٨٧ وفي (ط الهند) ج٤ ص٢٧٤ (عن الطبراني في الكبير) واللفظ له، والطبقات الكبرى ج١ ق٢ ص٥٨ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٢ والإصابة ج٤ ص٣٩٣ ورسالات نبوية ص٢٤٦ وبلاغات النساء ص١٢٧ والعقد الفريد ج٢ ص٤٧ ومدينة البلاغة ج٢ ص٣٤٦. ومجموعة الوثائق السياسية ص٢٥٦ / ١٤٢ (عن الطبقات، وسنن أبي داود ج١٩ ص٣٦ والعقد الفريد، وقال: قابل الإستيعاب ص٤٢٩، نساء ٢٤٠، ومعجم الصحابة لابن قانع (خطية) ورقة ٣١ ـ ألف ـ ب وانظر كايتاني ٩١/٩.

سبب إعطاء الكتاب لقيلة:

وقالوا: إن سبب إعطاء الكتاب لقيلة أنها كانت تحت حبيب بن أزهر، فولدت له ثلاث بنات، فتوفي عنها زوجها، فانتزع ابن أخي زوجها (عمرو بن أثوب بن أزهر) بناتها منها، فوفدت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» تبتغي الصحبة، فلما أرادت السفر بكت جويرية منهن، وهي أصغرهن، فحملتها معها، فلما ركبت الطريق، فإذا أثوب يطلبها ليأخذ الجارية منها، فأخذها.

فسارت قيلة مع وافد بكر بن وائل إلى أن وردت المدينة، فكتب لها رسول الله «صلى الله عليه وآله» هذا الكتاب[1].

ونقول:

إن لنا مع هذه النصوص وقفات عديدة:

تشابه الأحداث:

إن ما ذكره آنفاً عن قيلة بنت مخرمة يشبه إلى حد بعيد ما ذكروه في وفادة الحارث بن حسان ـ وقد ذكرنا هذه الوفادة في فصل «وفادات الأفراد». بل الظاهر: أن هذه الوفادة هي نفس تلك، إذ كما كانت مشكلة الحارث بن حسان مع امرأة تميمية وهو بكري، وكانت المشكلة مع بني تميم، كذلك الحال بالنسبة لقيلة فإنها تميمية، ومشكلة حريث كانت مع بني

---

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص٤٠٠ عن المصادر التالية: مجمع الزوائد ج٦ ص٩ و ١٠ والإصابة ج٤ ص٣٩٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ق٢ ص٥٨ ورسالات نبوية ص٢٤٦ وأسد الغابة ج٥ ص٥٣٥.

تميم أيضاً وحريث أيضاً بكري..

وكما أن الحارث بن حسان قد حمل المرأة التميمية إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكانت منقطعاً بها، فكذلك الحال بالنسبة لقيلة، فإن صاحبها هو الذي حملها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وإذا كان اسم الأول الحارث بن حسان، فإن اسم الآخر: حريث بن حسان أيضاً، وكلاهما كان بكرياً.

وكما أن الأول تأسف وندم، واعتبر نفسه مصداقاً لمعزى تحمل حتفها.. كذلك فإن هذا الآخر تأسف وندم لأنه فعل ذلك، واعتبر نفسه كضأن تحمل حتفها بأظلافها.

وكان محور التنازع في تلك هو جعل الدهناء حاجزاً لتميم وهذا نفسه هو محورالتنازع هنا أيضاً..

فهما واقعة واحدة اشتبه الرواة في بعض عناصرها، وتطبيقاتها، ثم جاء جمّاعو الأحاديث فظنوا تعددها، ودونوها وفق هذا التصور؟!

وربما تكون الأغراض القبلية أو سواها وراء تنقل بعض الأحداث أو بعض الفضائل من شخص إلى شخص أو من موقع إلى موقع، وفق ما يتيسر لطلابها، والمستفيدين منها غير أننا لا نشك في أن الكلام في الموردين إنما هو عن واقعة واحدة اشتبه الأمر فيها على بعض قاصري النظر، فظن تعددها ولا شيء أكثر من ذلك..

أرعدت من الفرق:

وقد ذكرت الرواية آنفاً: أن قيلة بنت مخرمة قد أرعدت من الفرق لما

رأت النبي «صلى الله عليه وآله» جالساً متخشعاً.

ونحن نشك في صحة ذلك، فإن تخشّع الرجل في جلسته لا يوجب الرعب لدى الآخرين، ولا يكون سبباً في إصابتهم بالرعدة.. يضاف إلى ذلك: أن الناس وإن كانوا يهابون رسول الله «صلى الله عليه وآله». لكنها هيبة الإكرام والإحترام، والمحبة، والإكبار، ولم يكونوا يخافون منه إلى حد الرعب، وإصابتهم بالرعدة من الفرق.. فهو «صلى الله عليه وآله» كان بين أصحابه، بحيث إن الرجل كان يدخل على المسلمين فلا يميز رسول الله «صلى الله عليه وآله» من غيره ويسأل أيكم محمد؟[1] أو أيكم رسول الله؟[2]

الطعن في النبوة:

وقد تضمنت الرواية السابقة طعناً في النبوة:

أولاً: لأنها تنسب للنبي «صلى الله عليه وآله» التسرع في اتخاذ القرار،

---

(١) الثاقب في المناقب للطوسي ص٣١٦ والبحار ج٤١ ص٢٣٠ وج٤٣ ص٣٣٤ وج٩١ ص٥ ومسند احمد ج٣ ص١٦٨ وج٥ ص٦٤ وصحيح البخاري ج١ ص٢٣ وسنن ابن ماجة ج١ ص٤٤٩ وسنن أبي داود ج١ ص١١٧ وسنن النسائي ج٤ ص١٢٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٤٤٤ وعمدة القاري ج١ ص٢٦٧ وج٢ ص١٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٦٢ ومسند أبي يعلى ج٣ ص١٧١ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٦٣.

(٢) مسند احمد ج٣ ص١٦٨ وج٥ ص٦٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٤٤٤ وعمدة القاري ج١ ص٢٦٧ وج٢ ص١٩ وتفسير ابن كثير ج٣ ص٣٨٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٧ ص٤٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٥١٧ والموضوعات لابن الجوزي ج١ ص٢٨٨ وتهذيب الكمال ج١٩ ص٢٧٠.

دون التثبت من أصحاب العلاقة، واستيضاح الأمر..

ثانياً: إنها تنسب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» الخطأ ثم التراجع عنه.

ثالثاً: إنها تصرح بصدق المرأة، وصحة رأيها الذي جاء على خلاف رأيه «صلى الله عليه وآله»، ربما لتصدق مقولة عمر: «امرأة أصابت ورجل أخطأ».

رابعاً: إن كلام حريث بن حسان قد تضمن ما يدل على أنه يريد أن يحرم تميماً من الدهناء، وهي مرعى غنمها، ومقيل جمالها، ويريد أيضاً أن يقيد حريتها في التحرك، ويحجزها عن بني بكر، مع أن العدل قد يقضي بعكس ذلك، أو على الأقل أن يجعل الدهناء نصفين، فلماذا يعطي البكريين مواضع يكون التميميون أحق بها؟! ولماذا لم يلتفت النبي «صلى الله عليه وآله» إلى أن حساناً لم يكن عادلاً حين لم يطلب منه السوية في الأرض؟! بل طلب أن يعطيه وطن غيره وداره، مع أن كل أحد يدرك أن هذا الطلب غير منصف.

لو لم تكوني مسكينة:

وأما بالنسبة لتهديد النبي «صلى الله عليه وآله» لقيلة بأنها لو لم تكن مسكينة لجروّها على وجهها، فهو أعجب وأغرب..

أولاً: لأنها لم ترتكب ذنباً تستحق العقوبة عليه، بل غاية ما صدر منها هو أنها تحسرت على ابنها الذي قاتل معه يوم الربذة، ثم ضربته الحمى، فقتلته، وترك النساء عبئاً عليها. وليس في هذا الكلام أي غضاضة، أو جرأة أو اعتراض على مقام العزة الإلهية، ولم يظهر منها أنها تأبى عن

الاسترجاع، بل فيه تذمر من ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقها.

ثانياً: لنفترض أن هذا الكلام تضمن اعتراضاً على الله الذي أمات ولدها وترك عليها البنات، فهل يكون الجر على الوجه من جملة العقوبات التي جاءت بها الشريعة؟!

ثالثاً: لم نعرف ما قصدته من يوم الربذة الذي قاتل فيه المسلمون مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكان ابنها معهم..

رابعاً: هل الفقر يعفي الإنسان من العقوبة على ما يصدر منه من مظالم ومآثم؟! فإن يكن الجواب بنعم، فلماذا إذن كان «صلى الله عليه وآله»، وكذلك كل من جاء بعده لا يفرقون في عقوباتهم بين مسكين وغيره؟.. وإن كان الجواب بلا، فلماذا أعفى النبي «صلى الله عليه وآله» قيلة من العقوبة هنا؟

٤ـ وفد الأشعريين:

عن معمر قال: بلغني أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان جالساً في أصحابه يوماً، فقال: «اللهم انج أصحاب السفينة». ثم مكث ساعة فقال: «استمدت».

فلما دنوا من المدينة قال: «قد جاؤوا يقودهم رجل صالح».

قال: «والذين كانوا معه في السفينة الأشعريون، والذين قادهم عمرو بن الحمق الخزاعي».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من أين جئتم»؟

قالوا: من زبيد.

قال: «بارك الله في زبيد».

قالوا: وفي زمع.

قال: «وبارك الله في زبيد».

قالوا: وفي زمع.

قال في الثالثة: «وفي زمع»(١).

ورووا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوباً».

فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري، فلما دنوا من المدينة جعلوا يرتجزون يقولون:

غداً نلقى الأحبة ... محمداً وحزبه(٢)

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧٣ وفي هامشه عن عبد الرزاق (١٩٨٩٠) والمصنف للصنعاني ج١١ ص٥٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص٤٩٦ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص١٠٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧٣ عن ابن سعد، وأحمد، والبيهقي، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٦٤ عن أحمد وغيره، ومسند احمد ج٣ ص١٠٥ وفضائل الصحابة للنسائي ص٧٣ ومنتخب مسند عبد بن حميد لابن نصر الكسي ص٤١٣ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٩٣ ومسند أبي يعلى ج٦ ص٤٥٤ وصحيح ابن حبان ج١٦ ص١٦٥ وكتاب الأوائل للطبراني ص٤١ وتفسير السلمي ج١ ص٦٣ وتفسير البحر المحيط ج١ ص٣٤٢ و٤٧٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٤٨ وج٤ ص١٠٦ وتاريخ مدينة دمشق ج١٠ ص٤٧٥ وتهذيب الكمال ج١٥ ص٤٥٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص١٤١.

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة، وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، السكينة في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في الفدادين من أهل الوبر»[1].

وعن جبير بن مطعم قال: كنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: «أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب، وهم خيار من في الأرض».

فقال رجل من الأنصار: إلا نحن يا رسول الله؟

فسكت.

ثم قال: إلا نحن يا رسول الله؟

(وفي الثالثة قال:) فقال: «إلا أنتم كلمة ضعيفة»[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧٤ عن البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج٥ ص٢١٩، وأحمد في المسند ج٢ ص٢٣٥ و٤٧٤، والطبراني في الكبير ج٢ ص١٣٤، والبيهقي في السنن ج١ ص٣٨٦، والخطيب في التاريخ ج١١ ص٣٧٧، وسنن الدارمي ج١ ص٣٧ وصحيح مسلم ج١ ص٥١ والسنن الكبرى للبيهقي ج١ ص٣٨٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥٢٤ ومسند ابن راهويه ج١ ص٢٣ وصحيح ابن حبان ج١٦ ص٢٨٦ والمعجم الأوسط للطبراني ج٤ ص١٣٠ ومسند الشاميين للطبراني ج٤ ص١٧٢.

وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٦٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧٤ وفي هامشه عن: دلائل النبوة ج٥ ص٣٥٣ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٦٤ عن أحمد، والبزار، والطبراني وراجع: مسند أبي داود الطيالسي ص١٢٧ وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص٣١٠.

زاد محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قوله: ولما لقوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أسلموا وبايعوا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الأشعريون في الناس كصرة فيها مسك»[1].

قال الزرقاني: ولا إشكال، لأن المراد في أرضهم[2].

ونقول:

لا مجال لقبول هذه المدائح لقوم لم يقدموا شيئاً للإسلام، فهي من موضوعات محبيهم لسبب أو لآخر..

ثم إن مجيء الأشعريين مع أبي موسى كان عند فتح خيبر سنة سبع، وقد تقدم ذكر ذلك في غزوة خيبر، غير أننا نذكر هنا ما لم نتعرض له هناك، فنقول:

هل الأشعريون أفضل أهل الأرض؟!:

زعمت الرواية المتقدمة: أن أهل اليمن، أو الأشعريين هم خيار أهل الأرض، وقد سكت النبي «صلى الله عليه وآله» حين سأله الأنصاري أن

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧٤ عن زاد المعاد، وقال في هامشه: أخرجه ابن سعد في الطبقات ج١ ق٢ ص٧٩، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣٣٩٧٥).

والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٦٤ و ١٦٥ والجامع الصغير للسيوطي ج١ ص٤٧٥.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٦٤ و ١٦٥.

يستثني الصحابة أو الأنصار، ثم استثناهم بعد الإصرار عليه بكلمة ضعيفة، مع أن من المقطوع به أن في صحابته «صلى الله عليه وآله» من هو أفضل من جميع الأشعريين، مثل: سلمان، وعمار، والمقداد وكثير من غيرهم.

وقد حاول الزرقاني أن يجيب عن ذلك فقال: «وأما سكوته مرتين عن استثناء الأنصار مع أن فيهم من هو أفضل قطعاً، لأن فيهم من هو من أهل بدر وبيعة الرضوان، فلعله لئلا يغتروا أو يتكلوا على التفضيل. ولذا قال بعد الثالثة كلمة ضعيفة الخ..»[1].

ونقول:

أولاً: إن هذا لا يبرر أن يغمط الناس حقهم، وتنسب فضائلهم إلى غيرهم.

ثانياً: إذا كان ذلك يضر بحال الأنصار والمهاجرين فهو يضر أيضاً بحال اهل اليمن والأشعريين، إذ قد يتكلون على هذا التفضيل أيضاً.

الإيمان والحكمة يمانيان:

وقد يقال: لا مجال لقبول وصف هؤلاء القادمين بأنهم هم أهل الإيمان والحكمة، وكأن غيرهم لا يدانيهم في هذين الأمرين، بل لا مجال لقبوله حتى لو كان المراد به أن موطن الإيمان والحكمة اليمن، وليس كذلك غيرها من البلاد والعباد.

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٦٥.

ونقول:

إن هذا الكلام صحيح في نفسه إن كان المقصود باليمن هو تلك البلاد المعروفة البعيدة عن مكة والمدينة..

ولا يصلحه ما زعمه الزرقاني من أن هذا الكلام لا مفهوم له[1]، لأنه هو نفسه قد زعم أن النبي «صلى الله عليه وآله»، وصف أبا عبيدة بالأمانة، ووصف غيره بأوصاف أخرى وهذا يفيد: أن له تميزاً وخصوصيةً في الأمر الذي وصفه به[2].

والصحيح هو: أن المقصود باليمن في كلامه «صلى الله عليه وآله» ما يشمل مكة، إن لم نقل جميع بلاد العرب..

بيان ذلك:

أولاً: قال ابن الأثير: «الإيمان يمان، والحكمة يمانية». إنما قال ذلك لأن الإيمان بدأ من مكة، وهي من تهامة من أرض اليمن، ولهذا يقال: «الكعبة اليمانية»[3].

ولا ينافي ذلك قوله لعيينة بن حصن حين كان يعرض الخيل: «لولا الهجرة لكنت أمرءاً من أهل اليمن»[4]. إذ يمكن أن يكون المقصود لولا أني

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٦٦.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص.

(٣) النهاية في اللغة ج٥ ص٣٠٠ والبحار ج٢٢ ص١٣٧ وج٣٤ ص٤٥١ وج٥٧ ص٢٣٣ وعمدة القاري ج١٥ ص١٩٢ وج١٦ ص٢٨٣ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٥ ص٣٠٠ ومجمع البحرين للطريحي ج٤ ص٥٨٣.

(٤) البحار ج٢٢ ص١٣٦ وج٥٧ ص٢٣٢ و ٢٣٣ والكافي ج٨ ص٦٩ ـ ٧٠.

هجرت مكة لكنت اليوم من أهل اليمن. أو لولا أن الهجرة أشرف لعددت نفسي من اليمن، ويؤيده قوله في حنين: «لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار»[1].

ثانياً: قيل: أنه قال هذا القول وهو بتبوك، ومكة والمدينة يومئذ بينه وبين اليمن، فأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة»[2].

ثالثاً: قيل: أراد بهذا القول الأنصار، لأنهم يمانيون، وهم من نصروا الإيمان والمؤمنين فآووهم، فنسب الإيمان إليهم[3].

رابعاً: قال الجوهري: «اليمن بلاد العرب»[4].

خامساً: وما يزيل كل شبهة وريب هنا أن الذي روي في كتاب جعفر بن محمد بن شريح، هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعيينة بن حصن، حين كان يعرض الخيل: «كذبت، إن خير الرجال أهل اليمن، والإيمان يمان

---

(١) البحار ج٢٢ ص١٣٧ وج٥٧ ص٢٣٣ وفتح الباري ج٧ ص٨٦ وأضواء البيان للشنقيطي ج٨ ص٤٤.

(٢) النهاية ج٥ ص٣٠٠ وشرح مسلم للنووي ج٢ ص٣٢ وعمدة القاري ج١٦ ص٧٢ وج٢٠ ص٢٩٤ والديباج على مسلم للسيوطي ج١ ص٦٧ وتحفة الأحوذي ج٦ ص٤٢٣ وغريب الحديث لابن سلام ج٢ ص١٦٢.

(٣) النهاية ج٥ ص٣٠٠ والبحار ج٢٢ ص١٣٧ وج٥٧ ص٢٣٣ وفيض القدير للمناوي ج٣ ص٢٤٢ والديباج على مسلم للسيوطي ج١ ص٦٧ وعمدة القاري ج٢٠ ص٢٩٤ وشرح أصول الكافي للمازندراني ج١١ ص٤٢٨.

(٤) البحار ج٢٢ ص١٣٧ وج٥٧ ص٢٣٣ وعمدة القاري ج١ ص٢٥٤ وج٢ ص١٦٨.

وأنا يماني»[1].

الأشعريون والإعتقادات:

قالوا: وقدم نافع بن زيد الحميري وافداً على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في نفر من حمير، فقالوا: أتيناك لنتفقه في الدين، ونسأل عن أول هذا الأمر.

قال: «كان الله ليس شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثم خلق القلم، فقال له: أكتب ما هو كائن، ثم خلق السماوات والأرض وما فيهن، واستوى على عرشه»[2].

وقد كان قدوم وفد حمير في سنة تسع، ولهذا اجتمعوا مع بني تميم[3]، فيدل هذا:

أولاً: على أن الحميريين هم الذين سألوا عن أول هذا الأمر، فلا يصح قولهم: إن السؤال عن ذلك كان من الأشعريين، حتى لقد «استنبط بعضهم من سؤال الأشعريين عن هذه القصة «أن الكلام في أصول الدين، وحدوث العالم مستمر لذريتهم، حتى ظهر ذلك في أبي الحسن الأشعري»[4]

---

(١) البحار ج٥٧ ص٢٣٢ والأصول الستة عشر ص٨١.

(٢) المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٦٣ و١٦٤ عن كتاب الصحابة لابن شاهين، وأسد الغابة ج٥ ص٩، والإصابة ج٦ ص٣٢٠، وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٥.

(٣) المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٦٤، وفتح الباري ج٨ ص٧٦.

(٤) المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٦٧ و١٦٨، وفتح الباري ج٦ ص٢٠٧.

ولكن قد ذكرنا بعض الكلام المهم حول حديث كتابة القلم لما كان وما يكون إلى يوم القيامة في موضع آخر من الكتاب، فراجع (وفود نافع بن زيد الحميري).

وقلنا هناك: إن من التزم بعقيدة الجبر الإلهي إنما استند في ذلك إلى حديث القلم ونظائره.

فظهر من ذلك:

١ ـ أن ما زعمه من أن الكلام في العقائد مستمر في ذرية الأشعريين لا يصح، لأن هذا الكلام لم يثبت أنه صدر من الأشعريين.

٢ ـ قد تقدم: أن الكثيرين قد سألوا عن أول هذا الأمر، وعن كثير من الأمور العقائدية، وكانوا يريدون التفقه في الدين، فراجع.

ثانياً: إن أبا الحسن الأشعري قد حاول أن يتستر على عقيدة الجبر التي أراد الجبريون تأييدها بحديث القلم ونظائره، فلجأ إلى التمويه والتعمية، فجاء بنظرية لا تسمن ولا تغني من جوع، وهي نظرية الكسب التي اقتصر دورها على كونها قد صعَّبت فهم الجبر على السذج والبسطاء من الناس.

قال ابن روزبهان: «مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري: أن أفعال العباد الإختيارية مخلوقة لله تعالى، مكسوبة للعبد. والمراد بكسبه إياه: مقارنته لقدرته وإرادته، من غير أن يكون هناك تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له»[1].

فوجود قدرة العبد مقارنة لفعل الله وخلقه للفعل كعدمها، فهي كالحجر

---

(١) دلائل الصدق ج١ ص٣٢٨.

في جنب الإنسان. والفاعل الحقيقي للطاعات والمعاصي عند هؤلاء هو الله وحده. وليس للإنسان في ذلك أي دور.. وهذا القول باطل بلا ريب فراجع كتاب دلائل الصدق وغيره من الكتب العقائدية والكلامية.

عمرو بن الحمق قائد الأشعريين:

وقالوا: إن عمرو بن الحمق الخزاعي كان قد هاجر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بعد الحديبية[1].

وتقدم: أنه هو الذي قاد وفد الأشعريين إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهذا يلقي ظلالاً من الشك على الروايات الأخرى التي تجاهلت ذكر هذا الشهيد السعيد، الذي وصفه النبي «صلى الله عليه وآله» بالصلاح، وتعمدت ذكر أبي موسى الأشعري، والتنويه به، رغم أنه كان الأصغر سناً وربما شأناً في ذلك الوفد الكبير[2].

---

(١) راجع: الإصابة ج٢ ص٥٣٣ وج٤ ص٥١٤، والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص و(ط دار الجيل) ج ٣ ص ١١٧٣٥٢٤، وأسد الغابة ج٤ ص١٠٠، وفيض القدير ج١ ص٣٧٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٣٥ عن عدد من المصادر وقد ذكرنا شطراً منها في غزوة خيبر، وذخائر العقبى ص٢١٣ وصحيح البخاري ج٤ ص٥٥ وج٥ ص٧٩ وفتح الباري ج٧ ص٣٧١ وعمدة القاري ج١٥ ص٦٠ وج١٧ ص٢٥١ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج٢ ص١١٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٢ ص٣١ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٣٨٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٤٣٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٨٩.

وذنب عمرو بن الحمق الذي استحق به هذا التجاهل أمران:

أحدهما: أنه كان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ولياً.

والآخر: أنه كان معادياً للنهج الأموي المعادي للإسلام وأهله، ويوضح ذلك: أنه كان لعلي «عليه السلام» كما كان سلمان لرسول الله «صلى الله عليه وآله»[1]، وكان من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكان من حوارييه وأصفيائه[2].

وقد قال لأمير المؤمنين «عليه السلام»، في كلام له: «أولى الناس بالناس، وزوج فاطمة سيدة نساء العالمين، وأبو الذرية التي هي بقية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأعظم سهماً في الإسلام من المهاجرين والأنصار.

والله، لو كلفتني نقل الجبال الرواسي، ونزح البحور الطوامي أبداً حتى يأتي عليّ يومي، وفي يدي سيفي أهز عدوك، وأقوي به وليك، ويعلو (ويعلي) الله به كعبك، ويفلج به حجتك، ما ظننت أني أديت من حقك كل الذي يجب لك علي».

فقال «عليه السلام»: «اللهم نور قلبه، واهده إلى الصراط المستقيم، ليت أن في شيعتي مائة مثلك»[3].

---

(١) البحار ج٣٤ ص٢٧٤ والإختصاص ص٧ و ١٤ وقاموس الرجال ج٨ ص٨٢ وشجرة طوبى ج١ ص٨١ ومعجم رجال الحديث ج١٤ ص٩٩ والإختصاص للمفيد ص٧.

(٢) رجال الكشي ص٩ و ٣٨.

(٣) قاموس الرجال ج٨ ص٨٢ و ٨٣ عن صفين للمنقري ص١٠٣ والبحار ج٣٤ ص٢٧٦.

وجاء في رسالة أرسلها الإمام الحسين «عليه السلام» إلى معاوية قوله:

«أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه، واصفر لونه، بعدما آمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأة على ربك، واستخفافاً بذلك العهد»[1].

وكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام[2].

وكان معاوية قد حبس زوجة عمرو بن الحمق زماناً، فلما جيء برأس زوجها أرسله إليها فألقي في حجرها، فارتاعت[3].

---

(١) قاموس الرجال ج٨ ص٨٧ عن رجال الكشي ص٤٧ ـ ٥٢ وعن الإمامة والسياسة ج١ ص١٨٠ والإحتجاج للطبرسي ج٢ ص٢٠ والبحار ج٤٤ ص٢١٣ وإختيار معرفة الرجال للطوسي ج١ ص٢٥٣ والدر النظيم لابن حاتم العاملي ص٥٣٣ وصلح الحسن «عليه السلام» للسيد شرف الدين ص٣٤٥.

(٢) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٣ ص٥٢٤ وأسد الغابة ج٤ ص١٠١ وشرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج٢ ص٣٢ والبحار الأنوار ج٣٤ ص٣٠١ وج٤١ ص٣٤٢ والغدير ج١١ ص٤١ وكتاب الأوائل للطبراني ص١٠٧ والإستيعاب ج٣ ص١١٧٤ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٢٩٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٦ ص٢٥ والثقات لابن حبان ج٣ ص٢٧٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٩ ص٤٠ وأسد الغابة ج٤ ص١٠١ وبلاغات النساء لابن طيفور ص٥٩ والكامل في التاريخ ج٤ ص٨٣.

(٣) أسد الغابة ج٤ ص١٠١ وبلاغات النساء ص٥٩ والإختصاص ص١٧ وأعيان الشيعة ج٢ ص٩٥ وراجع: الأعلام للزركلي ج١ ص٢٦.

وكان معاوية قد أمر بأن يطعنوه تسع طعنات كما طعن عثمان، فَفُعِل به ذلك، فمات في الأولى منهن أو الثانية[1].

وهو أحد الأربعة الذين دخلوا الدار على عثمان[2]، ووثب فجلس على صدره، وبه رمق فطعنه تسع طعنات، وقال: أما ثلاث منهن، فإني طعنتهن إياه لله، وأما ست فأني طعنتهن إياه لما كان في صدري عليه[3]، وصار من شيعة علي، وشهد معه مشاهده كلها[4].

دعاء النبي ﷺ لزبيد:

وقد زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد دعا لزبيد بالبركة، ولكنه لم يرض بالدعاء لزمع رغم إصرارهم عليه حتى راجعوه ثلاث مرات..

ونحن نشك في صحة أمثال هذه الأقاويل، فإن زبيداً لم تسلم إلا بعد

---

(١) الكامل في التاريخ ج٣ ص٤٧٧ وقاموس الرجال ج٨ ص٨٩ و٩٠ والغدير ج١١ ص٤١ وتاريخ الطبري ج٤ ص١٩٧ والكامل في التاريخ ج٣ ص٤٧٧.

(٢) أسد الغابة ج٤ ص١٠٠ والغدير ج٩ ص٤٦ والإستيعاب ج٣ ص١١٧٤ والبداية والنهاية ج٨ ص٥٢.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٣٩٤ والكامل في التاريخ ج٣ ص١٧٩ والغدير ج٩ ص٢٠٧ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص١٥٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٧٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٤٠٩ وتاريخ الطبري ج٣ ص٤٢٤ والكامل في التاريخ ج٣ ص١٧٩ والبداية والنهاية ج٧ ص٢٠٧.

(٤) أسد الغابة ج٤ ص١٠٠ والمعارف لابن قتيبة ص٢٩١ والكامل في التاريخ ج٣ ص٤٦٢ والدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة للسيد على خان المدنى ص٤٣٢ وراجع: تاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٨٨ والكامل في التاريخ ج٣ ص٤٦٢.

قتال، وقتل وأسر، وبغض النظر عن ذلك، فإنهم كانوا كغيرهم من الناس، ولم يظهر لهم أي تميز في الإلتزام بالشرع وبالعمل على حفظ هذا الدين والدفاع عنه، فضلاً عن حمل علومه، والدعوة إليه ونشره.

فهل يصح الثناء على قوم، والدعاء لهم، من دون أن يقدموا أي شيء يبرر ذلك؟!

وأما زمع فلماذا وبماذا استحقوا هذا الجفاء، وامتناع النبي «صلى الله عليه وآله» عن الدعاء لهم بالبركة؟!

ولماذا يثير «صلى الله عليه وآله» حولهم علامات استفهام؟! وما هو المبرر لفضحهم بين الناس؟ وهم لم يعملوا شيئاً بعد.. ولماذا؟! ولماذا؟!

٥ـ وفود بني حنيفة ومسيلمة الكذاب:

وفي سنة عشر(١)، أو في سنة تسع(٢)، وقيل: في سنة ست أو سبع(٣)، قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفد بني حنيفة (وهي قبيلة تسكن في اليمامة بين مكة واليمن) فيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب، وكان منزلهم في دار امرأة من الأنصار من بني النجار، هي رملة بنت الحدث بن ثعلبة بن

---

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص٢٩٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص١٤٦ وتاريخ ابن خلدون ج٢ ق٢ ص٥٦.

(٢) راجع: فتح الباري ج٨ ص٦٨ وعمدة القاري ج١٦ ص١٥١ والتنبيه والإشراف للمسعودي ص٢٣٩ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٩٨ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٩٩.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص١١٨.

الحارث بن زيد، زوجة معاذ بن عفراء.

فأتوا بمسيلمة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يستر بالثياب ـ تعظيماً له ـ ورسول الله «صلى الله عليه وآله» جالس مع أصحابه، في يده عسيب من سعف النخل، فلما انتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكلمه مسيلمة وسأله (أن يجعل له الأمر من بعده).

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتكه»[1].

قال ابن إسحاق: فقال لي شيخ من أهل اليمامة من بني حنيفة أن حديثه كان على غير هذا، زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وخلَّفوا مُسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا له مكانه، فقالوا: يا رسول الله، إنّا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وركابنا، يحفظها لنا.

فأمر له رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمثل ما أمر للقوم، وقال: «أما إنه ليس بشركم مكاناً»[2]. يعني حفظه ضَيْعَةَ أصحابه وهي حوائجهم

____

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٦ عن زاد المعاد، عن ابن إسحاق، وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج٥ ص٣٣٠ وابن كثير في البداية ج٥ ص٥٠، وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٩٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٨٣ والبداية والنهاية ج٥ ص٦١ وج٦ ص٢٢٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٩٨ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٢٨٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٩٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٤ والدرر ص٢٥٤.

وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٤٦ و ١٤٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٦ وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج٥=

وظهرهم. [وذلك الذي يريد رسول الله «صلى الله عليه وآله»].

قال: ثم انصرفوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجاؤوا بالذي أعطاه. فلما قدموا اليمامة ارتد عدو الله، وتنبأ وقال: إني قد أشركت في الأمر معه، ألم يقل لكم حين ذكرتموني له: «أما إنه ليس بشركم مكاناً»؟ وما ذاك إلَّا لما كان يعلم أني قد أشركت في الأمر معه.

ثم جعل يسجع فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن. لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاقٍ وحشاً[1].

ووضع عنهم الصلاة، وأحل لهم الخمر والزنا[2]، وهو مع ذلك يشهد

= ص٣٣١ وابن كثير في البداية ج٥ ص٥٢، وعمدة القاري ج١٦ ص١٥١ والدرر ص٢٥٤ وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٩٣ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٢٢٩ وعيون الأثر ج٢ ص٢٨٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٩٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٤.

وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٤٧.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٦ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٤٨ والدرر ص٢٥٤ وتفسير ابن كثير ج٢ ص٤٢٥ وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٩٤ و٤٩٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٨٣ والبداية والنهاية ج٥ ص٦١ وج٦ ص٣٥٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٩٩ وعيون الأثر ج٢ ص٢٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٩٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٥ وراجع: الكامل في التاريخ ج٢ ص٣٥٦ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٢٤٢.

(٢) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٨٦ عن المصادر التالية: زاد المعاد ج٣ ص٣١ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٣ ص٢٢ والبداية والنهاية =

لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه نبي، فأصفقت معه بنو حنيفة على ذلك.

قال ابن إسحاق: وقد كان كتب لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله: أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأمر، وليس قريش قوماً يعدلون». فقدم عليه رسوله بهذا الكتاب. فكتب إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»[1]. وكان ذلك في آخر سنة عشر.

= ج٥ ص٥١ و ٥٢ والعقد الفريد ج٢ ص٦٦ والبيان والتبيين ج١ ص٣٥٩ متناً وهامشاً، والمفصل ج٨ ص٧٥٥ ـ ٧٥٩ وج٧ ص٢٩٦ وج٦ ص٩٢ والمنتظم ج٤ ص٢١ و ٢٢، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٦ وقال في هامشه: ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج٦ ص٣٨٤. والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٥١ و ١٥٢ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٨٣ و ٣٨٤ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٤٠٠ وفي (ط أخرى) ج٣ ص١٤٦ وفتوح البلدان للبلاذري ص٩٧ وفي (ط أخرى) ص١٢٠ والطبقات الكبرى ج١ ص٢٧٣ وفي (ط أخرى) ج١ ق٢ ص٢٦ والمفصل ج٨ ص٧٥٧ والكشاف ج١ ص٦٤٥ في تفسير الآية ص٥٤ وتفسير النيسابوري (بهامش الطبري) ج٦ ص١٦٣ وتفسير الرازي ج١٢ ص١٩ وسيرة النبي «صلى الله عليه وآله» لإسحاق بن محمد همداني قاضي أبرقوه ص١٠٥٩ ومجمع الزوائد ج٥ ص٣١٥ عن الطبراني، وكنز العمال ج١٧ ص١٦١ و ٥٦٣ وفي (ط أخرى) ج١ ص٢٧٣ والكافي ج٢ ص١١٥ وفي (ط أخرى) ص٣٠٠ ونهاية الإرب للقلقشندي =

وعن نعيم بن مسعود قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين جاءه رسولا مسيلمة الكذاب بكتابه يقول لهما: «وأنتما تقولان بمثل ما يقول»؟

قالا: نعم.

= ص٢٢٦ والبداية والنهاية ج٥ ص٥١ وج٦ ص٢٠٠ و ٣٤١ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٠٩ وفي (ط أخرى) ص١٢٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٧٢ وفي (ط أخرى) ص٢٤٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٣ وإعلام السائلين ص٣٦ والمحاسن والمساوي للبيهقي ص٣٣ وفي (ط أخرى) ج١ ص٤٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ ص٨٣٩ وفي (ط أخرى) ج٢ ق٢ ص٥٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٥٧ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٢٢ وفتوح البلدان لدحلان ص١٤ ورسالات نبوية ص٢٦٠/ ٩٤ والبدء والتأريخ ج٥ ص٩٥ وصبح الأعشى ج٦ ص٣٨١ وفي (ط أرى) ص٣٦٧ والبحار ج٢١ ص٤١٢ وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٦٧ وزاد المعاد ج٣ ص٣١ والمفصل ج٦ ص٩١ ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٦٤ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٢ ص٥٧٢ وراجع: الجمهرة لهشام الكلبي ص١٥٤ والمنتظم ج٤ ص٢٢ والمصباح المضيء ج٢ ص٣٤٧ والوثائق السياسية ص٣٠٥/ ٢٠٦ عن جمع ممن تقدم، وعن إمتاع الأسماع للمقريزي ج١ ص٥٠٨ و ٥٠٩ وقال: قابل طبقات ابن سعد ج١ ق٢ ص٢٥ ومعجم الصحابة لابن قانع (خطية) ورقة ١٨٢ ـ ألف، وتاريخ الردة من الإكتفاء للكلاعي (ط الهند) ص٥٨ وانظر كابتاني ج١٠ ص٦٩ واشپرنكر (التعليقة الأولى) ج٣ ص٣٠٦ وراجع أيضاً ص٧٢١ عن تاريخ المدينة لابن شبة.

فقال: «أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما»[١].

عن عبد الله [بن مسعود] قال: جاء ابن النواحة، وابن أثال رسولين لمسيلمة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال لهما: «تشهدان أني رسول الله»؟

فقالا: نشهد أن مسيلمة رسول الله.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «آمنت بالله ورسوله، ولو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما»[٢].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٧ عن ابن إسحاق، وفي هامشه عن: أبي داود (١٦٥)، والبيهقي ج٩ ص٢١١، وكنز العمال (١٤٧٧٩)، والبداية والنهاية ج٥ ص٥١. وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٥٢ ونيل الأوطار ج٨ ص١٨٢ ومسند احمد ج٣ ص٤٨٨ وسنن أبي داود ج١ ص٦٢٨ ومستدرك الحاكم ج٢ ص١٤٣ وج٣ ص٥٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢١١ ومجمع الزوائد ج٥ ص٣١٥ والآحاد والمثاني ج٣ ص٢٤ وشرح معاني الآثار لابن سلمة ج٣ ص٣١٨ وكنز العمال ج٦ ص٤٥ وتفسير مقاتل بن سليمان ج١ ص٣٦٠ وتفسير الثعلبي ج٤ ص٧٧ وتهذيب الكمال ج٢٩ ص٤٩٣ وتاريخ الطبري ج٢ ص٤٠٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٨٦ والبداية والنهاية ج٥ ص٦٢ وراجع: تفسير ابن كثير ج٢ ص٣٥٠ والإصابة ج٦ ص٣٦٣ وتفسير الآلوسي ج٦ ص١٦١ وأسد الغابة ج٥ ص٣٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٧ عن ابي داود، والطيالسي في مسنده، وعن مسند أحمد ج١ ص٣٩١ و٣٩٦ و٤٠٤ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٥٢ والمجموع للنووي ج١٤ ص٤٢ وج١٩ ص٢٩٦ ونيل الأوطار للشوكاني ج٨ ص١٨١ ومسند احمد ج١ ص٣٩٦ وعون المعبود للعظيم =

قال عبد الله [بن مسعود]: «فمضت السنّة بأن الرسل لا تقتل»(١).

وعن أبي رجاء العطاردي قال: لما بُعث النبي «صلى الله عليه وآله» فسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب بالنار، وكنَّا نعبد الحجر في الجاهلية، فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه ألقينا ذلك وأخذناه، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب، ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به، وكنا إذا دخل رجب قلنا: جاء مُنَصِّل الأسنة، فلا ندع سهماً فيه حديدة ولا حديدة في رمح إلا نزعناها وألقيناها(٢).

وعن ابن عباس قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، (قال الواقدي: عدد من كان معه سبعة عشر

= آبادي ج٧ ص٣١٥ ومسند أبي داود الطيالسي ص٣٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٨٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٩٨ وراجع: تذكرة الفقهاء (ط.ج) للعلامة الحلي ج٩ ص٦٨ وسنن الدارمي ج٢ ص٢٣٥ ومجمع الزوائد ج٥ ص٣١٤ ومسند أبي يعلى ج٩ ص٣١ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص١٢٣.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٧ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٥٢ ومسند أبي داود الطيالسي ص٣٤ والبداية والنهاية ج٥ ص٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٩٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٧ عن البخاري ج٦ ص٤ (٤٣٧٦) وراجع: تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٨٥ والبداية والنهاية ج٢ ص٢٣٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص٦٢.

نفساً)[1].

فأقبل إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد النبي «صلى الله عليه وآله» قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فقال: «لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك. ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أُريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني»[2]. ثم انصرف عنه.

قال ابن عباس: فسألت عن قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «إنك أرى الذي أُريت فيك ما رأيت»، فأخبرني أبو هريرة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحي إلي في المنام: أن انفخهما فطارا، فأولتهما: كذابين يخرجان من

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٥٢ وصحيح البخاري ج٤ ص١٨٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٧ عن الصحيحين، وفي هامشه عن البخاري ج٥ ص٥٤ (٣٦٢١) والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٥٢ و ١٥٣ عن البخاري في علامات النبوة، وفي المغازي، وعن مسلم في الرؤيا. وفتح الباري ج٨ ص٧٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٨٤ وصحيح البخاري ج٤ ص١٨٢ وج٥ ص١١٨ وصحيح مسلم ج٧ ص٥٧ وعمدة القاري ج١٦ ص١٥١ وجزء مؤمل لابن إيهاب الرملي ص١٢٥ والمعجم الكبير للطبراني ج١٠ ص٣٠٨ ودلائل النبوة للأصبهاني ج٣ ص٨٢٩ ودفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص٣٠ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج١ ص٤٤٣ وتاريخ المدينة ج٢ ص٥٧٣ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٥٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٧.

بعدي، أحدهما: العنسي صاحب صنعاء، والآخر: مسيلمة صاحب اليمامة»[1].

ومن حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض، فوضع في كفي سواران من ذهب، فكبرا عليّ، فأوحي إلي أن أنفخهما فنفختهما فذهبا، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة»[2].

وصاحب صنعاء هو الأسود العنسي وهو عيهلة صاحب صنعاء، وقتله فيروز الديلمي في مرض موت النبي «صلى الله عليه وآله»، قبل وفاته

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٧ وقال: هذا أصح من حديث ابن إسحاق المتقدم. وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج٥ ص٢١٦ ومسلم (١٧٨١) وكنز العمال (٣٨٣٦١) والبداية والنهاية ج٥ ص٤٩ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٥٣ ـ ١٥٨ وفتح الباري ج٨ ص٧٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٨٤ وصحيح مسلم ج٧ ص٥٧ وعمدة القاري ج١٦ ص١٥١ وجزء مؤمل لابن إيهاب الرملي ص١٢٥ والمعجم الكبير للطبراني ج١٠ ص٣٠٨ ودلائل النبوة للأصبهاني ج٣ ص٨٢٩ ودفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص٣٠ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج١ ص٤٤٣ وتاريخ المدينة ج٢ ص٥٧٣ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٥٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٨ عن الصحيحين والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٥٣ ـ ١٥٨. ومسند احمد ج٢ ص٣١٩ وصحيح البخاري ج٥ ص١١٩ وصحيح مسلم ج٧ ص٥٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٧٥ وعمدة القاري ج١٨ ص٢٤ وصحيفة همام بن منبه ص٤٤.

«صلى الله عليه وآله» بيوم وليلة، فأتاه الوحي، فأخبر أصحابه بذلك.

وأما مسيلمة فقد ادَّعى النبوة في حياة النبي «صلى الله عليه وآله»، وشهد له الرحال الحنفي زوراً بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد شرَّكه معه في النبوة.

وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد رأى الرحال مع فرات بن حيان وأبي هريرة، فقال «صلى الله عليه وآله»: «ضرس أحدكم في النار مثل أحد». فما زالا خائفين حتى ارتد الرحال، وآمن بمسيلمة، وشهد له زوراً كما أسلفنا.

ثم أرسل أبو بكر جيشاً إلى مسيلمة فقتل هو وجميع أصحابه[1].

هل رأى مسيلمة رسول الله ﷺ:

قال الزرقاني: إن قلت: كيف يلتئم خبر ابن إسحاق في كون مسيلمة لم يجتمع بالنبي «صلى الله عليه وآله» بل بقي في الرحال، مع الحديث الذي يقول: بأنه اجتمع به، وقد قال له «صلى الله عليه وآله»: بأنه لو سأله السعفة التي في يده ما أعطاه إياها؟!

فالجواب: أن الأخذ بالرواية الثانية أولى لصحة سندها، وقد وردت في صحيح البخاري. أما خبر ابن إسحاق فضعيف منقطع.

ويمكن الجمع بينهما بأن من المحتمل أن يكون قدم مرتين: إحداهما كان فيها تابعاً، والأخرى كان فيها رئيساً متبوعاً..

---

(١) راجع فيما تقدم: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٥٥ والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج١ ص٣٤٢ .

ويرد على هذا الجمع: أن أمر مسيلمة كان أكبر من ان يكون تابعاً، فقد كان يقال له منذ الجاهلية: رحمان اليمامة.

ويمكن أن يقال: إن إقامته في رحله كانت أنفة منه واستكباراً من أن يكون هو الساعي إلى النبي «صلى الله عليه وآله»(١).

ونقول:

لعل الأولى أن يقال: إنه لم يلق النبي «صلى الله عليه وآله» في بادئ الأمر، ثم لقيه بعد ذلك كما سنوضحه عن قريب إن شاء الله.

تعظيم مسيلمة خرافة:

ادعت الروايات المتقدمة: أن مسيلمة جاء مع وفد بني حنيفة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان يستر بالثياب تعظيماً له، وأنهم خلفوه في رحالهم (وزعم بعضهم: أنه استكبر عن السعي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»).

ونحن لا نستطيع أن نؤكد صحة هذا الزعم:

فأولاً: إن من يكون بهذه المكانة في قومه فالمتوقع هو أن يكتفي هو بإرسال الوفود، ولا يفد هو بنفسه.

ثانياً: لو كان بهذه المثابة، فإنهم لا يخلِّفونه في رحالهم ليحفظها لهم، حسبما تقدم التصريح به..

ثالثاً: ما زعمه البعض من أنه تخلف في رحالهم، استكباراً عن السعي

---

(١) المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٥٦ عن العسقلاني.

إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».. لا يمكن قبوله، إذ لماذا لم يستكبر عن السعي من اليمامة (وهي بين مكة واليمن) إلى المدينة، ثم يستكبر عن هذه الخطوات اليسيرة من موضع نزوله في المدينة إلى مسجدها؟!

النبي ﷺ يفضح نوايا مسيلمة:

والذي نظنه هو أنه تخلف في بادئ الأمر عن الذهاب معهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله» لكي يتحاشى أن يكشف النبي «صلى الله عليه وآله» أمره، بما أعطاه الله من علم الغيب، لكي يتمكن بعد ذلك من أن يتدبر الأمر مع الرحال الحنفي، ليشهد له زوراً أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أشركه معه في النبوة[1].

من أجل ذلك نقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» قد ضيع الفرصة على مسيلمة، حيث إنه حينما أخبروه بأن أحدهم قد بقي في الرحال أمر له من العطاء بمثل ما أمر لهم.. وقال: «أما إنه ليس بشركم مكاناً».

أي أن وجوده في الرحال لا يجعله في موضع يوجب حرمانه من العطاء، ليكون وجودهم مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» امتيازاً لهم يخولهم أخذ العطاء دونه، فإن استحقاق العطاء وعدمه له موازين أخرى غير هذا، إذ هو يرتبط بالمعطي الذي يريد أن يعم عدله وفضله الجميع، ويريد أيضاً أن يشجع الناس على الثبات على طريق الحق، ونبذ كل ما هو

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٥٥.

انحراف وشر، وتكون له الحجة عليهم، ولا يكون لأحد أية حجة عليه..

كما أنه يرتبط فيما يظهره الآخذ من مواقف، وما ينتهجه من سلوك يبرر إعطاءه، ولو في خصوص تلك البرهة التي نال فيها من العطاء ما نال.

أما بعد تلك البرهة، فإن الإنسان الذي استفاد من عطاء النبوة، ورأى من خلقها الرفيع ما رأى، وعرف من سيرتها ومبادئها، وشرائعها ما قامت به الحجة عليه، هو الذي يكون مسؤولاً عما يصدر منه في ضوء هذا كله.

فاتضح أن كلمة النبي «صلى الله عليه وآله» عن مسيلمة: «ليس بشركم مكاناً» قد جاءت في السياق الصحيح والمؤثر، الذي يعطي الضابطة الحاسمة والدقيقة في موضوع القيم، وفي الأخلاق، ليصبح سبيلاً لإقامة الحجة، وسطوع البرهان على الحق لمن أراد أن يستنير بنور الحق.

فما زعمه مسيلمة بعد رجوعه إلى اليمامة من أنه إشرك في النبوة معه استناداً إلى قوله «صلى الله عليه وآله» عنه: «ليس بشركم مكاناً» مما لا ريب في بطلانه، فإن قول القائل: فلان ليس بشركم مكاناً يغني: أنه مساو لكم، وقد أراد «صلى الله عليه وآله» أنكم لا تمتازون عنه في موضوع العطاء.

وليس معناه: أنه شريك في النبوة أو في غيرها، ولا يشير إلى شيء من ذلك من قريب، ولا من بعيد.

مسيلمة يريد ولاية الأمر بعد النبي ﷺ:

ولا نريد أن ننأى بأنفسنا عن قبول الرواية التي تقول: إنهم جاؤوا بمسيلمة إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو يستر بالثياب، فسأله أن يجعل له الأمر من بعده، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «لو سألتني هذا

العسيب الذي في يدي ما أعطيتكه».

وهذا أقوى تصريح من شأنه أن يحصن الناس من خداع مسيلمة، فإنه بهذه الكلمة قد نفى إشراكه في النبوة، ونفى أهلية مسيلمة لأدنى شيء يمكن أن يخطر على قلب بشر، فإنه إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» المتصل بالغيب الإلهي، وأحلم الناس، وأكرمهم، وأرحمهم، وأحسنهم أخلاقاً، واكثرهم رفقاً بالناس، ومراعاةً لمشاعرهم ـ إذا كان ـ يجبه مسيلمة بهذه الحقيقة، فذلك يعني أن مسيلمة كان يستحق هذه الإهانة حين صدورها من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه كان ينطوي على أمر عظيم، لا بد من فضحه فيه ويجب على النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعريه أمام الناس، ويكشف عن حقيقته، ويبين قيمته لكل أحد.

بل إن النبي «صلى الله عليه وآله» ليس فقط لا يراه أهلاً للعسيب، بل هو يرى أنه لا يجوز حتى أن يعطى ذلك العسيب، رغم أن الكريم قد يعطي من لا يستحق أيضاً..

وهذا يكشف لنا عن خبث عظيم يجعل من إعطاء العسيب له ولو تفضلاً وكرماً جريمة عظيمة، لا يمكن أن تصدر عن النبي «صلى الله عليه وآله».

مسيلمة يستثير الغرائز والأهواء:

وقد سار مسيلمة «لعنه الله» في خططه التفصيلية في ثلاثة اتجاهات:

الأول: تأييد دعواه بأكاذيب ينسبها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وشهادات يزورها عليه، وبذلك يكون قد حفظ لنفسه العنصر الغيبي الذي يخضع له الناس بصورة تلقائية.. فاستمر يشهد لرسول الله

«صلى الله عليه وآله» بالنبوة، ويزعم أنه «صلى الله عليه وآله» قد أشركه معه فيها، واستشهد على ذلك الرحال الحنفي كما تقدم..

ولم يأبه لتكذيب النبي «صلى الله عليه وآله» وجميع المسلمين لمزاعمه هذه.. ثم كتب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه أشرك في الأمر معه، وليس قريش قوم يعدلون.. وقد تقدم ذلك..

الثاني: إنه خاطب غرائز الناس، واستثار شهواتهم، وأرضى ميولهم حين وضع عنهم الصلاة، التي يراها أهل الدنيا عبئاً ثقيلاً، يودون التخلص منه، ثم هو قد أباح لهم الزنا وشرب الخمر، وذلك يرضي غرائزهم، ويتناغم مع شهواتهم وأهوائهم التي تريد التفلت من كل قيد في مثل هذه المجالات..

الثالث: إنه استفاد من بعض الألاعيب التي كان الناس يجهلون رمزها وسرها، لكي يوهمهم بأنه قادر على اجتراح المعجزات، مثل وضعه البيضة في الكلس مدة حتى تلين، ويسهل التصرف فيها، ثم يدخلها في زجاجة ويتركها لتعود إلى حالتها الأولى، ثم يريهم إياها، فيثير ذلك عجبهم، فإن عنق الزجاجة ضيق، ولا يمكن أن تمر فيه البيضة من دون أن تنكسر.. فيتأكد لديهم الشعور بأن لديه قدرات خارقة، ويتوهمون أن ذلك من دلائل صحة ما يدعيه..

مفارقة مثيرة:

وإننا في حين نرى مسيلمة يقر للنبي «صلى الله عليه وآله» بالنبوة، ويدَّعي لنفسه الشراكة معه، ويكتب له: ان الأمر بينه وبينه، ولكن قريشاً

قوم لا يعدلون..

نرى أن رسولَيْ مسيلمة اللذين جاءا إليه ـ على الظاهر ـ بنفس هذا الكتاب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» لم يرضيا بالإقرار والشهادة بالنبوة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..

الأرض لله يورثها من يشاء:

وعن جواب النبي «صلى الله عليه وآله» على رسالة مسيلمة نقول:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد سلّم على من اتبع الهدى.. ولا ريب في أن مسيلمة الكذاب لم يكن من هؤلاء، ولكن ليس من حق أحد أن يمنعه من اتخاذ قرار العودة إلى سلوك طريق الهداية.

وانطلاقاً من مسؤولية النبوة في فتح أبواب الهداية أمام جميع البشر، جاء التلويح حتى لمسيلمة الكذاب بأن باب الهداية مفتوح أمامه، فما عليه إلا أن يلجه، كي يشمله الله بسلامه الغامر وبنور الهداية الباهر..

٢ ـ هناك نص يقول: إن مسيلمة كتب إلى النبي «صلى الله عليه وآله»: «إن لنا نصف الأمر».

ونص آخر يقول: «إنه كتب إليه أن الأرض لي ولك نصفان»، وجواب النبي «صلى الله عليه وآله» يشير إلى صحة النص الثاني دون الأول.

٣ ـ نلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل لمسيلمة: بل الأرض لي، وأنت ليس لك شيء، بل أرجع الأمر إلى من يكون البشر جميعاً سواسية أمام عظمته، وفي قبضته، وفي ملكه، ولا فرق في ذلك بين نبي وغيره، ولا بين مطيع وعاص، ولا بين كبير وصغير، ولا بين ملكٍ أو سوقه، قوي وضعيف.

ولم يكن بإمكان مسيلمة أن ينكر أو حتى أن يناقش في هذا الأمر.

٤ ـ وإذا بلغ الأمر هذا الحد، فالنتيجة الطبيعية لذلك هي: أن يكون الأمر يرجع إلى المالك الحقيقي، فهو الذي يجعل ذلك لمن يشاء من عباده، فليس لأحد أن يفتئت عليه في ذلك، لا في الأرض كلها، ولا في نصفها، ولا في أي شيء منها، وهذا هو المقصود بقوله: يورثها من يشاء من عباده..

٥ ـ وإذا كان ذلك كله يظهر تعدي مسيلمة على العزة الإلهية، والتصرف بما لا يحق له التصرف فيه، فذلك يعني أمرين:

أحدهما: أنه كاذب فيما يدَّعيه من نبوة، فإن من يجترئ على الله سبحانه لا يصلح لشيء مهما كان تافهاً، فضلاً عن أن يصلح لمقام النبوة الأسمى..

الثاني: أن ابتعاده عن خط التقوى يحرمه من أن يمنحه الله شيئاً من الأرض.. وهذا ما أشار إليه قوله «صلى الله عليه وآله»: والعاقبة للمتقين..

تهديد الرسولين:

إن تهديد النبي «صلى الله عليه وآله» لرسولي مسيلمة لمجرد قولهما إنهما يقولان بمثل ما يقول مسيلمة، يشير إلى أنهما كانا قد أسلما ثم ارتدا، فاستحقا هذا الوعيد والتهديد، إذ لا يمكن أن نتصوره «صلى الله عليه وآله» يواجههما بهذه الحدة والشدة قبل أن يقيم الحجة عليهما، ثم من دون أن تظهر عليهما بعدها أمارات التحدي والمحاربة.

مع العلم بأنه «صلى الله عليه وآله» كان قد استقبل الكثيرين من الرسل، ولم نجده سألهم عما يشبه ذلك في موضوع الإيمان والكفر، فضلاً عن أن يكون قد واجههم بمثل هذه الشدة.

وبذلك يتبلور لدينا شك في صحة الرواية التي تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لرسولي مسيلمة: «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما»، فقد يكون ذلك غير دقيق، أو غير صحيح..

منام رسول الله ﷺ:

ونحن نشك أيضاً في صحة زعمهم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» رأى في منامه أنه وُضِع في كفيه سواران من ذهب الخ..

فأولاً: لماذا يكون مسيلمة والعنسي بمثابة سوارين من ذهب؟! وما معنى وضعهما في يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وما معنى نفخه لهما؟!

ثانياً: إن مسيلمة والأسود العنسي قد ادَّعيا ما ادَّعياه في حياة النبي وليس بعد وفاته «صلى الله عليه وآله».. كما ورد في الرواية الأولى، وإن أخذنا بالرواية الثانية فقد صرح «صلى الله عليه وآله» بأنه بينهما، وهذا معناه: أنهما خرجا قبل وفاته، مع أن الروايتين معاً قد رويتا عن أبي هريرة!!

إلَّا أن يكون المقصود هو: أنهما يعلنان الحرب بعد وفاته «صلى الله عليه وآله».. وهو مجرد احتمال لا شاهد له، ولا دليل عليه.

ثالثاً: إذا كانت اليمامة بين مكة واليمن، وكانت صنعاء أيضاً في قلب اليمن، فما معنى قوله «صلى الله عليه وآله»: «الكذابين اللذين أنا بينهما»، فإن معنى كونه بينهما هو أن يكون أحدهما إلى جهة اليمن، والآخر إلى جهة الشام، لا أن يكونا معاً في جهة واحدة..

إلا أن يقال: ليس المراد البينيّة المكانية، بل المقصود بينيّة مقامه ومحله «صلى الله عليه وآله»، فهو نبي حقيقي مبعوث من الله، بين متنبئين كذّابين

مفترين عليه، فلاحظ.

رابعاً: إن الأسود العنسي ـ وهو عيهلة ـ قد قتل في مرض موت النبي «صلى الله عليه وآله»، وقتله فيروز الديلمي قبل وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» بيوم، أو يومين، فأتاه الوحي بذلك، فأخبر أصحابه[1]. أما مسيلمة فقتل في زمن أبي بكر، فما هو الجامع بين الرجلين في هذا المنام المزعوم؟!

وأما ما رواه الطبراني عن فيروز الديلمي من أنه قال: «أتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» برأس أسود العنسي»[2]، فنقول فيه:

١ ـ إن سائر الروايات تتناقض معه، وتقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبر بموت الأسود ومات قبل أن يصل إليه من يخبره بذلك، ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» يرضى بحمل رأس أحد إليه كما هو واضح. بل ذكر الذهبي: أنه «وفد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» برأس الأسود فيما بلغنا فوجده توفي»[3].

٢ ـ قال ابن حجر في الإصابة: «وهذا تفرد به ضمرة، فإن رأس

---

(١) شرح المواهب اللدنية ج٥ ص١٥٥ وتفسير البيضاوي ج٢ ص٣٣٧ وأسد الغابة ج٢ ص١٣٥ والإصابة ج٥ ص٢٩١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١٠ ص١٢٤ ومجمع الزوائد ج٥ ص٣٣٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٢٠٤ ومسند الشاميين ج٢ ص٣٨ والإستيعاب ج٣ ص١٢٦٥ وكنز العمال ج٥ ص٥٣٧ وج١٤ ص٥٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٩ ص٥ و ١٦ وأسد الغابة ج٤ ص١٨٦ والإصابة ج٥ ص٢٩١.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٢٨٦ والوافي بالوفيات ج٢٤ ص٧٢.

الأسود لم يحمل إلى النبي «صلى الله عليه وآله»..»[١].

ضرس أحدكم في النار مثل أحد:

وقد ذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» رأى الرحال الذي شهد لمسيلمة الكذاب بالنبوة مع أبي هريرة، وفرات بن حيان، فقال: «ضرس أحدكم في النار مثل أحد»، فكان أبو هريرة وفرات بن حيان خائفين..

فارتد الرحال، وآمن بمسيلمة وقتل معه، فعرفوا أنه هو المقصود من بين الثلاثة[٢]. وسجدا لله شكراً[٣]..

ونقول:

أولاً: إن الكلام الأخير يدل على أنهم يفترضون أنه «صلى الله عليه وآله» يتحدث عن شخص واحد من الثلاثة، وهو الرحَّال.. وهذا ليس صحيحاً، فإن الحديث يدل على أن الأشخاص الثلاثة جميعاً من أهل النار، كما هذا هو مفاد سياق الكلام، فإذا قيل: رأيت جماعة من بلد كذا يأكل أحدهم خروفاً، أو قيل: رأيت جماعة قلب أحدهم أقسى من الصخر، أو يفيض طهراً وحناناً، أو وجه أحدهم أقبح من وجه القرد، أو أضوأ من القمر، فإن معناه: أن جميعهم كذلك.. وقد قال تعالى: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ**

---

(١) أسد الغابة ج٤ ص١٨٦.

(٢) راجع: الإستيعاب بهامش الإصابة ج٣ ص٢٠٣ والإصابة ج٣ ص٢٠١ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص٢١٤.

(٣) راجع: الإستيعاب بهامش الإصابة ج٣ ص٢٠٣ والإصابة ج٣ ص٢٠١ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص٢١٤.

بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[١]. والمقصود: أنهم جميعاً كانوا كذلك.

ومثله قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[٣].

فإن المقصود بهذه التعابير هو: الجماعة كلها، فرداً فرداً..

ثانياً: إن حرمة المؤمن عظيمة عند الله، ولا يمكن التفريط فيها خصوصاً من قبل نبي الله «صلى الله عليه وآله» فلو كان مقصوده «صلى الله عليه وآله» واحداً من الثلاثة، وهو الرحال، فلا يصح ولا يجوز أن يتكلم بكلام يلقي فيه الشبهة على غيره من الأبرياء، ويضعهم في قفص الإتهام مع علمه ببرائتهم.. لأن إلقاء الكلام بهذا النحو يسقط الثلاثة عن درجة الإعتبار، ويدفع الناس إلى الحذر منهم وإلى إقصائهم عن أي شأن من الشؤون، فلا يصلي أحد خلفهم جماعة، ولا يقبل أحد شهادتهم و.. و.. الخ.. فلماذا لا يحدد النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك الرجل المقصود بصورة مباشرة، إن كان هناك ضرورة لتحديده؟!

إلا أن يفترض: أن الله تعالى قد أمره بأن يثير الشبهات، ويسقط محل هؤلاء الثلاثة جميعهم، فلا بد أن يكونوا قد فعلوا ما يستحقون به ذلك.

---

(١) الآية ٥٨ من سورة النحل.

(٢) الآية ٩٦ من سورة البقرة.

(٣) الآية ١٧ من سورة الزخرف.

وإذا كان هذا القول سوف يشيع بين الناس، فلا بد لدفع الشبهة عن المتضررين من إبلاغ النتيجة النهائية لكل من بلغه القول الأول.. وهذا ما لم يحصل، بل لعله كان متعذراً بالنسبة لبعض الموارد.

ولعلك تقول: لعله «صلى الله عليه وآله» قد عيّن شخص الرجل المقصود بقرينة حالية لم تصل إلينا، أو لعل أبا هريرة وفرات بن حيان أيضاً لم يلتفتا إليها..

ونجيب: إن ذلك غير معقول:

إذ لو كان ثمة قرينة لما خفيت على أبي هريرة وفرات، فإن المتكلم لا يعتمد على القرينة الحالية إلا حين يطمئن إلى أن المخاطَب ملتفت إليها، لأنها تكون جزءاً من وسيلة خطابه له.. فإذا أعلن المقصود بالخطاب أنه لا يجد أمامه سوى الخطاب اللفظي، فليس لنا نحن أن نتوقع العثور على قرينة، أو أن نحتمل وجودها إلى حد إسقاط ظهور الخطاب اللفظي عن صلاحية الدلالة.

ولعلك تقول أيضاً: إن المراد قد اتضح بعد ارتداد الرحال وقتله مع مسيلمة.. وهذا يكفي في دفع غائلة الإبهام المشار إليه.

ونجيب: بأن ظهور أمر الرحال قد تأخر مدة طويلة، كان فيها أبو هريرة، وكذلك فرات محرومين من حقوقهما، مشكوكاً في أمرهما. فلماذا فعل بهما النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك؟! فإن كان «صلى الله عليه وآله» قد اعتمد على هذه القرينة الخارجية، فهي قرينة منفصلة، تؤدي إلى تأخير البيان عدة سنوات عن وقت الحاجة، وهذا غير مقبول، ولا سيما إذا كان يلحق الضرر بالأبرياء إلى حد الإسقاط..

ورابعاً: إن هؤلاء يفترضون: أن أمر فرات بن حيان، وأبي هريرة محسوم فيما يرتبط بصحة إيمانهما، مع أن ذلك يصطدم بأمرين:

أحدهما: أن أمر فرات مشكوك، بملاحظة: أنه كان قد هجا النبي «صلى الله عليه وآله» وكان عيناً لأبي سفيان، فأمر «صلى الله عليه وآله» بقتله، فأسلم حقناً لدمه، فأخبروا النبي «صلى الله عليه وآله» أنه يقول: إنه مسلم، فقال «صلى الله عليه وآله»: إن فيكم رجالاً نكلهم إلى إيمانهم، منهم فرات بن حيان. وحسب نص ابن عقدة على ما في الإصابة: إن منكم من أتألفهم على الإسلام، وأكله إلى إيمانه، منهم فرات بن حيان[1].

الثاني: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد جعل أبا هريرة في دائرة الخطر مرة أخرى، حيث قال له ولسمرة بن جندب، وأبي محذورة الجمحي: «آخركم موتاً في النار»[2].

---

(١) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٢٠٣ والإصابة ج٣ ص٢٠١ عن أبي داوود والبخاري في تاريخه ومستدرك الحاكم ج٤ ص٣٦٦ وتلخيصه للذهبي (مطبوع مع المستدرك). والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج٥ ص٢٧٣.

(٢) الإصابة ج٢ ص٧٩. والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص٧٨ وأسدا الغابة ج٢ ص٣٥٥ ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج١ ص٩٥ والبحار ج١٨ ص١٣٢ والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص٢٢٢ ومجمع الزوائد ج٨ ص٢٩٠ وجزء أشيب للبغدادي ص٥٨ والمعجم الأوسط للطبراني ج٦ ص٢٠٨ والمعجم الكبير للطبراني ج٧ ص١٧٧ وشرح النهج للمعتزلي ج٤ ص٧٨ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص٢١٥ والتاريخ الصغير للبخاري ج١ ص١٣٣ وتهذيب الكمال ج١٢ ص١٣٣ والإصابة ج٣ ص١٥٠ وتهذيب =

فزعموا: أن سمرة بن جندب سقط في قدر مملوء ماءً حاراً فمات، فكان ذلك تصديقاً لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

غير أننا نقول:

أولاً: قال ابن جرير: «فما مات سمرة حتى أخذه الزمهرير، فمات شر ميتة»[2].

فأين الزمهرير من النار، ومن الماء الحار؟!

فلا يصح قولهم: إنه مات في قدر حار. فضلاً عن أن يكون آخر الثلاثة موتاً.

ثانياً: إن الموت في الماء الحار شيء، والموت في النار شيء آخر، فإن الماء الحار ليس ناراً.

ثالثاً: لو كان المقصود هو: موته بواسطة النار، أو الماء الذي يغلي بها، لكان عليه أن يقول: آخركم موتاً بالنار. أي بواسطتها، أما قوله: في النار،

= التهذيب ج٤ ص٢٠٧ وج١٢ ص٢٠٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٢٣٢ والوافي بالوفيات ج١ ص٨٢ وج١٥ ص٢٧٧ والبداية والنهاية ج٦ ص٢٥٣ وإمتاع الأسماع ج١٢ ص٢٢٣ وج١٤ ص١٣٢ والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج١ ص٣٣٩ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص١٨٤.

(١) الإصابة ج٢ ص٧٩. والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص٧٨ وراجع: أنساب الأشراف ج١ ص٥٢٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٢٩٢ والغدير ج١١ ص٣٠ وتاريخ الطبري ج٤ ص٢١٧ والكامل في التاريخ ج٣ ص٤٩٥.

فيدل على أنه سوف يدخل النار، ويكون من أهلها.

رابعاً: إن هذا النص يبين أن هؤلاء الثلاثة جميعاً هم من أهل النار، إذ لو لم يكن الأمر كذلك، لم يصح وضع الأبرياء في موضع الشبهة طيلة حياتهم إلى حين موتهم كما يعلم بمراجعة حالهم في كتب التراجم، بل هي لم تفارقهم إلى يومهم هذا، لأن الأقوال في آخرهم موتاً متناقضة، لا يمكن حسم الأمر فيها بأي وجه..

خامساً: إن حال هؤلاء الثلاثة كانت في غاية السوء من حيث ممارستهم، وارتكابهم ما لا يجوز ارتكابه، ولا سيما إسهامهم في وضع الحديث على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وشهاداتهم على إمامهم بالزور والبهتان، فراجع تراجمهم في قاموس الرجال، وفي كتاب أبي هريرة للسيد عبد الحسين شرف الدين «رحمه الله» وغير ذلك.

الفصل الثامن:

وفود بلا تاريخ قليلة التفاصيل

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وفد أحمس:

قال ابن سعد: قدم قيس بن غَرْبَة[1] الأحمسي في مائتين وخمسين رجلاً من أحمس، فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من أنتم»؟!

فقالوا: نحن أحمس الله. وكان يقال لهم ذلك في الجاهلية.

فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «وأنتم اليوم لله».

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لبلال: «أعط ركب بجيلة، وابدأ بالأحمسيين». ففعل.

وعن طارق بن شهاب قال: قدم وفد بجيلة على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اكتبوا البجليين، وابدأوا بالأحمسيين».

فتخلف رجل من قيس، قال: حتى أنظر ما يقول لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: فدعا لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسمى مرات: «اللهم جد عليهم، اللهم بارك فيهم».

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٦١ عن الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ق٢ ص٧٨. والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج١ ص٣٤٧.

وفي رواية: قدم وفد أحمس، ووفد قيس، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ابدأوا بالأحمسيين قبل القيسيين».

ثم دعا لأحمس، فقال: «اللهم بارك في أحمس، وخيلها، ورجالها» سبع مرات[1].

ونقول:

إن لنا ها هنا بعض البيانات نعرضها فيما يلي:

أنتم اليوم لله:

قد ظهر: أن الأحمسيين حين عرَّفوا أنفسهم لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، كانوا يريدون إظهار ما يعتبرونه امتيازاً لهم، مستفيدين من التعبير الذي كان يطلق عليهم في الجاهلية، فقالوا: نحن أحمس الله. أي أشداء لله تبارك وتعالى.

ولكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم ينكر عليهم ذلك صراحة، ما دام أنهم ينسبون أنفسهم لله تبارك وتعالى، ولكنه أدخل تصحيحاً على المفهوم الذي أطلقوه، من شأنه أن يعيد الأمور إلى نصابها، ويفرض حالة من التوازن، والواقعية، والدقة حين قال لهم: «وأنتم اليوم لله..»، فأفهمهم أن عليهم أن يبتعدوا عن الإفراط والشطط فيما يدَّعونه لأنفسهم، فهم أحمس لله. أي أشداء في سبيل الله سبحانه، لا أنهم أشداء الله، وهذا هو الأنسب بمقام العبودية، والأقرب للطاعة والإنقياد.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٦١ عن أحمد بن حنبل. ومسند احمد ج٤ ص٣١٥ ومجمع الزوائد للهيثمي ج١٠ ص٤٩.

إبدأوا بالأحمسيين:

ثم إن من يراجع حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلا بد أن يقطع بأنه «صلى الله عليه وآله» لم يميز فريقاً على فريق، إلا إذا ميزته التقوى، والعمل الصالح..

ولم نجد للأحمسيين هذا التميز عن غيرهم من البجليين والقيسيين في هذا أو ذاك. فلماذا يكون هذا التفضيل لهم على بجيلة أولاً، وعلى القيسيين ثانياً؟!

ألا يثير ذلك حساسيات سلبية لا مبرر لإثارتها لدى قيس وبجيلة تجاه أحمس؟!

ولماذا لم يبادر القيسيون والبجليون إلى الإعتراض، أو إلى الإستفهام عن سبب تقديم الأحمسيين عليهم على أقل تقدير؟!

الحماس في الدعاء لأحمس:

ثم إننا لم نستطع أن نعرف سبب تخصيص أحمس بالدعاء بالبركة فيها، وفي خيلها، ورجالها!! ولماذا كرر دعاءه هذا لها سبع مرات؟!

فهل كانت خيل أحمس موصوفة ومعروفة، ومتميزة في ساحات القتال؟!

وفي أية معركة ظهر لها هذا التميز والتفرد دون قيس وبجيلة؟!

وهكذا يقال بالنسبة لرجال أحمس، حيث لابد من السؤال عن مواقفهم المشهورة، التي أظهروا فيها تفوقهم على القيسيين وعلى إخوانهم من البجليين في ساحات الجهاد!!

وفود قيس بن غَزبَة:

إن الرواية المتقدمة تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» سأل الوفد الذي قدم مع قيس بن غربة: من أنتم؟!

فأخبروه أنهم أحمس الله..

وهذا يشير إلى: أن هذه كانت أول مرة يفدون فيها إليه «صلى الله عليه وآله».. ولذلك سألهم أن يعرِّفوا له أنفسهم، ولو أنه كان قد رآهم قبل ذلك، أو رأى زعيمهم قيس بن غربة لعرفه وعرَّفه، أو لخصه هو بالسؤال عن سبب مجيئه، وعن هوية الذين جاؤوا معه..

مع أن ثمة نصاً آخر يقول: إن قيس بن غربة كان قد قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأمر منه «صلى الله عليه وآله» قبل ذلك،

قال الراوندي: «روي أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتب إلى قيس بن عَرْنَة (غَرْبَة) البجلي يأمره بالقدوم عليه، فأقبل ومعه خويلد بن الحارث الكلبي، حتى إذا دنا من المدينة هاب الرجل أن يدخل..

فقال له قيس: أما إذا أبيت أن تدخل، فكن في هذا الجبل حتى آتيه، فإن رأيت الذي تحب أدعوك، فاتبعني، فأقام. ومضى قيس حتى إذا دخل على النبي «صلى الله عليه وآله» المسجد، فقال: يا محمد، أنا آمن؟!

قال: نعم، وصاحبك الذي تخلف في الجبل الخ..»[1].

---

(١) الخرائج والجرائح (ط مؤسسة الإمام المهدي ـ قم) ج١ ص١٠٣ والبحار ج٢٢ ص٧٦ وج١٨ ص١١٧ عنه، ومكاتيب الرسول ج١ ص٢٠٤.

إختلاف الروايات:

ثم إن ملاحظة الروايات تعطي: أن ثمة اختلافاً فيما بينها، في عدد ذلك الوفد، فرواية ابن سعد المتقدمة، تقول: إن قيس بن غربة وفد في ماءتين وخمسين رجلاً من أحمس..

وفي نص آخر: وفد إليه في خمس مائة من أحمس، وقدم جرير بن عبدالله البجلي في ماءتين من قيس، والحجاج بن ذي الأعنق الأحمسي في رهطه[1].

فأي ذلك هو الصحيح؟!

على أننا لا نجد ما يدعو لإيفاد هذا العدد الهائل من الناس.. خمس مائة يضاف إليها مئتان من قيس، ثم يضاف إلى هؤلاء وأولئك رهط الحجاج بن ذي الأعنق الأحمسي..

ولا ندري إن كان الأحمسيون كلهم يبلغون هذه الأعداد الكبيرة!! بل إذا كان وفدهم يصل إلى هذا العدد، فلابد أن يكون من بقي منهم في بلادهم، ليحمي البلاد والعباد، ويدفع الغارات عن المال والعرض، ويحفظ النساء والصبيان أضعاف أضعاف هذا العدد!

غزو خثعم بالأحمسيين:

وقد أضافت بعض الروايات: أن نفس وفد الأحمسيين، وقيس قد «تنادوا عند النبي «صلى الله عليه وآله»، فبعث معهم ثلاث مائة من الأنصار، وغيرهم

(١) الإصابة ج٣ ص٢٥٦ وفي (ط دارالكتب العلمية) ج٥ ص٣٧٤.

من العرب، فأوقعوا بخثعم باليمن»[1].

ونحن وإن كنا لم نستطع أن نفهم المراد من تناديهم في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله» فإننا لم نستطع أيضاً أن نؤكد صحة ادِّعاء إرسالهم في سرية إلى خثعم، فإن سرية بهذا المستوى، وبهذه الكثرة، وقد وصلت إلى اليمن، وأوقعت بقبيلة مثل خثعم، لا يمكن أن تخفى أخبارها عن الرواة والمؤرخين، إلى حد أنهم لم يتمكنوا من التصريح حتى باسم أمير تلك السرية، ولا ذكروا لنا شيئاً عن تفاصيل ما جرى لها ومنها!! ولم نعرف إن كانت قد جاءت بأسرى وسبايا وغنائم!! أم لم تحصل على شيء من ذلك!!..

كما أننا لا نعرف شيئاً عن عدد القتلى من خثعم، ولا ذكر أحد لنا اسم أحد من المقتولين من هذه القبيلة!!.

وفود غافق:

وقالوا: وفد جليحة بن شجار بن صحار الغافقي على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في رجال من قومه، فقالوا: يا رسول الله نحن الكواهل من قومنا، وقد أسلمنا وصدقاتنا محبوسة بأفنيتنا.

فقال: «لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم».

فقال عوذ بن سرير الغافقي: آمنا بالله واتبعنا رسوله[2].

---

(١) الإصابة ج٣ ص٢٥٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٩٠ عن طبقات ابن سعد (ط ليدن) ج٢ ص١١٥. وفي (ط دار صادر) ج١ ص٣٥٢.

وفود حضرموت:

قالوا: وقدم وفد حضرموت مع وفد كندة على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم بنو وليعة ملوك حضرموت: جَمَد، ومِخْوَس، ومِشْرَح، وأَبْضَعة، فأسلموا.

وقال مِخْوَس: يا رسول الله، ادع الله أن يذهب عني هذه الرتَّة من لساني.

فدعا له، وأطعمه طُعمة من صدقة حضرموت[1].

وعن أبي عبيدة من ولد عمار بن ياسر قال: وفد مِخْوَس بن معدي كرب بن وليعة فيمن معه على النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم خرجوا من عنده، فأصابت مِخْوَسَ اللقوة، فرجع منهم نفر، فقالوا: يا رسول الله، سيد العرب ضربته اللقوة، فادللنا على دوائه.

فقال: «خذوا مخيطاً، فاحموه في النار، ثم اقلبوا شفر عينه، ففيها شفاؤه، وإليها مصيره، فالله أعلم ما قلتم حين خرجتم من عندي». فصنعوا به فبرأ[2].

عن عمرو بن مهاجر الكندي قال: كانت امرأة من حضرموت، ثم من تنعة يقال لها: تهناة بنت كُلَيْب صنعت لرسول الله «صلى الله عليه وآله»

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢١ عن ابن سعد، وفي هامشه عن: الطبقات الكبرى (ط ليدن) ج٢ ص١١٢. وفي الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج١ ص٣٤٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢١ عن ابن سعد. والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج١ ص٣٥٠.

كسوة، ثم دعت ابنها كليب بن أسد بن كليب. فقالت: انطلق بهذه الكسوة إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأتاه بها وأسلم، فدعا له، وقال كليب حين أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

من وشز برهوت يهوي بي عذافرة ... إليك يا خير من يحفى وينتعل

تجوب بي صفصفاً غبراً مناهله ... تزداد عفواً إذا ما كلت الإبل

شهرين أعملها نصاً على وجل ... أرجو بذاك ثواب الله يا رجل

أنت النبي الذي كنا نخبره ... وبشرتنا به التوارة والرسل[1]

معنى النبوة في وجدان الناس:

تقدم: أن أحد ملوك حضرموت يطلب منه «صلى الله عليه وآله» أن يدعو الله له ليذهب الرتَّة من لسانه، كما أنه حين ضربته اللقوة رجع منهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفر فطلبوا منه أن يدلهم على دوائه.. وهذا معناه: أن المرتكز في نفوس الناس هو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن مجرد سياسي حاكم أو معلِّم ومبلِّغ للشريعة، أو قاضٍ، أو قائد، أو مصلح اجتماعي. بل هو أيضاً بنظرهم طبيب عالم بالدواء ويدلهم عليه، وهو أيضاً حلال مشكلاتهم، وشافعهم عند الله، وهو الذي يأتيهم الغيث بدعائه، وهو الذي يطلب من الله أن يزيل الرتَّة من لسان من ابتلي بها، إلى

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢١ و ٣٢٢ عن ابن سعد. والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج١ ص٣٥٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٣٩٩ والأعلام للزركلي ج٥ ص٢٣٢ والإصابة ج٥ ص٤٦٤.

غير ذلك مما يجده المتتبع لما جرى بينه «صلى الله عليه وآله» وبين من وفد عليه من القبائل المختلفة، والبلاد المتباعدة..

وهذا الأمر يدلنا على أن هذا الفهم لمعنى النبوة هو أمر استقر في نفوسهم، وفي وجدانهم بصورة عفوية، ولم يستفده الناس من تعليم معلم، ولا من تصريح صادر عن نبي أو وصي..

ويلاحظ أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يستجيب لهم، ولم يقل لأحد منهم ولو مرة واحدة: إن ذلك لا يدخل في صلاحياتي، أو لم تصل إليه معرفتي، أو ليس من اختصاصي.

البشائر بالرسول:

وقد أظهر الشعر الذي قاله كُليب: أن بشائر اليهود بالنبي «صلى الله عليه وآله» وما بلغ الناس عن الأنبياء من تأكيد على ظهوره «صلى الله عليه وآله» قد أسهم في حسم الأمور لدى الكثيرين، فآمنوا به «صلى الله عليه وآله»، وكان لهم بذلك الفوز العظيم.

وفادة الحكم بن حزن الكلفي:

عن الحكم بن حزن قال: قدمنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» سابع سبعة، أو تاسع تسعة، فأذن لنا فدخلنا، فقلنا: يا رسول الله، أتيناك لتدعو لنا بخير، فدعا لنا بخير، وأمر بنا فأنزلنا، وأمر لنا بشيء من تمر، والشأن إذ ذاك دون.

فلبثنا أياماً، فشهدنا بها الجمعة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقام متوكئاً على قوس أو عصاً، فحمد الله وأثنى عليه كلمات خفيفات،

طيبات مباركات، ثم قال: «يا أيها الناس، إنكم لن تطيقوا أن تفعلوا كل ما أمرتم به، ولكن سددوا وأبشروا»(١).

ونقول:

١ ـ إن قوله: أو تاسع تسعة لعله ليس من كلام الحكم بن حزم، بل هو من كلام الراوي عن الكتاب، إذ إنه كثيراً ما يشتبه الأمر على القارئ في هذا المورد لتقارب الرسم بين كلمتي سبع، وتسع، مع ملاحظة: أن النقط للحروف لم يكن شائعاً آنئذٍ.

٢ ـ ويلاحظ أيضاً: أن الناس كانوا يقصدون النبي «صلى الله عليه وآله» لمجرد طلب الدعاء منه لهم.

وهذا يشير إلى: أن له موقعاً خاصاً في نفوسهم وقلوبهم، وأن الأمر لدى الكثيرين قد تجاوز موضوع القناعة، وإظهار الإعتقاد، لتصبح علاقتهم برسول الله «صلى الله عليه وآله» علاقة مشاعرية وروحية ووجدانية.

وفود بني بكر بن وائل:

قال ابن سعد: قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٢٢٢ وج٦ ص٣٢٢ عن أحمد، وأبي داود، والبيهقي واللفظ له. وفي هامشه عن: كنز العمال (٥٢١٩). ومسند أحمد ج٤ ص٢١٢ ونيل الأوطار ج٣ ص٣٣٠ وسنن أبي داود ج١ ص٢٤٦ والمعجم الكبير للطبراني ج٣ ص٢١٣ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٢ ص٤٩٠ وكنز العمال ج٣ ص٦٧١ وأسد الغابة ج٢ ص٣٢ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٢٠٩ وتهذيب الكمال ج٧ ص٩٣.

وآله»، فقال له رجل منهم: هل تعرف قس بن ساعدة؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ليس هو منكم، هذا رجل من إياد، تحنَّف في الجاهلية، فوافى عكاظاً والناس مجتمعون، فكلمهم بكلامه الذي حفظ عنه».

وكان في الوفد بشير بن الخصاصية، وعبد الله بن مرثد، وحسان بن حوط، وقال رجل من ولد حسان:

أنا ابن حسان بن حوط وأبي رسول بكر كلها إلى النبي

وقدم معهم عبد الله بن أسود بن شهاب بن عوف بن عمرو بن الحارث بن سدوس، وكان ينزل اليمامة، فباع ما كان له من مال باليمامة، وهاجر وقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بجراب من تمر، فدعا له رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالبركة[1].

وفود الصدف:

عن جماعة من الصدف قالوا: قدم وفدنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهم بضعة عشر رجلاً، على قلائص، لهم أزر وأردية، فصادفوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما بين بيته وبين المنبر، فجلسوا ولم يسلموا.

فقال: «أمسلمون أنتم»؟

قالوا: نعم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٨١ وتهذيب تاريخ دمشق ج١٠ ص١٦٦ وعن الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٢ ص٧٩. وفي (ط دار صادر) ج١ ص٣١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٠ ص٣٠٦.

قال: «فهلا سلمتم»؟

فقاموا قياماً، فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

فقال: «وعليكم السلام، اجلسوا».

فجلسوا، وسألوا رسول الله «عليه السلام» عن أوقات الصلاة، فأخبرهم بها(١).

ونقول:

قد يقال: إننا لا نرى مبرراً لعدم مبادرة هذا الوفد إلى السلام على رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا عدم معرفتهم بتحية الإسلام، وخوفهم من أن تكون تحية الجاهلية مرفوضة، فآثروا السكوت.

ولكن هذا التبرير لا يكفي لتفسير فعلهم هذا، فإنهم حين عاتبهم النبي «صلى الله عليه وآله» لم يعتذروا له بجهلهم بتحية الإسلام، ولا سألوا غيره عن كيفية تحية أهل الإسلام..

إلا أن يدَّعى: أنهم توهموا أن تكون تحية الإسلام بالسلام قد استبدلت بسواها.. أو أنهم ظنوا: أنهم سيتعرضون لسوء، أو أن ذلك كان سوء أدب، وجهلاً منهم.. وكلها احتمالات ليس لها ما يؤيدها.

غير أن مما لا شك فيه: أنه لم تكن لديهم أية نوايا سيئة، كما أظهره تصرفهم بعد مطالبة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم بذلك.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٤٣ و٣٥٢ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٤٨ والبداية والنهاية ج٥ ص١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٨١.

وفود بني سحيم:

عن أبي عبيدة: أن الأسود بن سلمة قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في وفد بني سحيم، فأسلم، فردهم إلى قومهم وأمرهم أن يدعوهم إلى الإسلام، وأعطاهم أداوة ماء قد تفل فيها، أو مج، وقال: «فلينضحوا بهذه الأداوة مسجدهم، وليرفعوا رؤوسهم» إذا رفعها الله تعالى، فما تبع مسيلمة منهم رجل، ولا خرج منهم خارجي قط[1].

ونقول:

إن الدعوة حين تأتي من خارج القبيلة تبقى هناك حالة من التراخي في مناصرتها، ولا تحظى بالحرص والإندفاع الذي تحظى به لو كانت نابعة من الداخل، ومن خلال الإحساس بضرورة تلك الدعوة، وبالحاجة لها..

كما أن ذلك يوفر لدى القبيلة مستوى من الإطمئنان، والإحساس بالأمن والسكينة معها، حيث لا يتوجس أحد من أهل القبيلة أي نوع من الخوف من تسريب ثمراتها ومنافعها، أو تسريب جزء منها إلى خارج القبيلة.

وكل ذلك يوضح لنا السبب في إرسال النبي «صلى الله عليه وآله» أبناء القبائل لدعوة قومهم وقبائلهم..

وفود بني سدوس:

عن عبد الله بن الأسود قال: كنا عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» في

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٤٢ عن الرشاطي. والإصابة ج١ ص٢٥٧.

وفد بني سدوس، فأهدينا له تمراً، فنثرناه إليه على نطع، فأخذ حفنة من التمر، فقال: «أي تمر هذا»؟

فجعلنا نسمي حتى ذكرنا تمراً، فقلنا: هذا الجذامي، فقال: «بارك الله في الجذامي، وفي حديقة يخرج هذا منها، أو جنة خرج هذا منها»(١).

ونقول:

لا شك في أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان عارفاً بالتمر الذي كان يسألهم عنه، وقد ذكر لوفد آخر جميع أنواع التمر حتى أدركوا أنه أعرف بأنواع التمر ممن عاش في بلاد هجر، ولكن سؤاله هذا يؤكد لهم بشريته، ويدفع عنهم الأوهام التي ربما تكون قد علقت في أوهامهم، من خلال ما سمعوه من شياطين أهل الشرك، والكفر: من أن الرسول «صلى الله عليه وآله» لابد أن يكون مَلَكاً، أو ما إلى ذلك..

ثم هو يزيل حزازة ربما تكون قد نشأت عن تداعي المعاني، بصورة قهرية، حيث يستذكر الإنسان مرض الجذام الذي تنفر منه النفوس، وتقشعر له الأبدان، فإذا عرَّفهم بقيمة هذا التمر، وبأن الحديقة التي يخرج منها، أو الجنة التي خرج منها مباركة، فإن الرغبة به ستتضاعف، والرضا به سوف يتنامى ويتأكد.

على أن من الواضح: أن نفس هذا الثناء على هذا النوع من التمر يشير إلى

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٤٣ عن البزار، وقال في هامشه: ذكره الهيثمي في المجمع ج٥ ص٤٣ وعزاه للبزار، والطبراني بنحوه، وقال: وفيه جماعة لم يعرفهم العلائي ولم أعرفهم. وكنز العمال ج١٢ ص٣٤٢ وج١٤ ص١٨٩.

معرفته «صلى الله عليه وآله» به، وإلى أن سؤاله عنه كان يهدف إلى استحضار المعنى، وتأكيد تصورهم له، والتفاتهم إلى ما يريد أن يقول لهم عنه..

وكيف لا يعرف «صلى الله عليه وآله» أنواع التمر، وهو يعيش في بلاد التمر، وهو من طعامه المفضل، ويتعامل مع الناس به..

وفد الجشمي، أو الجيشاني:

عن عمرو بن شعيب قال: قدم أبو وهب الجيشاني على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في نفر من قومه، فسألوه عن أشربة تكون باليمن.

قال: فسموا له البِتَعَ من العسل، والمِزْر من الشعير.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هل تسكرون منها»؟

قالوا: إن أكثرنا سكرنا.

قال: «فحرام قليل ما أسكر كثيره».

وسألوه عن الرجل يتخذ الشراب، فيسقيه عماله.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كل مسكر حرام»[1].

والبِتع: شراب يتخذ من العسل.

والمِزْر: نبيذ الشعير والحنطة، والحبوب.

ويلاحظ هنا ما يلي:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١٨ وفي هامشه عن: الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٢ ص١٢١ و(ط دار صادر) ج١ ص٣٥٩ وراجع: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٤ ص٢١٦ عن سنيد، عن الأوزاعي.

الجيشاني أم الجشمي؟!:

إن أبا عمر ابن عبد البر قال عن أبي وهب الجيشاني: «لا أدري اهو الجشمي أم لا. وقال فيه: الجيشاني كما ترى. والصواب عندهم الجشمي..

إلى أن قال: وأما أبو وهب الجيشاني فرجل من التابعين، من أهل مصر الخ..»[1].

سؤال النبي ﷺ عن البتع:

إنه لا شك في: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعرف معاني الألفاظ التي كان يخاطب بها. في الوقت الذي كان يكلم كل أهل لسان بلسانهم، بل كان يعرف لغة الطير وسائر المخلوقات، ولكن إذا كان لبعض المفردات معانٍ مختلفة، أو مصاديق متفاوتة، فلابد من استنطاق من يخاطبه عن المعنى الذي يقصده منها ليتم تحديده بدقة، خاصة إذا اختلفت أحكام تلك المعاني باختلافها، لكي لا تساء الإستفادة من إطلاق الجواب، وتسجيل الحكم على موضوع غائم، أو مطاط، ينتهي بالناس إلى الخطأ في فهم مرادات النبي «صلى الله عليه وآله»، وبالتالي الخروج على الثوابت الشرعية، أو الإيمانية، أو غيرها مما يتعرض له النص.

ومن المعلوم: أن المياه في كثير من المناطق العربية كانت وشلة غير صالحة للشرب، فكانوا يحاولون تحليتها وتغيير طعمها بتمر أو عسل، أو

---

(١) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٤ ص٢١٦ و الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٤ ص١٧٧٥ وأسد الغابة ج٥ ص٣٢٢.

غير ذلك. فمنها ما كان يتخمر حتى يصبح مسكراً، ومنها ما كانوا يشربونه بمجرد وضعها فيه وهذا معناه: أن بعض الأنبذة حرام. وهو خصوص ما يتخمر، ويصنَّع، ليصبح مسكراً.. وبعضها حلال وهو ما كان يحلى بالعسل أو غيره ويشرب مباشرة، من دون أن يعرِّضوه للتصنيع والتخمير.

ولذلك كان لابد من تحديد معنى البِتَع، حتى لا يظن ظان: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أحل لهم ما يكون منه مسكراً.

وفود بهراء:

عن كريمة بنت المقداد قالت: سمعت أمي ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب تقول: قدم وفد بهراء من اليمن على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً. فأقبلوا يقودون رواحلهم، حتى انتهوا إلى باب المقداد بن عمرو، ونحن في منازلنا ببني حديلة (بطن من الأنصار).

فخرج إليهم المقداد، فرحب، وأنزلهم، وقدم لهم جفنة من حَيس[1].

قالت ضباعة: كنّا قد هيأناها قبل أن يحلّوا لنجلس عليها، فحملها المقداد وكان كريماً على الطعام. فأكلوا منها حتى نهلوا، وردت إلينا القصعة وفيها شيء، فجمع في قصعة صغيرة، ثم بعثنا بها مع سدرة مولاتي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فوجدته في بيت أم سلمة.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «ضباعة أرسلت بهذا»؟

قالت سدرة: نعم يا رسول الله.

---

(١) الحَيس: تمر يعجن بسمن وأقط.

قال: «ضعي».

ثم قال: «ما فعل ضيف أبي معبد»؟

قلت: عندنا. فأصاب منها رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو ومن معه في البيت حتى نهلوا، وأكلت معهم سدرة.

ثم قال: «اذهبي بما بقي إلى ضيفكم».

قالت سدرة: فرجعت بالقصعة إلى مولاتي. قالت: فأكل منها الضيف ما أقاموا. فرددها عليهم وما تغيض، حتى جعل الضيف يقولون: يا أبا معبد، إنك لتنهلنا من أحب الطعام إلينا، وما كنا نقدر على مثل هذا إلا في الحين.

وقد ذكر لنا: أن بلادكم قليلة الطعام، إنما هو العُلْق أو نحوه، ونحن عندكم في الشبع.

فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه أكل منها وردها، وهذه بركة أصابعه «صلى الله عليه وآله».

فجعل القوم يقولون: نشهد أنه رسول الله، وازدادوا يقيناً، وذلك الذي أراد «صلى الله عليه وآله».

فأتوه، فأسلموا، وتعلموا الفرائض، وأقاموا أياماً. ثم جاؤوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يودعونه، فأمر لهم بجوائز، وانصرفوا إلى أهليهم[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٨٤ عن الواقدي، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص٢١٣ و ٢١٤. وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٠٨.

ونقول:

١ ـ إن ما فعله المقداد لم يكن مجرد كرم وسخاء، بل هو إيثار تعلمه من مدرسة الإيمان والقرآن، فجزاه الله خيراً، ورضي الله عنه وأرضاه.

٢ ـ قد أشارت الرواية إلى: أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يظهر لهؤلاء الوافدين الكرامة الإلهية، لكي يلمسوها بأنفسهم، ليسهل عليهم أمر الإيمان بالغيب، وبالرعاية الإلهية، فإن الكثيرين من أهل بلاد العرب ومن غيرها في مختلف الدهور، وعلى مر العصور ليسوا قادرين على محاكمة الأمور بطريقة عقلية وعلمية صحيحة، بسبب محدودية معارفهم التي تستفيد منها عقولهم في الوصول إلى النتائج الصحيحة والواضحة، فلا يكفي أن يقرأ عليهم القرآن ليدركوا إعجازه، ويؤمنوا بالله وبرسوله، بل هم يحتاجون إلى ما هو أيسر من ذلك، وأقرب إلى الحس.

ومن الواضح: أن أقرب الأشياء على تفكيرهم، وأشدها لصوقاً بأحاسيسهم، هي تلك التي يشعرون بها من خلال حاجة الجسد، ودعوته لهم لتلبيتها بما يثيره فيهم من الشعور بالخطر على الحياة، أو التماس اللذة، أو سد الحاجة وليس ذلك إلا ما يتصل بالطعام والشراب، الذي به قوام الجسد، وحفظ الوجود.

فإذا جاءت المعجزة لتلبي لهم هذه الحاجة بالذات، فإن التفاعل معها، وإدراك قيمتها لابد أن يعطي الإيمان الناشئ عنها عمقاً ورسوخاً في الروح، وتجذراً في الوجدان قد يتجاوز في مداه وفي قدرته ما تعطيه المعادلات الفكرية، والبراهين العقلية.

وهذا يؤكد لنا قيمة ما ورد في النص المذكور، «فجعل القوم يقولون:

نشهد أنه رسول الله، وازدادوا يقيناً، وذلك الذي أراد «صلى الله عليه وآله»، فأتوه وأسلموا، وتعلموا الفرائض الخ..».

وفود بارق:

قال ابن سعد: قدم وفد بارق على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدعاهم إلى الإسلام، فأسلموا، وبايعوا، وكتب لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هذا كتاب من محمد رسول الله لبارق. لا تُجذ ثمارهم، ولا تُرعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلَّا بمسألة من بارق، ومن مر بهم من المسلمين في عَرك أو جَدب فله ضيافة ثلاثة أيام، وإذا أينعت ثمارهم فلابن السبيل اللقاط، بوسع بطنه من غير أن يقتثم» شهد أبو عبيدة بن الجراح، وحذيفة بن اليمان، وكتب أُبي بن كعب[1].

ونقول:

بنو بارق بطن من خزاعة. وقال السمعاني: نسبوا إلى بارق، جبل ينزله الأزد ـ فيما أظنه ـ ببلاد اليمن.

وجذ الثمار: قطعها. أي ليس لأحد قطع ثمارهم، ورعي بلادهم، لا في المربع. أي في مكان نزولهم في الربيع، ولا في المصيف. أي مكان نزولهم في الصيف.

والعرك: الخصب.

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧٧ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٣٥ و٨١ وفي (ط دار صادر) ج١ ص٢٨٦ ورسالات نبوية ص١١٦ ومجموعة الوثائق السياسية ص٢٤١.

اشتراط ضيافة المسلمين:

كان النبي «صلى الله عليه وآله» يشترط ضيافة جيوش المسلمين في الكتب التي كان يكتبها لوفود قبائل العرب. وقد يكون سبب ذلك أموراً مجتمعة أو متفرقة.. مثل:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يخفف عن تلك الجيوش التي تجوب البلاد طولاً وعرضاً، فلا تكلف بحمل زادها، الذي يحتاج إلى المزيد من الإبل، وإلى جهد، وتعب، وإلى تفرغ فريق يتولى هذه المهمة.. وإلى.. وإلى..

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» يريد من تلك القبائل أن تشارك في الجهد والجهاد، وتضحي من أجل هذا الدين، وتترسخ محبتها للمجاهدين، الذين يحملون دماءهم على أكفهم، ويبذلون مهجهم من أجل ان يعيش الناس كلهم بما فيهم تلك القبائل بأمن وسلام.

كما أن جهاد هؤلاء المجاهدين لابد أن يثمر لأهل الإيمان كلهم عزة وكرامة، وشوكة، ورفعة شأن..

٣ ـ إن هذه التضحيات منهم في سبيل إخوانهم من شأنها أن ترسخ علاقة الأخوة في المجتمع الإسلامي، وتزيل من القلوب أنواعاً من المشاحنات، والأحقاد، وربما حالات الحسد، وما إلى ذلك.. ولا بد من أن يحقق ذلك انسجاماً أعمق، وعلاقات أوثق. تساعد على نقل المعارف والثقافات، والتجارب من قبيلة إلى قبيلة، ومن فريق إلى فريق.

وفود عمرو بن معدي كرب الزبيدي

قالوا: قدم عمرو بن معدي كرب في أناس من بني زبيد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأسلم، وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي ـ وهو ابن أخته ـ: يا قيس، إنك سيد قومك، وقد ذكر لنا: أن رجلاً من قريش يقال له: محمد، قد خرج بالحجاز يقول: إنه نبي، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفى عنك، إذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه.

فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه، فركب عمرو بن معدي كرب حتى قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأسلم وصدقه وآمن به. فلما بلغ ذلك قيساً أوعد عمرواً (وتحطم عليه وقال: خالفني وترك رأيي).

فقال عمرو في ذلك شعراً أوله:

أمرتك يوم ذي صنعاء ... أمراً بادياً رشده

قال ابن إسحاق: فأقام عمرو بن معدي كرب في قومه من بني زبيد وعليهم فروة بن مسيك، فلما توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» ارتد عمرو.

قال ابن سعد: ثم رجع إلى الإسلام، وأبلى يوم القادسية وغيرها[1].

ونقول:

إن هذه الحكاية موضع شك:

أولاً: قال الخطيب عن عمرو: قيل: لم يلق رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٨٦ والإصابة ج٣ ص١٨ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج١ ص٣٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٦ ص٣٧٢.

وآله»، وإنما قدم المدينة بعد وفاته[1].

ثانياً: أننا قد ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وجه علياً «عليه السلام»، وخالد بن سعيد إلى اليمن، فأسرا جماعة من بني زبيد قوم عمرو بن معد يكرب، فقال عمرو: دعوني آتي هؤلاء القوم، فإني لم اسمَّ لأحد قط إلا هابني، فلما دنا منهما وعرفهما بنفسه، ابتدراه كل منهما يقول: خلني وإياه.

فقال عمرو: العرب تُفَزَّع بي، وأراني لهؤلاء جزراً، فانصرف[2].

وفي نص آخر: أن خالد بن سعيد سبى قوم عمرو، ثم كلمه عمرو فيهم، فوهبهم له، فوهبه عمرو سيفه، ومدحه في شعره[3].

فإن كان عمرو بن معدي كرب قد وفد مع بعض بني زبيد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأسلم على يديه، فإنما كان ذلك بعد قصته مع أمير المؤمنين، ومع خالد بن سعيد بن العاص.. ولا يصح قوله لقيس بن مكشوح: قد ذكر لنا: أن رجلاً من قريش يقال له: محمد، قد خرج بالحجاز الخ..

بل قد يكون ثمة رغبة في إعطاء عمرو بن معدي يكرب وسام الصحبة مكافأةً له على مشاركته في الحروب في عهد عمر بن الخطاب، ومنها حرب القادسية.

---

(١) الإصابة ج٣ ص١٨ عن المتفق والمفترق للخطيب وج٤ ص٥٦٩.

(٢) ذكرنا مصادر ذلك في موضعه من السرايا، وراجع: الإصابة ج٣ ص١٨ عن مناقب الشافعي لابن شاكر.

(٣) تقدمت مصادر ذلك، وراجع: الإصابة ج٣ ص١٨ عن ابن أبي شيبة

وفود طارق بن عبد الله:

عن طارق بن عبد الله قال: «إني لقائم» بسوق ذي المجاز إذ أقبل رجل عليه جبة له، وهو يقول: أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ورجل يتبعه، يرميه بالحجارة يقول: أيها الناس، إنه كذاب، فلا تصدقوه.

فقلت: من هذا؟

فقالوا: هذا غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله.

قال: فقلت: من ذا الذي يفعل به هذا؟

قالوا: عمه عبد العزى.

قال: فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الربذة نريد المدينة، نمتار من تمرها. فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا: لو نزلنا فلبسنا ثياباً غير هذه، فإذا رجل في طمرين له، فسلم وقال: من أين أقبل القوم؟

قلنا: من الربذة.

قال: وأين تريدون؟

قلنا: نريد المدينة.

قال: ما حاجتكم فيها؟

قلنا: نمتار من تمرها.

قال: ومعنا ظعينة لنا، ومعنا جمل أحمر مخطوم، فقال: أتبيعوني جملكم هذا؟

قالوا: نعم، بكذا وكذا صاعاً من تمر.

قال: فما استوفينا مما قلنا شيئاً حتى أخذ بخطام الجمل وانطلق به، فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها، قلنا: ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف، ولا أخذنا له ثمناً.

فقالت المرأة التي معنا: لا تلاوموا، فلقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم، والله لقد رأيت رجلاً كأن وجهه شقة القمر ليلة البدر، أنا ضامنة لثمن جملكم.

إذ أقبل رجل فقال: أنا رسول رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليكم، هذا تمركم، فكلوا واشبعوا، واكتالوا واستوفوا.

فأكلنا حتى شبعنا، واكتلنا واستوفينا، ثم دخلنا المدينة، فلما دخلنا المسجد فإذا هو قائم على المنبر يخطب الناس، فأدركنا من خطبته وهو يقول: «تصدقوا، فإن الصدقة خير لكم، اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول: أمك وأباك، وأختك وأخاك، وأدناك أدناك».

فأقبل رجل في نفر من بني يربوع، أو قام رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، إن لنا في هؤلاء دماً في الجاهلية.

فقال: «لا تجني أم على ولد» ثلاث مرات[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٥٧ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٩٩ ـ ٢٠٢ عن البيهقي، والحاكم وذكره الهيثمي في المجمع ج٦ ص٢٥ وعزاه للطبراني وقال فيه: أبو حباب الكلبي وهو مدلِّس وقد وثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح. وتغليق التعليق لابن حجر ج٣ ص٢٣٨ وراجع: كنز العمال ج٦ ص٣٨١ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٧ ص١٦٩ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٨٩٠ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٦١٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٢١ والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص٢٤٣ والمفاريد عن رسول الله (ص) لأبي يعلى الموصلي ص١٠٩ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٥١٩ وإمتاع الأسماع ج٨ ص٣١٥ وسيرة ابن إسحاق ج٤ ص٢١٦.

ونقول:

إننا نشك في هذه المزاعم، وذلك لما يلي:

أولاً: إن النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» لم يكن ليخرج وحده إلى خارج المدينة، يتجاوز حيطانها (أي بساتينها) ونخلها دونما سبب يدعوه إلى إيثار هذه الوحدة..

ثانياً: إنه لا يأخذ منهم الجمل بطريقة غير مألوفة، وكأنه يقتنصه منهم اقتناصاً، بخطامه، وانطلق به دون أن يدفع لهم من ثمنه شيئاً، بل دون أن يفاوضهم على زمان الدفع ومكانه..

فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يقدم على مخالفة حكم الشريعة، حتى لو على سبيل الإحتمال، إذ لعلهم لا يرضون بأخذ الجمل منهم دون أن يدفع ثمنه، لا سيما وأنهم لا يعرفون شيئاً عن المشتري.

ثالثاً: ما معنى أن تدرك المرأة صفات وميزات ذلك المشتري، وتلاحظ: أن وجهه كأنه شقة قمر، وأن وجهه وجه من لا يغدر بالناس. ولا يدرك الآخرون من الرجال الحاضرين ذلك؟!

رابعاً: إذا كان طارق قد رأى النبي «صلى الله عليه وآله» بذي المجاز، فلابد أن يعرفه حين التقى به خارج المدينة، حتى لو فصل بين رؤيته الأولى، والثانية حوالي عشر سنوات، فإن الملامح لا تتغير في هذا السن بصورة كبيرة، ولعل التعبير عن النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه غلام قد يكون هدفه التغرير بالناس وإيهامهم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان صغير السن وقد تغيرت ملامحه، فلم يعرفه طارق لأجل ذلك..

وقد فاته: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أصبح رسولاً وهو في سن

الأربعين، وأن كلمة غلام تطلق على الشاب وعلى الشيخ، فراجع.

وفود عنزة:

عن سلمة بن سعد: أنه وفد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو وجماعة من أهل بيته وولده، فاستأذنوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدخلوا، فقال: «من هؤلاء»؟

فقيل له: هذا وفد عنزة.

فقال: «بخٍ بخٍ بخٍ بخٍ» ـ أربعاً ـ «نِعمَ الحي عنزة، مبغي عليهم منصورون، مرحباً بقوم شعيب، وأختان موسى، سل يا سلمة عن حاجتك».

قال: جئت أسألك عما افترضت علي في الإبل والغنم.

فأخبره، ثم جلس عنده قريباً، ثم استأذنه في الإنصراف. فما عدا أن قام لينصرف، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم ارزق عنزة كفافاً، لا فوت ولا إسراف»[1].

ونقول:

١ ـ إننالا نستطيع أن نؤكد أو أن ننفي وصدور هذه الكلمات عن النبي «صلى الله عليه وآله»، فقد قلنا: إن ما يرتبط بمدح القبائل والبلدان يبقى في موقع التهمة، حتى تظهر الدلائل التي تؤكده أو تنفيه ..

ثم إن الناس بشر يخطئون ويصيبون، ويطيعون ويعصون ويقعون تحت

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٨٨ عن مجمع الزوائد ج١٠ ص٥٤ عن الطبراني، والبزار، والإصابة ج٢ ص٦٥ عن الطبراني، وابن قانع. والمعجم الكبير للطبراني ج٧ ص٥٥ وكنز العمال ج١٢ ص٦٥.

تأثير الأهواء ووساوس الشيطان..

٢ ـ لم يظهر لي وجه تخصيص عنزة بهذا الترحيب والثناء، ولم أعرف من الباغي على عنزة، الذي ينصرون عليه، ومتى كان ذلك.. ولماذا كانوا قوم شعيب، وأختان موسى «عليه السلام»..

٣ ـ إن القادمين على رسول الله «صلى الله عليه وآله» هم: سلمة وأهل بيته وولده، وهم أهل بيت واحد، فأين كان سائر رجال قبيلة عنزة، فلماذا لم يفد منهم أحد؟!

وفود بني سعد هذيم:

روى محمد بن عمر الأسلمي، عن ابن النعمان، عن أبيه قال: قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وافداً في نفر من قومي، وقد أوطأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» البلاد غلبة، وأذاخ(١) العرب.

والناس صنفان: إما داخل في الإسلام راغب فيه، وإما خائف من السيف، فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا إلى بابه، فنجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلي على جنازة في المسجد، فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم، وقلنا: حتى نلقى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ونبايعه.

ثم انصرف «صلى الله عليه وآله»، فنظر إلينا فدعا بنا فقال: «ممن أنتم»؟

قلنا: من بني سعد هذيم.

---

(١) لعل الصحيح: أذاح العرب. أي فرقهم وبددهم.

فقال: «أمسلمون أنتم»؟

قلنا: نعم.

قال: «فهلا صليتم على أخيكم»؟

قلنا: يا رسول الله، ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «أينما أسلمتم، فأنتم مسلمون».

قال: فأسلمنا وبايعنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأيدينا على الإسلام، ثم انصرفنا إلى رحالنا وقد كنا خلَّفنا عليها أصغرنا.

فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» في طلبنا، فأتي بنا إليه، فتقدم صاحبنا فبايعه على الإسلام، فقلنا: يا رسول الله، إنه أصغرنا وإنه خادمنا.

فقال: «أصغر القوم خادمهم، بارك الله عليه».

قال: فكان والله خيرنا، وأقرأنا للقرآن، لدعاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» له، ثم أمَّره رسول الله «صلى الله عليه وآله» علينا، فكان يؤمنا.

ولما أردنا الإنصراف أمر بلالاً فأجازنا بأواقي من فضة لكل رجل منا، فرجعنا إلى قومنا، فرزقهم الله عز وجل الإسلام[1].

أول جنازة صلى عليها رسول الله ﷺ:

قال في النور: يحتمل أن صاحب الجنازة سهيل بن بيضاء، فإن قدوم هذا الوفد كان في سنة تسع، وسهيل توفي فيها في مقدمه من تبوك، ولا

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٤٣ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص٢٠٤ ـ ٢٠٦ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٠٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٦٧.

أعلمه صلى في جنازة في المسجد إلا عليه.

ووقع في صحيح مسلم: أنه صلى على سهيل وأخيه في المسجد.

ففيه: أنه إن كان المراد به سهلاً فلا يصح، لأنه مات بعد النبي «صلى الله عليه وآله» كما قاله محمد بن عمر [الواقدي].

وكونه صفواناً فيه نظر أيضاً، لأنه استشهد ببدر.

والصواب: حديث عبادة في مسلم الذي فيه إفراد سهيل لا الحديث الذي بعده.

هذا في المسجد النبوي. وقد صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مسجد بني معاوية على أبي الربيع عبيد الله بن عبد الله بن ثابت بن قيس، وكان قد شهد أُحداً[1].

غير أننا نقول:

إن الذين يعيشون في المدينة من المسلمين كانوا كثيرين ويعدون بالمئات، بل قيل: يعدون بالألوف، فهل كان «صلى الله عليه وآله» يقصد بيوت من يموت منهم ليصلي على جنائزهم فيها؟ أم أنه كان يصلي عليها بالبقيع، أو في ساحات أخرى من المدينة؟! أم كانوا يأتون بجنائزهم إليه، ليصلي عليها في المسجد؟! أم أنه لم يمت أحد في المدينة طيلة تلك السنوات منذ الهجرة؟! أم أن الناس كانوا يصلون على جنائزهم بأنفسهم من دون الرجوع إلى النبي «صلى الله عليه وآله» لذلك؟!

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٤٤ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص٢٠٥ وحواشي الشرواني ج ٣ ص١٩٠.

وفي جميع الأحوال نقول:

إن عدم نقل ذلك لا يدل على عدم وجوده، ولا يستحق أن يشغل الناس بأمور كهذه.

الخوف من السيف:

قد ذكر النص المتقدم: أن الناس صنفان: إما خائف من السيف، أو داخل في الإسلام. وهذا كلام غير دقيق. فإن الإسلام لم يزل يعلن للناس أنه: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1].

﴿فَمَنْ شَاء فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾[2].

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾[3].

وآيات كثيرة أخرى..

فالخائفون من السيف هم خصوص أولئك الذين يريدون أن يكونوا جبارين في الأرض، ويواجهون النبي «صلى الله عليه وآله» بالحرب، لمنعه من إبلاغ دعوته، ومنع من تبلغهم الدعوة من ممارسة حقهم في اختيار هذا الدين، والإيمان به، حتى أنهم يعاقبون من يفعل ذلك بالقتل، وبالتعذيب، وبالمقاطعة بجميع أنواعها وبكل ما يقع تحت اختيارهم.

---

(١) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢٩ من سورة التوبة.

(٣) الآية ٢٧٢ من سورة البقرة.

أصغر القوم خادمهم:

وأما حديث أصغر القوم خادمهم، فنحن نشك في صحته لا سيما وأن الخادم للقوم هو الذي يقدر على خدمتهم، والقيام بحوائجهم، والأصغر قد لا يكون كذلك في أحيان كثيرة..

والمروي عن النبي «صلى الله عليه وآله»: «سيد القوم خادمهم»[1]. وهذا الحديث، وإن حاول بعض أهل السنة تضعيفه سنداً[2]، ولكنه يبقى هو المناسب لطبيعة الأمور، فإن سيد القوم يكون بحسب العادة قادراً على قضاء حوائج الناس وتقديم الخدمات لهم، إما مباشرة أو من خلال ما لديه من نفوذ ومكانة تجعل كلمته مسموعة، وتجعله قادراً على استخدام وسائل مختلفة..

وفود أسلم:

قال ابن سعد: قدم عُمير بن أفصى في عصابة من أسلم، فقالوا: «قد آمنا بالله ورسوله، واتبعنا منهاجك، فاجعل لنا عندك منزلة تعرف العرب

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٣٧٨ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٢٥١ والبحار ج٧٣ ص٢٧٣ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٥٩ و ٢٩٠ والجهاد لعبد الله بن المبارك ص١٧٧ والجامع الصغير للسيوطي ج٢ ص٥٩ وكنز العمال ج٦ ص٧١٠ وج٩ ص٤٠ وفيض القدير للمناوي ج٤ ص١٦١وكشف الخفاء للعجلوني ج١ ص٤٦٢ و ٤٦٣ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٢٠٩ وتاريخ بغداد ج١٠ ص١٨٥ وشرح السير الكبير للسرخسي ج١ ص٣٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٣ ص٣١٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٠٢ والسيرة الحلبية ج١ ص١٠٩ وج٣ ص٢٦٧.

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ج١ ص٤٦٣.

فضيلتها، فإنا إخوة الأنصار، ولك علينا الوفاء والنصر في الشدة والرخاء».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها».

وكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً لأسلم، ومَن أسلم من قبائل العرب، ممن يسكن السيف[1] والسهل، وفيه ذكر الصدقة والفرائض في المواشي. وكتب الصحيفة ثابت بن قيس بن شماس. وشهد أبو عبيدة بن الجراح، وعمر بن الخطاب[2].

ونقول:

إننا لا نطمئن إلى صحة ما تقدم، فلاحظ ما يلي:

الثناء على أسلم وغفار:

وأول ما نذكره هنا هذا الثناء على قبيلتي أسلم وغفار، من دون أي مبرر ظاهر، مع أن هاتين القبيلتين بالإضافة إلى جهينة ومزينة هم المعنيون بالآية: **﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾**[3]. كما قاله عكرمة[4].

وقد تحدثنا عن هذا الأمر في بعض أجزاء هذا الكتاب فراجع.

---

(١) أي سيف البحر.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧٠ عن ابن سعد والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٥٤ وهو عند البخاري ج٢ ص٣٢ ومسلم ج٤ ص١٩٢٢ وراجع الإصابة ج٣ ص٢٩.

(٣) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

(٤) الدر المنثور ج٣ ص٢٧١ عن ابن المنذر. وفتح القدير ج٢ ص٤٠١.

ولعل سبب هذا الثناء على قبيلة أسلم هو أنها هي التي كانت قد احتلت المدينة، ومكنت لأبي بكر من غصب الخلافة من الوصي والولي المنصوب من قِبَلِ الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» في يوم الغدير بأمر من الله تعالى، ولم يزل النص عليه بالإمامة والخلافة يتوالى منه «صلى الله عليه وآله» طيلة أكثر من عشرين سنة. ولعلنا نشير إلى ما فعلته أسلم في التمكين لأبي بكر إن شاء الله تعالى[1].

أسلم إخوة الأنصار:

ثم إننا لم نستطع أن نفهم السبب في أنهم اعتبروا أنفسهم أخوة الأنصار.. فإن كان المقصود هو الأخوّة في الإيمان، فإن هذا لا يجعل لهم امتيازاً على من سواهم من سائر المسلمين، لكي يطالبوا النبي «صلى الله عليه وآله» بتمييزهم على من عداهم، كما أنه لا يبرر تخصيصهم للأنصار بالأخوة، فهم إخوة للمهاجرين أيضاً.

وإن كان المقصود هو: أخوة خاصة، فإن التاريخ لا يثبت لهم شيئاً من ذلك.

طلب المنزلة الخاصة:

على أن طلبهم أن يكون لهم منزلة خاصة عند رسول الله «صلى الله

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك (بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم) ج٣ ص٢٢٢ وتلخيص الشافي ج٣ ص٦٦ والبحار ج٢٨ ص٣٢٦ والكامل في التاريخ ج٣ ص٣٢٦ و ٣٣١ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٤٠ والجمل للمفيد ص١١٩.

عليه وآله» يدل دلالة تكاد تكون واضحة على حب هؤلاء للدنيا، وعلى أن لهم تعلقاً خاصاً بها..

وذلك يقتضي أن يبادر «صلى الله عليه وآله» إلى معالجة هذا الأمر فيهم.. إذ إنهم لم يفعلوا بعد أي شيء يستحقون به تلك المنزلة، سوى أنهم قد آمنوا بالله ورسوله، وهذا ما يفعله سائر الناس، وقد سبقهم إليه غيرهم.

وفد بني هلال:

قالوا: وقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفر من بني هلال، فيهم عبد عوف بن أصرم بن عمرو، فسأله عن اسمه، فأخبره.

فقال: «أنت عبد الله»، فأسلم.

ومنهم قبيصة بن المخارق قال: يا رسول الله، إني حملت عن قومي حمالة، فأعنّي فيها.

قال: «هي لك في الصدقة إذا جاءت»[1].

وروى مسلم عن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة، فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» أسأله فيها، فقال: «أقم حتى تأتينا الصدقة، فنأمر لك بها».

قال: ثم قال: «يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢٥ وفي هامشه عن: الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٢ ص٧٤ وراجع: الإصابة ج١ ص٥٥٨ والمعجم الصغير للطبراني ج١ ص ١٨٠.

اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش ـ أو قال سداداً من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجى من قومه (فيقولون) لقد أصابت فلاناً فاقة، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش ـ أو قال: سداداً من عيش ـ فما سواهن [من المسألة] يا قبيصة سحتاً يأكلها صاحبها سحتاً»[1].

ونقول:

لماذا غضب النبي ﷺ؟!:

زعمت الرواية المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» غضب حين رأى زياد بن الحارث عند ميمونة، ورجع، فلما أخبرته ميمونة بأنه ابن أختها عاد فدخل إليها.

وهذا كلام يشك في صحته:

أولاً: لأن المفروض أنه: لا بد للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يحسن الظن بميمونة، فإنها مسلمة يحمل فعلها على الصحة، ومع شكه في الأمر، فلماذا غضب، ثم بادر لاتخاذ قرار بالرجوع، ورجع، قبل أن يتحقق من صحة ما ظنه، ولو بسؤال ميمونة عن ذلك الرجل الغريب..

ثانياً: لماذا لم يبادر «صلى الله عليه وآله» إلى طرد ذلك الرجل، بدلاً من أن يرجع؟! أو فقل: لماذا لم يسأله عن سبب دخوله إلى بيته؟!

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٠٣ وج٦ ص٤٢٥ وفي هامشه عن: مسلم، كتاب الزكاة (١٠٩) وأبي داود (١٦٤٠) والنسائي ج٥ ص٨٩.

وفود بني عقيل بن كعب:

قال أشياخ من بني عقيل: وفد منا من بني عقيل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ربيع بن معاوية بن خفاجة بن عمرو بن عقيل، ومطرف بن عبد الله بن الأعلم بن عمرو بن ربيعة بن عقيل، وأنس بن قيس بن المنتفق بن عامر بن عقيل، فبايعوا وأسلموا، وبايعوه على من وراءهم من قومهم، فأعطاهم النبي «صلى الله عليه وآله» العقيق، عقيق بني عقيل، وهي أرض فيها عيون ونخل، وكتب لهم بذلك كتاباً في أديم أحمر:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ربيعاً ومطرفاً وأنساً، أعطاهم العقيق، ما أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وسمعوا وأطاعوا». ولم يعطهم حقاً لمسلم [وكان الكتاب في يد مطرف][1].

ونقول:

بايعوا على من وراءهم:

إن بيعة بني عقيل على من وراءهم من قومهم لعلها كانت مستندةً إلى أن قومهم كانوا قد فوضوهم، والتزموا بما يقررونه في وفادتهم تلك، أو أنهم يثقون بقبول قومهم منهم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٨٤ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٢ ص٦٦ و ٦٧ والبداية والنهاية ج٥ ص١٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٧٤.

إقطاع أرض فيها عيون ونخل:

وقد ذكر آنفاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أعطى العقيق لبني عقيل، وهي أرض فيها عيون ونخل..

وقد ذكرنا حين الحديث عن إقطاعات رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن الظاهر هو أن المقصود بالنخيل أصولها، أو تلك التي تركها أهلها، وليس لها من يهتم بها..

وربما يكون بنو عقيل هم الأقرب أو الأقدر على إحيائها من غيرهم، بملاحظة ظروفهم وظروف غيرهم..

وعن تصريح في الكتاب بقوله: «ولم يعطهم حقاً لمسلم» نقول:

إن ذلك يقطع الطريق على أي احتمال ربما يتذرع به أهل الريب في هذا الإتجاه.

إقطاع مشروط:

وقد صرح الكتاب الذي كتبه لبني عقيل: بأن هذا الإقطاع مشروط بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والسمع والطاعة، فمتى لم يقوموا بهذه الشروط سقطت مالكيتهم..

وليس لأحد أن يعترض أو أن يناقش في هذا الإشتراط، فإن الأرض لله ولرسوله، وهو الذي يشرع، ويقرر، ويشترط.

وفود خولان:

قالوا: قدم وفد خولان (قبيلة في اليمن) وهم عشرة نفر في شعبان سنة

عشر، فقالوا: يا رسول الله، نحن مؤمنون بالله، ومصدقون برسوله، ونحن على من وراءنا من قومنا، وقد ضربنا إليك آباط الإبل، وركبنا حزون الأرض وسهولها، والمنة لله ولرسوله علينا، وقدمنا زائرين لك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أما ما ذكرتم من مسيركم إلي، فإن لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة. وأما قولكم زائرين لك، فإنه من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة».

فقالوا: يا رسول الله، هذا السفر الذي لا تَوىَ عليه (أي لا هلاك).

ثم قال «صلى الله عليه وآله»: «ما فعل عم أنس»؟ وهو صنم خولان الذي كانوا يعبدِونه.

قالوا: بِشَرٍّ وعَرٍّ، أبدلنا الله به ما جئت به، ولو قد رجعنا إليه لهدمناه، وبقيت منا بعد بقايا من شيخ كبير، وعجوز كبيرة متمسكون به، ولو قد قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله تعالى، فقد كنا منه في غرور وفتنة.

فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «وما أعظم ما رأيتم من فتنته»؟

قالوا: لقد رأيتنا وأسْنَتْنا حتى أكلنا الرمة، فجمعنا ما قدرنا عليه، وابتعنا مائة ثور ونحرناهم لعم أنس قرباناً في غداة واحدة، وتركناها تردها السباع، ونحن أحوج إليها من السباع، فجاءنا الغيث من ساعتنا، ولقد رأينا العشب يواري الرجل، فيقول قائلنا: أنعم علينا عم أنس.

وذكروا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ما كانوا يقسمون لصنمهم هذا من أنعامهم وحروثهم، وأنهم كانوا يجعلون من ذلك جزءاً له، وجزءاً لله بزعمهم. قالوا: كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه، فنسميه له، ونسمي

زرعاً أخر حجرة لله، فإذا مالت الريح فالذي سميناه لله جعلناه لعم أنس، وإذا مالت الريح فالذي سميناه لعم أنس جعلناه لله.

فذكر لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن الله عز وجل قد أنزل عليه في ذلك: ﴿وَجَعَلُوا للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا للهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ للهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1].

قالوا: وكنا نتحاكم إليه فنكَلم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «تلك الشياطين تكلمكم».

قالوا: إنّا أصبحنا يا رسول الله وقلوبنا تعرف أنه كان لا يضر ولا ينفع، ولا يدري من عبده ممن لم يعبده.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الحمد لله الذي هداكم وأكرمكم بمحمد».

وسألوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن أشياء من أمر دينهم، فجعل يخبرهم بها، وأمر من يعلمهم القرآن والسنن، وأمرهم بالوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وحسن الجوار، وألا يظلموا أحداً.

قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الظلم ظلمات يوم القيامة.

وأنزلوا دار رملة بنت الحدث، وأمر بضيافة، فأجريت عليهم، ثم جاؤوا بعد أيام يودعونه، فأمر لهم بجوائز باثنتي عشرة أوقية ونشاً، ورجعوا إلى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا عم أنس، وحرَّموا ما حرَّم

---

(١) الآية ١٣٦ من سورة الأنعام.

عليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأحلوا ما أحل لهم[1].

ونقول:

إننا لا نرى أن ثمة حاجة للتعليق على ما ذكر آنفاً، فإنه واضح قريب المأخذ. ولا نجد فيه ما يثير الريب والشك.

وفود تُجِيب، وهم من السكون:

وقدم وفد تُجِيب (وهم بطن من كندة) على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهم ثلاثة عشر رجلاً، وساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عز وجل، فسر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهم، وأكرم منزلهم. وقالوا: يا رسول الله، سقنا إليك حق الله في أموالنا.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «ردوها فاقسموها على فقرائكم».

قالوا: يا رسول الله، ما قدمنا عليك إلا بما فضل من فقرائنا.

فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما قدم علينا وفد من العرب بمثل ما وفد به هذا الحي من تجيب.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «إن الهدى بيد الله عز وجل، فمن أراد الله به خيراً شرح صدره للإيمان».

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٢٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٥ وعيون الأثر ج٢ ص٣١٢ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٣١ و ٣٣٢ وفي هامشه عن: البخاري ج٣ ص١٦٩ والترمذي (٢٠٣٠) ومسند أحمد ج٢ ص١٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٩٣.

وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص٢١٩ و ٢٢٠.

وسألوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أشياء فكتب لهم بها، وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن، فازداد رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيهم رغبة، وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم.

فأقاموا أياماً، ولم يطيلوا اللبث.

فقيل لهم: ما يعجلكم؟

قالوا: نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤيتنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكلامنا إياه. وما رد علينا.

ثم جاؤوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يودعونه، فأمر بلالاً فأجازهم بأرفع مما كان يجيز به الوفود، وقال: «هل بقي منكم أحد»؟

قالوا: غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سناً.

قال: «أرسلوه إلينا».

فلما رجعوا إلى رحالهم قالوا للغلام: انطلق إلى رسول الله، فاقض حاجتك منه، فإنا قد قضينا حوائجنا منه وودعناه.

فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، إني غلام من بني أبذى من الرهط الذين أتوك آنفاً، فقضيت حوائجهم، فاقض حاجتي يا رسول الله.

قال: «وما حاجتك»؟

قال: «يا رسول الله، إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي، وإن كانوا قد قدموا راغبين في الإسلام، وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم، وإني والله ما أعملني من بلادي إلا أن تسأل الله عز وجل أن يغفر لي، ويرحمني، وأن يجعل غناي في قلبي».

فقال «صلى الله عليه وآله»: «اللهم اغفر له وارحمه، واجعل غناه في قلبه».

ثم أمر به بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه.

فانطلقوا راجعين إلى أهليهم، ثم وافوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمنى سنة عشر، فقالوا: نحن بنو أبذى، فسألهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن الغلام، فقالوا: يا رسول الله، والله ما رأينا مثله قط، ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله. لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الحمد لله، إني لأرجو أن يموت جميعاً».

فقال رجل منهم: أوليس يموت الرجل جميعاً؟

فقال «صلى الله عليه وآله»: «تشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا، فلعل أجله يدركه في بعض تلك الأودية، فلا يبالي الله عز وجل في أيها هلك».

قالوا: فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزهده في الدنيا، وأقنعه بما رزقه الله.

فلما توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام، قام في قومه فذكرهم الله والإسلام، فلم يرجع منهم أحد. وجعل أبو بكر يذكره، ويسأل عنه حتى بلغه حاله، وما قام به. فكتب إلى زياد بن لبيد يوصيه به خيراً[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٨٥ و ٢٨٦ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني =

الإكتفاء الذاتي في عهد رسول الله ﷺ:

ونلاحظ أن النص المتقدم قد صرح: بأن تلك القبيلة قد استغنى فقراؤها حين أخذت الزكاة من أغنيائها ووزعت عليهم، وبقيت لديها أموال لم تجد لها مورداً تصرفها فيه، فحملتها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وذلك يشير إلى أن ما شرعه الإسلام في أمر الأموال يحقق العدالة الإجتماعية، ويكفي لاقتلاع جذور الفقر من بين البشر، فإن الكل يعلم أنه لا خصوصية لقبيلة تجيب السكونية في المجتمع العربي، فما يجري في هذه القبيلة وعليها يجري في غيرها، خصوصاً في الشأن المعيشي.

وقد ورد في بعض الأخبار ما يدل على أن الناس لو التزموا بأحكام الله وشرائعه، وعملوا بما فرضه الله في الأموال، وأخرجوا حق الله منها، وأوصلوه إلى أهله لم يبق في الدنيا فقير على الإطلاق، ومن هذه النصوص قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: «ما جاع فقير إلا بما متع به غني»[1].

= ج٥ ص٢٠٢ ـ ٢٠٤ عن الديلمي، واليعمري، وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص٩٣ ومكاتيب الرسول ج١ ص٢٤٥ عن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٦٠ وعن السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٣٢ وعن الطبقات الكبرى ج١ ق٢ ص٦٠ و ٦١ ورسالات نبوية ص٣٧ و ٣٨ ومعجم القبائل ج١ ص١١٦ وعيون الأثر ج٢ ص٣٠٢.

(١) نهج البلاغة ج٤ ص٧٨ الخطبة رقم (٣٢٨) ومستدرك الوسائل ج٧ ص٩ والغدير ج٨ ص٢٥٦ وشرح النهج للمعتزلي ج١٩ ص٢٤٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للريشهري ج٤ ص٣٠ و ٢٠٣ والبحار ج٩٣ ص٢٢ وروائع نهج البلاغة لجورج جرداق ص٢٣٣.

أو «ما جاع فقير إلا بما منع غني»[1].

وفي رواية عن أبي الحسن الأول «عليه السلام» يقول في آخرها بعد أن ذكر أصناف المستحقين وسهامهم: «فلم يبقى فقير من فقراء الناس، ولم يبق فقير من فقراء قرابة رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا وقد استغنى فلا فقير»[2].

حديث الرجل من بني أبذى:

وقد لفت نظرنا أيضاً: أنه برغم أهمية قصة ذلك الرجل الذي هو من بني أبذى، فإن الروايات المتقدمة قد عجزت عن ذكر اسمه لنا، مع انهم يذكرون لنا اسماء من ليس له أثر يستحق الذكر على الإطلاق. فلماذا كان ذلك؟! لا ندري!!

---

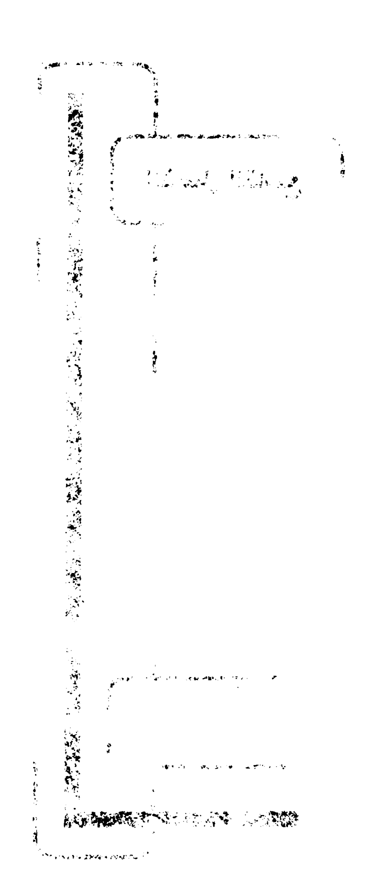
(١) البحار ج٩٣ ص٢٢ وروضة الواعظين للفتال النيسابوري ص٤٥٤ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٩ ص٢٩ و (ط دار الإسلامية) ج٦ ص١٦ ومشكاة الأنوار لعلي الطبرسي ص٢٢٨ وجامع أحاديث الشيعة ج٨ ص٣٦ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٢٩٤ وينابيع المودة ج٢ ص٢٤٩ والجامع للشرايع للحلي ص١٥٢ وعيون الحكم للواسطي ص١٥٣ ومشكاة الأنوار للطبرسي ص٢٢٨.

(٢) تهذيب الأحكام ج٤ ص١٣١ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٩ ص٥١٤ و (ط دار الإسلامية) ج٦ ص٣٥٩ عن أصول الكافي ج١ ص٥٤٢ وشرح أصول الكافي ج٧ ص٣٩٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٨ ص٦١ و٥٨٦ وذخيرة المعاد (ط.ق) للمحقق السبزواري ج١ ق٣ ص٤٨٦.



الفصل التاسع:

وفد نجران.. أحداث وتفاصيل



ماذا عن نجران؟!:

قالوا: «نجران: بلد كبير يقع على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن، يشتمل على ثلاث وسبعين قرية، مسيرة يوم للراكب السريع ـ كما في فتح الباري ـ والأخدود المذكور في القرآن قرية من قراها»[1].

وقالوا: إنه هو من مخاليف اليمن بالقرب من صنعاء، ما بين عدن وحضرموت[2].

وكل أهل نجران صنفين: نصارى وأميين؛ فأما النصارى فنحن نتحدث عنهم، وقد صالحهم. وأما الأميون منهم، فبعث إليهم خالد بن الوليد، فأسلموا، وقدم وفدهم على النبي «صلى الله عليه وآله»..[3].

كتاب دعوة.. ووفد استطلاع:

وكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أهل نجران قبل أن ينزل

---

(١) راجع: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٨٦ وراجع: السيرة النبوية لدحلان والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص٢١ ومعجم ما استعجم للأندلسي ج١ ص١٢١.

(٢) راجع: نهاية الإرب ص١٩ ومعجم البلدان ج٥ ص٢٦٦.

(٣) قد تقدم الحديث حول هذا الأمر في هذا الكتاب.

عليه: ﴿طس﴾[1]. ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[2] ما يلي:

«بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمد النبي «صلى الله عليه وآله» إلى أسقف نجران وأهل نجران، إن أسلمتم فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

أما بعد.. فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام»[3].

والظاهر: أن المبعوث إليه هذا الكتاب هو الأسقف أبو حارثة بن علقمة، فإنه كان هو الرأس فيهم.

فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه قُطِعَ به، وذعر ذعراً شديداً. فبعث إلى

---

(١) الآية ١ من سورة النمل.

(٢) الآية ٣٠ من سورة النمل.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٥ عن البيهقي، ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٨٩ عن المصادر التالية: البداية والنهاية ج٥ ص٥٣ عن البيهقي، وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٥ وفي (ط أخرى) ص٧٠ وصبح الأعشى ج٦ ص٣٦٧ وفي (ط أخرى) ص٣٨١ وفي (ط ثالثة) ص٣٨٨ وحياة الصحابة ج١ ص١١٨ ورسالات نبوية ص٦٠ ومآثر الإنافة ج٣ ص٢٣٧ وزاد المعاد ج٣ ص٣٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص٣٨٥ والدر المنثور ج٢ ص٣٨ عن الدلائل للبيهقي، وناسخ التواريخ سيرة النبي «صلى الله عليه وآله» ص٤٤٨ والبحار ج٢١ ص٢٨٥ عن السيوطي و ٢٨٧ عن الإقبال وج٣٥ ص٢٦٢ عن البيهقي، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٥٠ وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٧٦ ومدينة العلم ج٢ ص٢٩٧ وتفسير الميزان ج٣ ص٢٥٥ وتفسير ابن كثير ج١ ص٣٧٧ ولباب النقول للسيوطي ص٥٢. ومجموعة الوثائق السياسية ص١٧٤/ ٩٣ عن جمع ممن قدمناه، وعن المصباح المضيء كلمة نجران.

رجل من أهل نجران يقال له: شرحبيل بن وداعة، وكان من همدان. ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة إلا الأيهم ـ وهو السيد ـ والعاقب. فدفع الأسقف كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى شرحبيل وقرأه، فقال الأسقف: يا أبا مريم ما رأيك؟

فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما تؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لي في النبوة رأي، ولو كان أمراً من أ مور الدنيا لأشرت عليك فيه برأي، وجهدت لك.

فقال له الأسقف: تنح فاجلس ناحية. فتنحى شرحبيل فجلس ناحية.

فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له: عبد الله بن شرحبيل، وهو من ذي أصبح من حمير، فأقرأه الكتاب وسأله ما الرأي؟

فقال نحواً من قول شرحبيل بن وداعة.

فقال له الأسقف: تنح فاجلس، فتنحى فجلس ناحية.

ثم بعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران، يدعى جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب أحد بني الحماس، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه، فقال مثل قول شرحبيل بن وداعة، وعبد الله بن شرحبيل، فأمره الأسقف فجلس ناحية.

فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً أمر الأسقف بالناقوس فضرب به، ورفعت النيران السرج في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا نهاراً، فإن فزعوا بالليل ضربوا بالناقوس، ورفعوا النيران في الصوامع.

فاجتمع حين ضرب بالناقوس ورفعت السرج أهل الوادي أعلاه وأسفله، وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون

قرية، ومائة ألف مقاتل، فقرأ عليهم الأسقف كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسألهم عن الرأي فيه.

فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني، وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي، وجبار بن فيض الحارثي، فيأتوهم بخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

وفد النجرانيين إلى رسول الله ﷺ:

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفد نصارى نجران، ستون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، منهم العاقب وهو عبد المسيح، والسيد وهو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل، وأوس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويحنس، منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب أمير القوم، وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه. واسمه عبد المسيح، والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم، ومجتمعهم، واسمه الأيهم.

وأبو حارثة بن علقمة، أحد بني بكر بن وائل أسقفهم، وحبرهم وإمامهم، وصاحب مدراسهم، وكان أبو حارثة قد شرف فيهم، ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٥ و ٤١٦ عن البيهقي وتفسير الميزان ج٣ ص٢٣٤ وتفسير ابن كثير ج١ ص٣٧٨ والدر المنثور للسيوطي ج٢ ص٣٨ والبداية والنهاية ج٥ ص٦٥ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٦٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٠٢.

قد شرفوه، ومولوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونها من حبرة، وتختموا بالذهب.

وفي لفظ: دخلوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مسجده [في المدينة] حين صلى العصر، عليهم ثياب الحِبرات: جبب وأردية، في جمال رجال بني الحارث بن كعب.

فقال بعض من رآهم من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يومئذ: ما رأينا وفدا مثلهم. وقد حانت صلاتهم. فقاموا في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلون نحو المشرق (فأراد الناس منعهم).

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «دعوهم».

ثم أتوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب.

فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وكانوا يعرفونهما، فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس فقالوا لهما: يا عثمان، ويا عبد الرحمن، إن نبيكما كتب إلينا كتاباً فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا، وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا فما الرأي منكما؟ أنعود إليه، أم نرجع إلى بلادنا؟

فقالا لعلي بن أبي طالب «عليه السلام» وهو في القوم: ما الرأي في هؤلاء القوم يا أبا الحسن؟

فقال لهما: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم، ثم يعودوا إليه.

ففعل وفد نجران ذلك ورجعوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسلموا عليه فرد عليهم سلامهم ثم قال: «والذي بعثني بالحق، لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم»[1].

وفد نجران يحاور رسول الله ﷺ:

وعن ابن عباس، والأزرق بن قيس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» دعا وفد نجران إلى الإسلام، فقال العاقب، عبد المسيح، والسيد أبو حارثة بن علقمة: قد أسلمنا يا محمد.

فقال: «إنكما لم تسلما».

قالا: بلى، وقد أسلمنا قبلك.

قال: «كذبتما، يمنعكما من الإسلام ثلاث فيكما: عبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير، وزعمكما أن لله ولداً».

ثم سألهم وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى ابن مريم؟ فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى، يسرنا إن كنت نبياً أن نعلم قولك فيه.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٦ و ٤١٧ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٨٧ و ١٨٨ والبحار ج٢١ ص٣٣٧ وتفسير ابن كثير ج١ ص٣٧٨ والبداية والنهاية ج٥ ص٦٥ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٦٩ وإعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي ج١ ص٢٥٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٠٣.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول الله في عيسى»[1].

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي: أنه سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «ثبت (ليت) بيني وبين أهل نجران حَجاب، فلا أراهم ولا يروني»، من شدة ما كانوا يمارون رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2]. انتهى.

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وابن سعد عن الأزرق بن قيس، وابن جرير عن السدي، وابن جرير، وابن المنذر عن أبي جريج: أن نصارى نجران قالوا: يا محمد، فيم تشتم صاحبنا؟

قال: «من صاحبكم»؟

قالوا: عيسى ابن مريم، تزعم أنه عبد.

قال: «أجل، إنه عبد الله وروحه وكلمته، ألقاها إلى مريم، وروح منه».

فغضبوا وقالوا: لا، ولكنه هو الله نزل من ملكه فدخل في جوف مريم، ثم خرج منها، فأرانا قدرته وأمره، فهل رأيت قط إنساناً خلق من غير أب؟

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٧ عن الحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم، وابن سعد، وعبد بن حميد، والبداية والنهاية ج٥ ص٦٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٠٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٧ عن ابن جرير وجامع البيان للطبري ج٣ ص٤٠٥ والمحرر الوجيز للأندلسي ج١ ص٤٤٧ والدر المنثور ج٢ ص٣٨ وتفسير الآلوسي ج٣ ص١٩٤ وراجع: مجمع الزوائد ج١ ص١٥٥.

فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ..﴾(١).

وأنزل تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهَ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾(٢).

فلما أصبحوا عادوا إليه، فقرأ عليهم الآيات، فأبوا أن يقرأوا. فأمر تعالى نبيه الكريم «صلى الله عليه وآله» بمباهلتهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهَ عَلَى الْكَاذِبِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾(٣). فرضوا بمباهلته «صلى الله عليه وآله»..

فلما رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم: السيد، والعاقب، والأهتم: إن باهلنا بقومه باهلناه؛ فإنه ليس نبياً، وإن باهلنا بأهل بيته خاصة لم نباهله، فإنه لا يقدم على أهل بيته إلا وهو صادق.

وعن جابر، وابن عباس، وقتادة، وسلمة بن عبد يسوع عن ابيه عن جده، وعن حذيفة، والأزرق بن قيس، والشعبي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما نزلت هذه الآيات دعا وفد نجران إلى المباهلة، فقال: «إن الله تعالى أمرني إن لم تقبلوا هذا أن أباهلكم».

---

(١) الآية ١٧ من سورة المائدة.

(٢) الآيتان ٥٩ و ٦٠ من سورة آل عمران.

(٣) الآيات ٦١ ـ ٦٣ من سورة آل عمران.

فقالوا: يا أبا القاسم، بل نرجع فننظر في أمرنا.

وفي حديث آخر فقالوا: أخرنا ثلاثة أيام، فخلا بعضهم إلى بعض وتصادقوا.

فقال السيد العاقب: والله يا معشر النصارى، لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولئن لاعنتموه ليخسفن بأحد الفريقين، إنه للاستئصال لكم، وما لاعن قوم قط نبياً فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم.

وفي رواية: فقال شرحبيل: لئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعنَّاه لا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك.

وفي رواية: لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا.

قالوا: فما الرأي يا أبا مريم؟

فقال: رأيي أن أُحَكِّمَه، فإني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً.

فقال السيد: فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل، ثم انصرفوا إلى بلادكم.

فلما انقضت المدة أقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» مشتملاً على الحسن والحسين في خميلة له، وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذٍ عدة نسوة. فقال «صلى الله عليه وآله»: «إن أنا دعوت فأمنوا أنتم»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٩ عن الحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم في الدلائل، والبيهقي، وابن الشيخ، والترمذي، والنسائي، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي شيبة، وسعيد بن منصور. وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٨٧ ـ ١٩٠. والبحار ج٣٥ ص٢٦٤ والدر المنثور ج٢ ص٣٩ وتفسير الآلوسي ج٣ ص١٨٨.

وعن سعد بن أبي وقاص، عن علي بن أحمر قالا: لما نزلت آية المباهلة دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً وفاطمة، وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»[1]. انتهى.

فتلقى شرحبيل رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك.

فقال: «وما هو»؟

فقال: حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح، فما حكمت فينا فهو جائز. وأبوا أن يلاعنوه.

وعن ابن عباس قال: لو باهل أهل نجران رسول الله «صلى الله عليه وآله» لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٩ عن مسلم، والترمذي، وابن المنذر، والحاكم في السنن، وفي هامشه عن: الحاكم ج٤ (١٨٧١)، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٩٠ والمناقب لابن شهر آشوب ج٢ ص٦٦ والعمدة لابن البطريق ص١٣٢ و١٨٨ والطرائف لابن طاووس ص٤٥ وص١٢٩ والصراط المستقيم للعاملي ج١ ص١٨٦ والبحار ج٣٧ ص٢٦٥ و٢٧٠ .

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٩ عن عبد الرزاق، والبخاري، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر. ومجمع البيان للطبرسي ج١ ص٣١٠ والدر المنثور للسيوطي ج٢ ص٣٩. وراجع: البحار ج١٧ ص١٦٩ ومسند احمد ج١ ص٢٤٨ ومجمع الزوائد ج٨ ص٢٢٨ وفتح الباري ج٨ ص٥٥٧ والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٣٠٨ ومسند أبي يعلى ج٤ ص٤٧٢ وتفسير القرآن للصنعاني ج١ ص٥٢ وجامع البيان للطبري ج١ ص٥٩٧ وج٣ ص٤٠٩.

وروي عن الشعبي مرسلاً: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «لقد أراني البشير بهلكة أهل نجران حتى الطير على الشجر، لو تموا على الملاعنة».

وروي عن قتادة مرسلاً: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن كان العذاب لقد نزل على أهل نجران، أن لو فعلوا لاستؤصلوا من الأرض»[1].

ولما غدا إليهم أخذ بيد حسن حسين، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفها، وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمِّنوا».

فقال أسقفهم: إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله. فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة. والله، لقد عرفتم نبوته، ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم، أي عيسى. فوالله، ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فإن أبيتم إلا دينكم فوادعوا الرجل، وانصرفوا.

فقالوا: يا أبا القاسم لا نلاعنك.

فقال: «فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم». فأبوا.

قال: «فإني أناجزكم».

فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة. ولكن نصالحك.

فصالحهم، وقال: «والذي نفسي بيده، إن العذاب تدلى على أهل نجران، ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٩ والدر المنثور للسيوطي ج٢ ص٣٩.

ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر»[1].

وفي بعض النصوص أنهم قالوا له: لم لا تباهلنا بأهل الكرامة والكبر، وأهل الشارة ممن آمن بك واتبعك؟!

فقال «صلى الله عليه وآله»: «أجل، أباهلكم بهؤلاء خير أهل الأرض، وأفضل الخلق».

ثم تذكر الرواية قول الأسقف لأصحابه: «أرى وجوهاً لو سأل الله بها أحد أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله..

إلى أن قال: أفلا ترون الشمس قد تغير لونها، والأفق تنجع فيه السحب الداكنة، والريح تهب هائجة سوداء، حمراء، وهذه الجبال يتصاعد منها الدخان؟! لقد أطلَّ علينا العذاب! انظروا إلى الطير وهي تقيء حواصلها، وإلى الشجر كيف يتساقط أوراقها، وإلى هذه الأرض ترجف تحت أقدامنا»[2].

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٩٠ عن ابن أبي شيبة، وأبي نعيم وغيرهما، وراجع: المحرر الوجيز للأندلسي ج١ ص٤٤٨.

(٢) راجع: تفسير القمي ج١ ص١٠٤ وحياة الحسن «عليه السلام» للقرشي ج١ ص٤٩ ـ ٥١. وقد روى قضية المباهلة بأهل الكساء بالاختصار تارة، وبالتفصيل أخرى جم غفير من الحفاظ والمفسرين.

ونذكر على سبيل المثال منهم هنا: تفسير العياشي ج١ ص١٧٦ و ١٧٧ ومجمع البيان ج٢ ص٤٥٢ و ٤٥٣ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٣٧٠ و ٣٧١ وتفسير جامع البيان للطبري ج٣ ص٢١١ و ٢١٣ و ٢١٢.

وراجع أيضاً: تفسير النيسابوري (بهامش جامع البيان) ج٣ ص٢١٣ و ٢١٤ وتفسير =

= الرازي ج٨ ص٨٠ وبعد ذكره حديث عائشة في المباهلة بأهل البيت «عليهم السلام»، وأنه «صلى الله عليه وآله» جعل حينئذٍ الجميع تحت المرط الأسود، حيث قرأ آية التطهير قال الرازي: «وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث». والتفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ج٨ ص١٠٨ عن التاج الجامع للأصول ج٣ ص٣٩٦ عن مسلم والترمذي. والكشاف للزمخشري ج ١ ص ٣٦٨ ـ ٣٧٠ والإرشاد للمفيد (ط دار المفيد) ص١٦٦ والصواعق المحرقة ص ١٥٣ و ١٥٤ وأسباب النزول للواحدي ص ٥٨ و ٥٩ وصحيح مسلم ج٧ ص١٢٠ و ١٢١ والبداية والنهاية ج٥ ص٥٤ وحياة الصحابة ج٢ ص٤٩٢ وج١ ص١٣٠ و ١٢١ وصحيح الترمذي ج٥ ص٦٣٨ و ٢٢ والمناقب لابن شهرآشوب ج٣ ص٣٧٠ و ٣٦٨ و ٣٦٩ عن كثيرين جداً وينابيع المودة ص٥٢ و ٢٣٢ وعن ص٤٧٩ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص٢٩٨ و ٢٩٩ وحقائق التأويل للشريف الرضي «رحمه الله» ص١١٠ و ١١٢ وفرائد السمطين ج١ ص٣٧٨ وج٢ ص٢٣ و ٢٤ وشواهد التنزيل ج١ ص١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٤ و ١٢٣ وج٢ ص٢٠ والمسترشد في الإمامة ص٦٠ وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي ط١) ج١ ص٢٠٦ و (ط٢) ص٢٢٥ والمناقب للخوارزمي ص٥٩ و ٦٠ كشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٣٢ و ٢٣٣ والإصابة ج٢ ص٥٠٣ و ٥٠٩ ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص٥٠ وتفسير فرات ص١٥ و ١٤ و ١٦ و ١١٧ وأمالي الشيخ الطوسي ج٢ ص١٧٢ وج١ ص٢٦٥ والجوهرة في نسب علي «عليه السلام» وآله ص٦٩ وذخائر العقبى ص٢٥ وروضة الواعظين ص١٦٤ وما نزل من القرآن في أهل البيت لابن الحكم ص٥٠ والفصول المهمة لابن الصباغ ص١١٠ و ٥ و ٧ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٥٠ وأُسد الغابة ج٤ ص٢٦ وسنن البيهقي ج٧ ص٦٣ ومسند أحمد ج١ ص١٨٥ ومناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص٢٦٣ وفي هامشه عن نزول القرآن لأبي نعيم (مخطوط) =

= والدر المنثور ج٢ ص٣٨ ـ ٤٠ عن بعض من تقدم وعن البيهقي في الدلائل، وابن مردويه، وابن أبي شيبة، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وتفسير البرهان ج١ ص٢٨٦ ـ ٢٩٠ عن بعض من تقدم وعن موفق بن أحمد، في كتاب فضائل الإمام علي، وأمالي الشيخ، والإختصاص، وعن الصدوق وعن الثعلبي، عن مقاتل، والكلبي، وفي تفسير الميزان ج٢ ص٢٢٨ ـ ٢٣٥. عن كثير ممن تقدم، وعن عيون أخبار الرضا، وإعلام الورى ص٧٩ والخرائج والجرائح، وحلية الأولياء، والطيالسي. وهو أيضاً في فتح القدير ج١ ص٣٤٧ و ٣٤٨ وتفسير التبيان ج٢ ص٤٨٥ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٢٨٨ ـ ٢٩٠ عن بعض من تقدم وعن الخصال وروضة الكافي وغيرهما، وعن نور الأبصار ص١١١ وعن المنتقى باب ٣٨ وفي تفسير الميزان ج ٣ ص ٢٣٥ وقال ابن طاووس في كتاب سعد السعود ص٩١: رأيت في كتاب تفسير ما نزل في القرآن في النبي وأهل بيته، تأليف محمد بن العباس بن مروان: أنه روى خبر المباهلة من أحد وخمسين طريقاً عمن سماه من الصحابة وغيرهم، وعد منهم الحسن بن علي «عليهما السلام» وعثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وبكر بن سمال، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عباس، وأبا رافع مولى النبي، وجابر بن عبد الله، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك» انتهى.

وروي ذلك أيضاً عن: علي «عليه السلام» وأم سلمة وعائشة، وأبي سعيد الخدري وعمرو بن سعيد بن معاذ، وحذيفة بن اليمان، (وزاد ابن طاووس نقلاً عن الحجام) أبا الطفيل عامر بن واثلة، وجرير بن عبد الله السجستاني، وأبا قيس المدني، وأبا إدريس، ومحمد بن المنكدر، وعلي بن الحسين، وأبا جعفر محمد بن علي بن الحسين، وأبا عبد الله جعفر بن محمد، والحسن البصري، وقتادة، وعلباء بن الأحمر، وعامر بن شراحيل الشعبي، ويحيى بن نعمان، ومجاهد، وشهر بن حوشب.

وأضاف ابن شهرآشوب في مناقبه ج ٣ ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩: أبا الفتح محمد بن أحمد بن=

= أبي الفوارس، وابن البيع في معرفة علوم الحديث، واحمد في الفضائل، وابن بطة في الإبانة، والأشفهي في اعتقاد أهل السنة، والخركوشي في شرف النبي، ومحمد بن اسحاق، وقتيبة بن سعيد، والحسن البصري، والقاضي أبا يوسف، والقاضي المعتمد أبا العباس، وأبا الفرج الأصبهاني في الأغاني عن كثيرين وهامش حقائق التأويل ص ١١٠ عن بعض من تقدم، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٦٥ والكامل لابن الأثير ج٢ ص٣٩٢ وعن كنز العمال ج ٦ ص ٤٠٧ وعن تفسير الخازن، وعن تفسير البغوي بهامشه.

وثمة مصادر كثيرة أخرى ذكرها في مكاتيب الرسول ج٢ ص٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٤ مثل: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٦ وفي (ط أخرى) ص٧١ وفتوح البلاذري ص٧٥ وفي (ط أخرى) ص٨٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٠ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٦ والشفاء للقاضي عياض ج٢ ص١٠٧ ونسيم الرياض ج٣ ص٤١١ وشرح القاري (بهامشه) ج٢ ص٥٢٢ وج٣ ص٤١١ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص١٤١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٤ ص١٠٤والمنار ج٣ ص٣٢٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٤١٦ والبحار ج٣٥ وج٢١ ص٢٧٧ و ٢٨٢ و ٣٢١ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤١ ـ ٣٤٣ و ٣٤٦ و ٣٥٤ ودلائل النبوة للبيهقي ص٢٩٨ والقاضي البيضاوي في تفسير الآية، وروح المعاني ج٣ ص١٩٠ وروح البيان ج٢ ص٤٤ والسراج المنير ج١ ص٢٢٢ وتفسير الشريف اللاهيجي ج١ ص٣٣٢ وجلاء الأذهان ج١ ص٦١ وكنز الدقائق ج٢ ص١٠٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ ق٢ ص٥٧ والعمدة لابن بطريق ص١٨٨ وما بعدها، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص١٤وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص١٦ وفي (ط أخرى) ص٢٩٥ والأغاني ج١٢ ص٧ ونهج الحق ص١٧٧ وغاية المرام المقصد الثاني الباب ٣ و ٤ عن سعد، وجابر، وابن عباس، والشعبي، والسدي، وأبي عبد الله والحسن وأبي الحسن موسى وأبي ذر عن علي «عليهما =

كتاب مصالحة النجرانيين:

وبعد امتناعهم عن الدخول في الملاعنة، وتقرر ضرب الجزية على أهل

= السلام» في حديث (المناشدة)، وعن محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير، وعن أبي الحسن الرضا «عليه السلام».

وقد أخرجه في البحار ج٢١ عن مصادر جمة، وكذا أخرجه في ملحقات إحقاق الحق ج٣ وج٥ وج٩ وج١٤ عن مصادر أهل السنة جمعاء.

وراجع: ملحقات إحقاق الحق ج٣ ص٤٦ وما بعدها، نقله عن جمع ممن قدّمناه، وعن الثعلبي في تفسيره، ومعالم التنزيل ج١ ص٣٠٢ ومصابيح السنة ج٢ ص٢٠٤ وأحكام القرآن لابن العربي ج١ ص١١٥ وجامع الأصول ج٩ ص٤٧٠ وتلخيص الذهبي ذيل المستدرك ج٣ ص١٥٠ ومطالب السؤول ص٧ والرياض النضرة ص١٨٨ وتفسير النسفي ج١ ص١٣٦ وتبصير الرحمن ج١ ص١١٤ ومشكاة المصابيح ج٢ ص٣٥٦ والكاف الشاف ص٢٢٦ والمواهب للكاشفي ج١ ص٧١ ومعارج النبوة ج١ ص٣١٥ والإكليل ص٥٣ وتفسير الجلالين ج١ ص٣٣ وتفسير أبي السعود ج٢ ص١٤٣ ومدارج النبوة ص٥٠٠ ومناقب مرتضوي ص٤٤ والإتحاف بحب الأشراف ص٥٠ والجواهر للطنطاوي ج٢ ص١٢٠ ورشفة الصادي ص٣٥ وكفاية الخصام ص٣٩. وراجع أيضاً ج٩ ص٧٠ عن منهاج السنة لابن تيمية ج٤ ص٣٤ ومقاصد المطالب ص١١ والمنتقى ص١٨٨ ونزول القرآن في أمير المؤمنين «عليه السلام» لأبي نعيم (مخطوط)، وأرجح المطالب ص٥٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص١٩٤ ومرآة الجنان ج١ ص١٠٩ وشرح المقاصد للتفتازاني ج٢ ص٢١٩ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٤٣ وإمتاع الأسماع ص٥٠٢ والمواقف ج٢ ص٦١٤ وشرح ديوان أمير المؤمنين «عليه السلام» ص١٨٤ وراجع أيضاً ج٥ ص٥٩ و ١٠٢ وج١٤ ص١٣١ ـ ١٤٨.

نجران، انصرفوا حتى إذا كان من الغد كتب لهم هذا الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لأهل نجران ـ إذا كان عليهم حكمه ـ في كل ثمرة، وفي كل صفراء وبيضاء ورقيق فأفضل ذلك عليهم، وترك ذلك كله [لهم] على ألفي حلة من حلل الأواقي، في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة، مع كل حلة أوقية من الفضة، فما زادت على الخراج أو نقصت عن الأواقي فبالحساب، وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض أخذ منهم بالحساب، وعلى نجران مؤنة رسلي ومتعتهم ما بين عشرين يوماً فما دون ذلك، ولا تحبس رسلي فوق شهر.

وعليهم عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً، إذا كان كيد ومعرة، وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع، أو خيل أو ركاب، [أو عروض] فهو ضمين على رسلي حتى يؤدوه إليهم.

ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم، وأرضهم وأموالهم، وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم [وصلواتهم]، [وكل ما تحت أيد يهم من قليل أو كثير]، وألا يغيروا مما كانوا عليه بغير حق من حقوقهم ولا ملتهم، ولا يغير أسقف عن أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته.

وليس عليهم دنية، ولا دم جاهلية، ولا يحشرون، ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين. [على ألا يأكلوا الربا] فمن أكل الربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار

الله، وذمة النبي محمد رسول الله أبداً، حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم، غير مثقلين بظلم».

شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف النصري، والأقرع بن حابس الحنظلي، والمغيرة بن شعبة[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢٠ ومكاتيب الرسول ج٣ ص١٥٢ فما بعدها إلى ص١٥٦ و ١٦٥ عن المصادر التالية: البداية والنهاية ج٥ ص٥٥ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٢ ص٥٨٤ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٧ وفي (ط أخرى) ص٧٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ق٢ ص٣٥ وفي (ط أخرى) ج١ ص٢٨٧ وتفسير الشيخ أبي الفتوح الرازي (في تفسير الآية ٦١ من آل عمران ـ آية المباهلة) (الطبعة الفهلوية) ج١ ص٥٧٦ ومستدرك الوسائل للنوري ج١١ ص١٣٣ والإرشاد للمفيد ص٧٨ وفي (ط أخرى) ص٧٩ والأموال لأبي عبيد ص٢٧٢ ـ ٢٧٥ وفي (ط أخرى) ص١٨٧ وراجع ص٣٩ ورسالات نبوية ص٦٢ ـ ٦٦ وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٧٦ والخراج لأبي يوسف ص٧٢ وفي (ط أخرى) ص٧٨ وحياة الصحابة ج١ ص١٢١ وزاد المعاد لابن القيم ج٢ ص٤٠ و ٤١ ومدينة العلم ج٢ ص٢٩٩ وجلاء الأذهان (تفسير گازر) ج٢ ص٦٢ وغاية المرام ص٣٠١ والأموال لابن زنجويه ج٢ ص٤٤٩ و ٤٥٠ وج١ ص٩٤٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٤١٧ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣١٣.

قال البلاذري في الفتوح ص٧٦ وفي (ط أخرى) ص٨٧ و ٨٨ بعد نقل الكتاب: «وقال يحيى بن آدم: وقد رأيت كتاباً في أيدي النجرانيين، كانت نسخته شبيهة بهذه النسخة وفي أسفله: وكتب علي أبو طالب ولا أدري ما أقول فيه»!!

وراجع: الوثائق السياسية: ص١٧٥/ ٩٤ نقله عن جمع ممن تقدم وعن الأصل للشيباني (خطيات مراد ملا وعاطف وفيض وآياصوفيا بإستانبول كتاب السير=

كتاب آخر لنصارى نجران:

وفي لفظ: أن الأسقف أبا الحارث أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومعه السيد العاقب، ووجوه قومه، وأقاموا عنده يستمعون ما ينزل الله عز وجل، فكتب للأسقف هذا الكتاب ولأساقفة نجران بعده، يقول فيه:

= باب ما جاء عن النبي وأصحابه في أهل نجران وبني تغلب) وإمتاع الأسماع للمقريزي خطية كوپرلو ص١٠٣٧ و ١٠٣٨ و ١٦٥٠ والوثائق السياسية اليمنية لمحمد علي الأكوع الحوالي ص٩٤ ـ ٩٦ قال: وراجع أيضاً مخطوطة التأريخ المجهول وراجع أيضاً: ص٧١٨ من الوثائق.

وأوعز إليه في النهاية لابن الأثير في مادة: «وقه» و «وقف» و «هف» و «وفه» و «ربي» وراجع: الفائق ج١ ص١٧٩ ولسان العرب، وأقرب الموارد في هذه المواد، وراجع: معجم البلدان ج٥ ص٢٦٥ و ٢٦٩ ونيل الأوطار ج٨ ص٥٨ وفتح الباري ج٨ ص٧٤ والكامل لابن الأثير ج٢ ص٢٩٣ وعون المعبود ج٣ ص١٣٣ وأبا داود ج٣ ص١٦٧ والمنار ج٣ ص٣٢٢ وتذكرة الفقهاء للعلامة الحلي ج١ ص٤٤١ وإعلام الورى ص١٣٠ ومآثر الإنافة ج٣ ص٢٣٧ وثقات ابن حبان ج٢ ص١٢٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢١٢ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ ق٢ ص٥٧ وكنز العمال ج١٤ ص٢٤٧ وج٤ ص٣٢٣ والبحار ج٢١ ص٢٧٧ و ٣٣٨ و ٣٧٢ والإصابة ج٣ ص١٩٢ في غيلان بن عمرو، والمنتظم لابن الجوزي ج٤ ص٣. والخراج لقدامة بن جعفر (مخطوطة باريس) ورقة ١٢٥ وزاد المعاد ج٣ ص٤١ والفائق مادة «وهف» واللسان مادة «وقف» وإمتاع الأسماع ج١ ص٥٠٢ وغريب الحديث لأبي عبيد (خطية كوپرلو) ورقة ٧٢ ـ ب والنهاية مادة «ثلل» و «ثوي» و «ربي». قال: وانظر كايتاني ج١٠ ص٦٠.

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله للأسقف أبي الحارث، وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم، وأهل بيعهم، ورقيقهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أوكثير، لا يغير أسقف من أسقفيته، وراهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم، ولا مما كانوا عليه، لهم على ذلك جوار الله تعالى ورسوله أبداً، ما نصحوا وأصلحوا، غير مثقلين بظلم ولا ظالمين».

وكتب المغيرة بن شعبة.

فلما قبض الأسقف الكتاب استأذن في الانصراف إلى قومه ومن معه، فأذن لهم فانصرفوا[1].

نص آخر للكتاب:

وثمة كتاب آخر أرسله إليهم، وهو التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي إلى الأسقف أبي الحارث، وأساقفة نجران وكهنتهم، ومن تبعهم ورهبانهم، أن لهم ما تحت أيديهم من قليل وكثير، من بيعهم وصلواتهم، ورهبانيتهم، وجوار الله ورسوله، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم، ولا سلطانهم، ولا شيء مما كانوا عليه. على ذلك جوار الله ورسوله أبداً ما نصحوا، وصلحوا، فما عليهم غير مثقلين

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢٠ ومكاتيب الرسول ج٣ ص١٤٩ وزاد المعاد لابن القيم ج٣ ص٤١ ورسالات نبوية ص٦٦، وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٧٢.

بظلم ولا ظالمين». وكتب المغيرة[1].

وذكروا: أنه يحتمل أن يكون الكتاب السابق لأهل نجران، وهذا الكتاب للأساقفة، والشاهد على ذلك أن الكتاب السابق ناظر إلى التأمين في الأموال، وهذا الكتاب الأخير ناظر إلى التأمين في المناصب الدينية[2].

الكتاب بخط علي عليه السلام:

زعمت بعض المصادر: أن كاتب هذا الكتاب هو المغيرة بن شعبة[3].

وقيل: هو معيقيب[4].

وقيل: هو عبد الله بن أبي بكر[5].

وقال اليعقوبي: إنه علي «عليه السلام»[6].

---

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص١٤٨ عن المصادر التالية: الطبقات الكبرى ج١ ص٢٦٦ وفي (ط أخرى) ج١ ق٢ ص٢١ والبداية والنهاية ج٥ ص٥٥ ورسالات نبوية ص٦٦ وحياة الصحابة ج١ ص١٢٣ وزاد المعاد ج٣ ص٤١ وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٧٦ ومدينة العلم ج٢ ص٢٩٧ وإعلام الورى ص٧٩ ومجموعة الوثائق السياسية ص١٧٩/ ٩٥ عن جمع ممن قدمناه، وإمتاع المقريزي (خطية كوپرلو) ص١٠٣٨ وسبل الهدى للشامي خطية باريس / ١٩٩٢ ورقة ٦٥ ـ ألف وراجع أيضا ص٧١٨ .

(٢) مكاتيب الرسول ج٣ ص١٤٨ .

(٣) كما ذكره البلاذري، وابن كثير، وابن قيم الجوزية.

(٤) ذكر ذلك أبو عبيد، وابن زنجويه.

(٥) ذكر ذلك أبو يوسف.

(٦) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٨٢.

ويؤيده: ما ذكره يحيى بن آدم[1].

ويؤيده أيضاً: ما ذكروه من أن النجرانيين جاؤوا علياً «عليه السلام» بكتابه الذي كتبه لهم بيده، فراجع[2].

عهد مكذوب على النبي ﷺ:

وقد أظهر نصارى نجران في سنة مائتين وخمس وستين عهداً مطولاً زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كتبه لهم، وقد ذكرهما العلامة الأحمدي في كتابه القيم «مكاتيب الرسول» ج٣ ص١٧٢ فما بعدها..

ثم ذكر قرائن كثيرة على أنهما مفتعلان، ومكذوبان، ويكفي أن نذكر منها: أن عدداً من الشهود الذين ذكرت أسماؤهم كانوا قد استشهدوا قبل قدوم وفد نجران بعدة سنوات.

فإن وفد نجران إنما قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» سنة عشر بالإتفاق، وفي الشهود سعد بن معاذ، وقد استشهد في السنة الرابعة أو الخامسة، في غزوة بني قريظة، وجعفر بن أبي طالب قد استشهد في سنة

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ج١ ص٧٨.

(٢) السنن الكبرى ج١٠ ص١٢٠ ومعجم البلدان ج٥ ص٢٦٩ ومكاتيب الرسول ج٣ ص١٧٠ عن المصادر التالية: المصنف لابن أبي شيبة ج١٤ ص٥٥٠ و ٥٥١ عن سالم، وكنز العمال ج٤ ص٣٢٣ عن ابن أبي شيبة، والأموال لأبي عبيد، والبيهقي وج١٤ ص٢٤٧ عن البيهقي عن عبد خير، والأموال لابن زنجويه ج١ ص٢٧٦ و ٤١٨ عن سالم، والخراج لأبي يوسف ص٨٠ قال: وكان الكتاب في أديم أحمر، والأموال لأبي عبيد ص١٤٣/ ٢٧٣ والمطالب العالية ج٤ ص٤١.

ثمان. وزيد بن ثابت كان من صغار الصحابة سناً، فكيف بولده عبد الله، كما أن عدداً من الشهود لا نعرف عنهم شيئاً. فراجع[1].

آية الكلمة السواء متى نزلت؟!

وقد ذكروا: أن قوله تعالى **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**[2] قد نزل في قصة نصارى نجران. وكانت قصتهم سنة تسع. وقد أدرجها «صلى الله عليه وآله» في كتابهم[3].

غير أن هذا غير صحيح، فقد كتب النبي «صلى الله عليه وآله» هذه الآية إلى كسرى وقيصر، والنجاشي، والمقوقس قبل سنة تسع بعدة سنوات، فكيف تكون قد نزلت في قصة نجران؟![4].

---

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص١٨١ و ١٨٢ ، وراجع المصادر في الهوامش السابقة.

(٢) الآية ٦٤ من سورة آل عمران.

(٣) راجع: البحار ج٩ ص٧٠ وج٢١ ص٢٨٧ عن إقبال الأعمال، وراجع: تفسير الكشاف ج١ ص٣٧١ والجامع لأحكام القرآن ج٤ ص١٠٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢١٣ و ٢١٤ وتفسير الثعالبي ج١ ص٢٧٥ وجامع البيان للطبري ج٣ ص٤١٠ وتفسير الرازي ج٨ ص٩٠ والعجاب للعسقلاني ج٢ ص٦٨٨ والدر المنثور ج٢ ص٤٠.

(٤) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٩٨ عن المصادر التالة: تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢١٣ وعمدة القاري ج١ ص٨٨ وفتح الباري ج١ ص٣٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٥ وكنز العمال ج١٠ ص٤١٧ و ٤١٨. وتفسير الثعلبي ج٩ ص٢٢٠ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٧٧.

إلا أن يكون المقصود: أنها نزلت مرة ثانية في هذه المناسبة.

رجوع وفد نجران إلى بلادهم:

و لما قبض النجرانيون كتابهم انصرفوا إلى نجران، ومع الأسقف أخ له من أمه، وهو ابن عمه من النسب، يقال له: بشر بن معاوية، وكنيته أبو علقمة. فدفع الوفد كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الأسقف، فبينا هو يقرأه، وأبو علقمة معه، وهما يسيران إذ كبت ببشر ناقته، فتعس بشر غير أنه لا يكني عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال له الأسقف عند ذلك: قد والله تعست نبياً مرسلاً.

فقال له بشر: لا جرم والله لا أحل عقداً حتى آتي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فصرف وجه ناقته نحو المدينة وثنى الأسقف ناقته عليه، فقال له: افهم عني، إنما قلت هذا ليبلغ عني العرب، مخافة أن يقولوا: إنّا أخذنا حقه [أو رضينا بصوته]، أو نجعنا لما لم تنجع به العرب، ونحن أعزهم وأجمعهم داراً.

فقال له بشر: لا والله، لا أقبل ما خرج من رأسك أبداً، فضرب بشر ناقته، وهو مولي الأسقف ظهره وارتجز يقول:

إليك تعدو قلقاً وضينها ... معترضاً في بطنها جنينها

مخالفاً دين النصارى دينها

حتى أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأسلم، ولم يزل معه حتى قتل بعد ذلك.

قال: ودخل الوفد نجران، فأتى الراهب ليث بن أبي شمر الزبيدي،

وهو في رأس صومعته.

فقال له: إن نبياً بعث بتهامة، فذكر ما كان من وفد نجران إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه عرض عليهم الملاعنة فأبوا، وإن بشر بن معاوية دفع إليه فأسلم.

فقال الراهب: أنزلوني، وإلا ألقيت نفسي من هذه الصومعة.

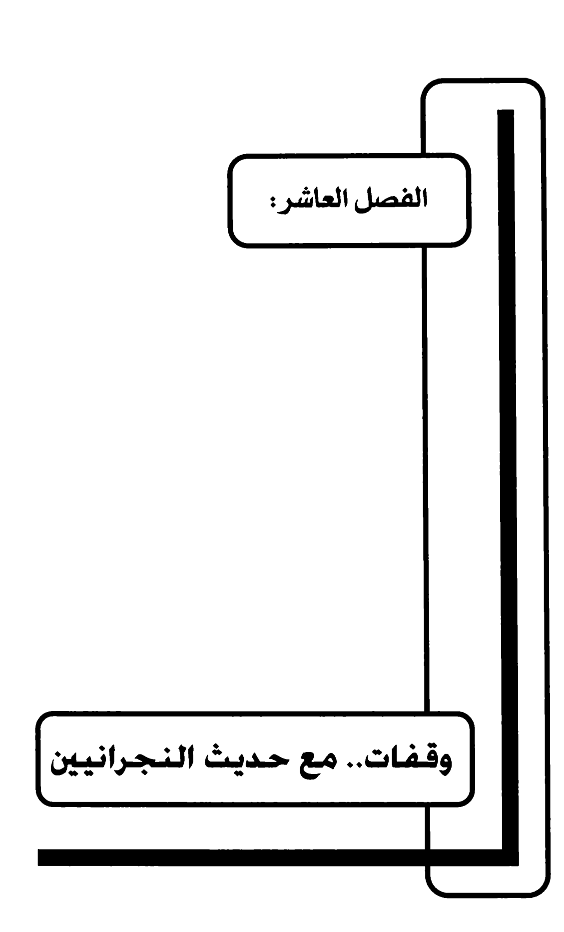
قال: فأنزلوه، فانطلق الراهب بهدية إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منها هذا البرد الذي يلبسه الخلفاء، والقعب والعصا. فأقام الراهب مدة بعد ذلك يسمع الوحي والسنن، والفرائض والحدود، ثم رجع إلى قومه ولم يقدرِ له الإسلام، ووعد أنه سيعود فلم يعد حتى قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله»[١].

وذكر ابن سعد: أن السيد والعاقب رجعا بعد ذلك إلى المدينة وأسلما، وأنزلهما دار أبي أيوب الأنصاري[٢].

---

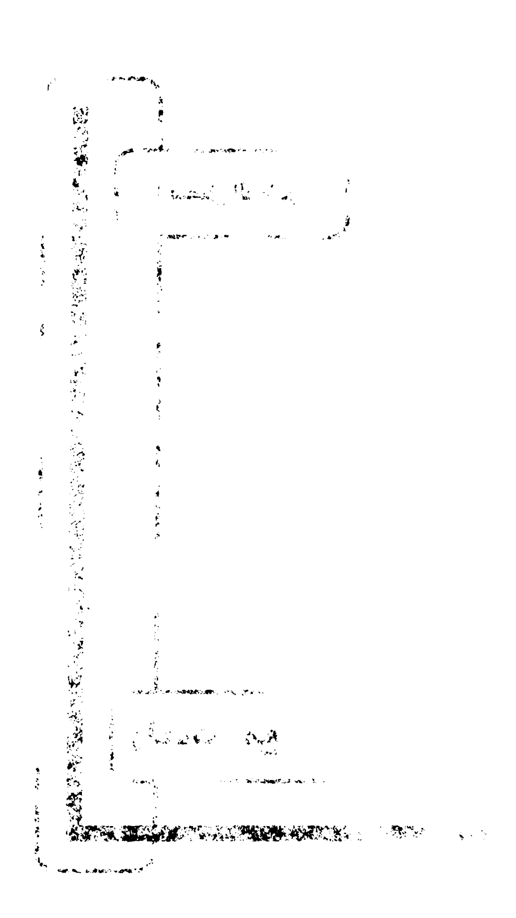
(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢٢ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٧١ والبداية والنهاية ج٥ ص٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٠٦.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٩١ عن ابن سعد، وفتح الباري، والإصابة، وعن المدائني. وفتح الباري ج٨ ص٧٤.



الفصل العاشر:

وقفات.. مع حديث النجرانيين



دعوة النجرانين إلى الإسلام متى كانت؟!:

تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل إلى النجرانين يدعوهم إلى الإسلام، ثم بعد أن قدم عليه وفدهم في سنة عشر كتب لهم كتباً أخرى تقدم ذكرها أيضاً..

فقد يقال: إنه «صلى الله عليه وآله» كتب إليهم الكتاب الأول الذي يدعوهم فيه إلى الإسلام من مكة، قبل أن تنزل عليه سورة النمل، كما دلت عليه بعض الروايات(١). وسورة النمل مكية(٢).

ولكن الصحيح هو أنه «صلى الله عليه وآله» قد كتب إليهم من المدينة بعد الهجرة، ونستند في ذلك إلى ما يلي(٣):

---

(١) الدر المنثور ج٦ ص٣٨ والبداية والنهاية ج٥ ص٥٣ والبحار ج٢١ ص٢٨٥ وج٣٥ ص٢٦٢ وتفسير الآلوسي ج٣ ص١٨٦ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٥.

(٢) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٩٢ عن الإتقان للسيوطي ص١٠١ وراجع: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٦ والفهرست لابن النديم ص٣٦ والغدير ج١ ص٢٥٦ وراجع كتب التفسير في ذلك.

(٣) ذكر هذه الأدلة أيضاً العلامة الأحمدي في مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٩٧ و٤٩٨.

أولاً: قد صرحت النصوص المتقدمة بأنه بمجرد وصول كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» خافوا وأرسلوا وفدهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله» في المدينة، وكانت قصة المباهلة، فراجع .

ثانياً: صرح ابن طاووس في الإقبال: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب إليهم هذا الكتاب، بعد أن كتب إلى كسرى وقيصر.. وكتابه لهما إنما كان من المدينة.

ثالثاً: إنه لا معنى لأن يفزع النجرانيون من النبي «صلى الله عليه وآله»، حين كان في مكة، فإنه لم يكن قادراً على فعل أي شيء يوجب خشيتهم.

كما أنه لا معنى لأن يكتب إليهم: «فإن أبيتم آذنتكم بحرب، فإنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن قادراً آنئذٍ على أن يحمي نفسه من أهل مكة، فهل يعقل أن يعلن الحرب على النجرانيين البعيدين عنه مئات الأميال؟!

رابعاً: لم تكن الجزية قد وضعت في مكة مطلقاً، وقد نزلت آيات الجزية في سنة تسع أو قريباً منها.

فإن أبيتم فالجزية:

قد أبلغ النبي «صلى الله عليه وآله» أهل نجران بان عليهم الجزية إن أصروا على الإلتزام بدينهم، وعلى عبادة العباد، وأبوا عبادة الله.

وهذا النص قد أوضح أن وضع الجزية عليهم إنما هو بإزاء الإصرار على الإستنكاف عن عبادة الله وحده، وترجيح عبادة العباد.. وذلك يظهر وجود خلل بالمعايير يحتم اتخاذ إجراء ضدهم من شأنه أن يراعي آثار هذا الإخلال، فيتعامل مع هذا الإستكبار عن عبادة الله من جهة، ومع ذلك

الإنقياد والقبول منهم بأن يكونوا في موقع العبودية للعباد من جهة أخرى، مع إسباغهم صفات الألوهية على أولئك العباد، بادعاء وجود شبهة لديهم في ذلك، ناشئة عن ولادة عيسى من دون أب، أو نحو ذلك مما لم يعد له مجال بعد ظهور الحقيقة بالأدلة القاطعة، وبالمعجزات الظاهرة، فلا مبرر للإصرار على ذلك إلا الإستكبار عن الإنقياد للحق..

فجاء جعل الجزية التي لا بد ان يعطوها عن يد وهم صاغرون، ليكون بمثابة علاج روحي من شأنه أن يطامن نفوسهم، ويدفعهم لمراجعة حساباتهم، ليجدوا أنهم لا يربحون من هذا الإستعلاء والإستكبار، وبذلك يعيد إليهم قدراً من التوازن في نظرتهم إلى القضايا..

مع ملاحظة: أنه لم يُظْهِر إصراراً على تكذيبهم في دعواهم بقاء الشبهة، رفقاً منه بهم، وإفساحاً للمجال للتروي والتأمل.. بالإضافة إلى مصالح أخرى ربما ترتبط بالسياسة العامة للناس في مجال العلاقة بهم، والتعامل معهم في الشأن العقيدي.

حوار مكذوب:

ثم إن أساس الخلاف بين نصارى نجران وبين النبي «صلى الله عليه وآله» هو أنهم يعبدون عباد الله، ولا يعبدون الله، ولأجل ذلك دعاهم إلى المباهلة، وذلك يدل على عدم صحة ما رووه عن ابن عباس قال: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم الا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانياً.

فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ

التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

فقال رجل من الأحبار: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟

وقال رجل من نصارى نجران: أوذلك تريد يا محمد وإليه تدعونا؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني ولا أمرني».

فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(٢).

ثم ذكر ما أخذ عليهم وعلى آبائهم من الميثاق بتصديقه وإقرارهم به على أنفسهم، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾(٣)»(٤).

---

(١) الآيات ٦٥ ـ ٦٨ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٨١ من سورة آل عمران.

(٣) الآيتان ٧٩ و ٨٠ من سورة آل عمران.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢١ عن ابن إسحاق، وتخريج الأحاديث والآثار =

إذ كيف يصح اتهامهم النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه يريد من الناس أن يعبدوه كما يعبد النصارى عيسى «عليه السلام»، مع أنه هو الذي يريد ان يصدهم عنه.

فإن هذه الايات قد وردت في سورة آل عمران، وهذه السورة قد نزلت قبل قضية المباهلة بسنوات كثيرة. فكيف يقال: أنها قد نزلت في المباهلة في أواخر حياته «صلى الله عليه وآله»..

والجواب عن ذلك هو: أن الله تعالى قد أنزل عليه «صلى الله عليه وآله» هذه الآيات مرة ثانية، حين جاءت مناسبتها، وذلك غير بعيد..

لماذا لم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!:

وقد ذكرت الرواية: أن وفد نجران كلموا رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرات عديدة، فلم يجبهم «صلى الله عليه وآله»، حتى أرشدهم علي «عليه السلام» إلى ضرورة تغيير ملابسهم الفاخرة، فحينئذٍ كلمهم «صلى الله عليه وآله»..

والسؤال هنا ذو شقين:

أحدهما: هل ارتداء الملابس الفاخرة خطيئة تستوجب الإعتراض المتمثل

= ج١ ص١٩١ وتفسير الميزان ج٣ ص٢٦٨ وجامع البيان للطبري ج٣ ص٤٤١ وتفسير ابن أبي حاتم ج٢ ص٦٩٣ وتفسير ابن كثير ج١ ص٣٨٥ والعجاب للعسقلاني ج٢ ص٧٠٥ والدر المنثور ج٢ ص٤٠ و٤٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٩٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٣٩٥ وعيون الأثر ج١ ص٢٨٤.

بهذا الصدود والإعراض؟!

الثاني: وجدنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يكتفي بالإعتراض على آخرين جاؤوه على مثل هذه الحالة، من دون أن ينتهي الأمر به إلى هذا الحد من التشدد والصدود والإعراض.

ونقول في الجواب:

إن لبس فاخر الثياب ليس حراماً إذا جاء على رسله ولم يستبطن معنى آخر مبغوضاً ومرفوضاً، مثل أن تكون هذه المظاهر هي مصدر الإعتزاز لدى من يلجأ لممارستها، أو أنه يريد من خلالها أن يتيه على الآخرين ويؤذيهم بها، ويسعى لكسب الإمتيازات التي لا يستحقها..

بل ربما يريد أن يخدع بها الناس، ويؤثر على نظرتهم حتى في أمور الدين والإعتقاد، والنظرة والإيحاء لهم بأن غناه إنما هو لقدرات اختص بها دونهم، وهذا ما حكاه الله تعالى عن قارون بقوله: ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ**﴾(١).

وكان قد قال لقومه: ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾(٢).

وربما يؤدي ذلك إلى إيهامهم بأن ما حصل عليه من مال إنما هو لخصوصية في دينه، فتحت له أبواب الغنى التي حرم منها الآخرون، لأن

---

(١) الآيتان ٧٩ و ٨٠ من سورة القصص.

(٢) الآية ٧٨ من سورة القصص.

دينهم لم يقدر على تأمينها لهم، بل ربما كان هو السبب فيما يعانونه من فقر وحاجة..

وإذا كان هذا الذي يظهر للناس على هذه الحال من رجال الدين فذلك يوحي لهم بأن رسالة الدين هي الإعتزاز بالمال وهو جزء من أهدافه..

فذلك كله أو بعضه يحتم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يعترض على من يسير في هذا الإتجاه، ولا بد أن يكون اعتراضه أشد قسوة حين يكون من يفعل ذلك يقدم نفسه للناس على أنه من القيادات الدينية، ولا يورد ولا يصدر إلا في الحدود التي يسمح له بها الشرع، فيؤدي ذلك إلى تكريس هذا الأمر على أساس اعتقادي ديني، ينسب فيه هذه الأمر إلى الله سبحانه، وأنه هو الذي اختار ذلك لعباده..

ما تقول في عيسى؟!:

قد زعمت الرواية: أن الوفد سأل النبي «صلى الله عليه وآله» عن عيسى فقال: «ما عندي فيه شيء الخ..».

ونقول:

إن ذلك موضع ريب وشك:

أولاً: لأنه كان قد أخبرهم بما يقوله في عيسى حين أخبرهم بأنه لا يقول بأن لله تعالى ولداً، كما يقولونه في عيسى..

ثانياً: إن الآيات في شأن عيسى كانت قد نزلت عليه قبل سنوات من ذلك التاريخ، فلماذا لم يبادر إلى قراءتها عليهم. مع أنها هي نفسها التي قرأها عليهم بعد أن استمهلهم؟!

فقد قرأ، أو ضمّن كلامه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾(١).

وقرأ عليهم آية سورة المائدة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾(٢).

وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(٣).

فلماذا يؤجل «صلى الله عليه وآله» الإجابة وعنده الآيات الكثيرة التي تتضمن الجواب الكافي والشافي على ذلك السؤال، ثم إنه حين أجابهم لم يزد على استعادة تلك الآيات وقراءتها عليهم.

ثالثاً: إنه حتى لو لم تكن تلك الآيات قد نزلت عليه «صلى الله عليه وآله» فإن العقل الإنساني يقضي بأن الله لا يمكن ان يكون له ولد، وبأن خلق آدم أعظم من خلق عيسى.. ولا شك في أن هذا ما يقوله رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فلماذا لا يذكره لهم، ما دام أن السؤال موجه مباشرة، حيث قالوا له: «ما تقول في عيسى بن مريم؟ فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى، يسرنا إن كنت نبياً أن نعلم قولك فيه».

يصالحهم على ألّا يأكلوا الربا:

هذا.. وقد أعطاهم النبي «صلى الله عليه وآله» ذمته في أمور كثيرة كلها

---

(١) الآية ١٧١ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٧ من سورة المائدة.

(٣) الآية ٥٩ من سورة آل عمران.

لمصلحتهم، فلا يغيِّر أسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، وليس عليهم دنية، ولا دم جاهلية، ولا يحشرون ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش، ولا بد أن ينصفوا، على أن لا يأكلوا الربا.

وهذا يبين مدى حساسية الإسلام من أكل الربا، فرغم أنه يقرهم على دينهم، ولا يرضى بالتدخل في شأنهم الديني، ولو بمستوى تغيير راهب عن رهبانيته، فإنه يعطيهم هذه الإمتيازات التي كان يستطيع أن يمنعهم بعضها، من دون أن يخل ذلك بميزان الإنصاف والعدل.

ولكنه آثرهم بذلك كله في مقابل أن لا يأكلوا الربا، رغم ان أكلهم الربا لا يوجب خللاً مباشراً في حياة المسلمين، وإنما هو يوجب خللاً في مجتمعهم هم بالدرجة الأولى، ولكنه أراد أن يحفظهم هم عن التعرض لسلبيات هذه الخطيئة التي تنال الضعفاء وترهقهم، وتبدد جهدهم، وتعطيه لمن لا يستحقه..

بل إن سلبيات هذه العاهة لا تنحصر في الحالة المالية والمعيشية منها لكي يقال: إنها تصيب الفقراء دون سواهم، بل تتعداها إلى أضرار روحية ونفسية خطيرة، حتى على آكل الربا نفسه، حيث يتحول إلى حيوان كاسر شرس لا يحمل في داخله أي شعور إيجابي تجاه أخيه الإنسان فضلاً عن غيره من المخلوقات والكائنات.. بل هو يتحول إلى طاغوت جبار، ومصاص دماء.

ثم إن من أبسط نتائج هذه العاهة هو أن يفقد الناس أي دافع لعمل المعروف، فيشعر الفقير بقسوة صاحب المال عليه، ويرى أنه يمعن في إذلاله واستغلاله، وصاحب المال لا يجد لديه الحافز لمساعدة الفقير والتخفيف من آلامه، وتكون النتيجة هي زوال المعروف كما قال الإمام الباقر «عليه

السلام»: «إنما حرم الله عز وجل الربا لئلا يذهب المعروف»[1].

وقيل للصادق «عليه السلام»: «لم حرم الربا؟

قال: لئلا يتمانع الناس المعروف»[2].

يضاف إلى ذلك: أن شيوع الربا يعطل المال عن اداء دوره في تداول السلع، وتأثيره في إنعاش الإقتصاد، ويمنع من نمو الأموال في أيدي الناس بصورة متوازنة، حيث يؤدي إلى تراكم الأموال في مواقع بعينها، وزيادة عجز الآخرين عن الحصول على أموال يمكنهم التحرك بها في المجالات المختلفة، ثم هي تمنع من استحداث أي موقع سواها على مر الأيام..

ولعل هذا هو ما يشير إليه، ما روي عن هشام بن الحكم: «قال سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن علة تحريم الربا.

قال: إنه لو كان الربا حلالاً لترك الناس التجارات، وما يحتاجون إليه، فحرم الله الربا لتفر الناس عن الحرام إلى التجارات، وإلى البيع والشراء،

---

(١) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٢ ص٤٢٥ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١٨ ص١٢٠ القواعد الفقهية للبجنوردي ج٥ ص٩٠ وعلل الشرائع ج٢ ص٤٨٣ ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص٥٦٦ والبحار ج١٠٠ ص١٢٠ وجامع أحاديث الشيعة ج١٨ ص١٣٣ وميزان الحكمة ج٢ ص١٠٣٢.

(٢) البحار ج٧٥ ص٢٠١ وراجع: فقه الرضا لابن بابويه ص٢٥٦ والبحار ج١٠٠ ص١٢١ والدر المنثور ج١ ص٣٦٥ وذيل تاريخ بغداد ج٣ ص٢١٤ وتهذيب الكمال ج٥ ص٨٨ وسير أعلام النبلاء ج٦ ص٢٦٢ ومطالب السؤول للشافعي ص٤٣٩ وكشف الغمة للإربلي ج٢ ص٣٧٠ و٣٩٩.

فيتصل ذلك بينهم في القرض»[1].

وعن الإمام الرضا «عليه السلام»: «إنما نهى الله عز وجل عنه لما فيه من فساد الأموال، لأن الإنسان إذا اشترى الدرهم بالدرهمين كان ثمن الدرهم درهماً، وثمن الآخر باطلاً، فبيع الربا وشراؤه وكس على كل حال على المشتري، وعلى البائع، فحظر الله تبارك وتعالى على العباد الربا لعلة كساد الأموال»[2].

وعلى كل حال، فإن التعامل بالربا يفسد الأموال، والأرواح والقلوب على حد سواء، ويوجب سقوط المعايير، وينحرف بالفطرة عن الصراط السوي..

وذلك كله يوصد ابواب الهداية، ويضعف فرص وصول الإنسان إلى الحق، وتفاعله معه، وقبوله به، وخضوعه له..

أما حين تستبعد هذه العاهة، وتمنع من التأثير على واقع المجتمع الإنساني، فإن صدود النجرانيين عن الحق لبعض الموانع، أو لتأثرهم

---

(١) البحار ج١٠٠ ص١٩ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٢ ص٤٢٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١٨ ص١٢٠ وشرح اللمعة للشهيد الثاني ج٣ ص٣٠٠ وعلل الشرائع ج٢ ص٤٨٢ ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص٥٦٧.

(٢) البحار ج١٠٠ ص١١٩ وشرح اللمعة للشهيد الثاني ج٣ ص٣٠٠ وجواهر الكلام للجواهري ج٢٣ ص٣٣٣ وعلل الشرائع ج٢ ص٤٨٣ وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» للصدوق ج١ ص١٠٠ ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص٥٦٦ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٨ ص١٢١ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٢ ص٤٢٥ وتفسير نور الثقلين للحويزي ج١ ص٢٩١.

بشبهة، أو بظرف بعينه لا يوصد أمامهم أبواب الهداية إلى الأبد، بل تبقى الفرصة أمامهم سانحة ما دامت الفطرة سليمة، مؤيدة بصفاء النفوس، وطهر الأرواح، وسلامة وصحة المعايير..

وبعد كل هذا الذي ذكرناه، فإن المسلمين كانوا يعيشون بالقرب من مجتمع النصارى، أو أنهم يخالطونهم، فلا بد من حفظهم وصيانتهم من عدوى أية عاهة قد تصيب تلك الجماعات.

ومن الطبيعي أن تكون حصانتهم من الناحية العقيدية والإيمانية قوية، بسبب قوة البراهين التي تدعوهم للإيمان والثبات فيه..

ولكن الحصانة في موضوع الأموال التي يسيل لها لعاب الطامعين والطامحين تبقى أضعف من غيرها. وهي في معرض الإهتزاز، أو السقوط أمام حب الإنسان للمال، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾[1]. فلا بد من تجفيف منابع الإغراء من أصولها، وجذورها، فكان هذا الإجراء منه «صلى الله عليه وآله» يتوافق مع القاعدة التي تقول: «درهم وقاية خير من قنطار علاج».

مؤنة الرسل وإعارتهم الخيل والدروع:

وقد لاحظنا: أنه «صلى الله عليه وآله» يضمِّن كتاب الصلح بنداً يتعلق بمؤنة رسله، وأن يعيرهم النجرانيون الدروع والخيل. وضمان رسله ما يستعيرونه من ذلك حتى يؤدوه إليهم.. إن اعتبار هذا الأمر بنداً إلزامياً في

---

(١) الآية ٢٠ من سورة الفجر.

كتابه «صلى الله عليه وآله» لأهل نجران يشير على أنه «صلى الله عليه وآله» لا يريد أن يشعر النجرانيون بأن ما يقدمونه للرسل إنما يتم تحت وطأة الخوف من محمد «صلى الله عليه وآله»، وأن هذا ابتزاز بعنوان ضيافة.

مع غض النظر عن ذلك فإن شعورهم بأنهم متفضلون على المسلمين قد يغريهم بالتشبث بمفردات الضلال والإنحراف التي يعيشونها، وقد تعرض لهم حالة من التيه والتعالي تجعلهم يشعرون بعدم الحاجة إلى مراجعة حساباتهم لاكتشاف مواطن الضعف والقوة في مواقفهم.

كما أنه لا يريد لرسله أن يشعروا بمنة هؤلاء الناس عليهم، وبالمديونية لهم، ولا أن يعيشوا الحرج النفسي من جراء ذلك.

وكذلك الحال بالنسبة للعارية المضمونة، سواء بالنسبة للمعير، أو بالنسبة للمستعير. وقد جاء الحكم بضمان تلك العارية لأصحابها لمنع تكوين أي تصور أو شعور غير مرغوب فيه لدى الفريقين حسبما أوضحناه.

فتلخص أن جعل ذلك حقاً مفروضاً على هؤلاء، ومطلوباً لأولئك، يحسم الأمر في ذلك كله لصالح أهل الإيمان، ولصالح أهل نجران، لأن منع حدوث أي نوع من أنواع سوء الفهم، أو نشوء تخيلات ومشاعر سلبية تعيق عن معالجة قضايا حساسة وأساسية، بصدق وصفاء، وتعقل وأناة وروية.

أبو عبيدة أمين هذه الأمة:

وقد رووا عن ابن مسعود: أن السيد العاقب، وأبا الحارث بن علقمة أتيا رسول الله «صلى الله عليه وآله» لكي يلاعناه، فقال أحدهما لصاحبه: لا تلاعنه، فوالله لئن كان نبياً فلاعنته لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا.

فقالا: يا أبا القاسم، قد رأينا أن لا نلاعنك، وأن نتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين».

فاستشرف لها أصحابه.

فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح».

فلما قام قال: «هذا أمين هذه الأمة»[1].

وعن ابن عمر: سمعت عمر يقول: ما احببت الإمارة إلا مرة واحدة، فذكر هذه القصة. وقال في آخرها: فتعرضت أن تصيبني، فقال: قم يا أبا عبيدة الخ..[2].

ونقول:

أولاً: إنه لا ريب في أن الأمانة لدى المسلمين لا تنحصر بأبي عبيدة، فإن

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢١ عن البيهقي بأسناد صحيح، وعن البخاري من حديث حذيفة، وأشار في هامشه إلى البخاري في كتاب أخبار الآحاد (٧٢٥٤) وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٩٠ ومسند احمد ج١ ص٤١٤ وصحيح البخاري ج٥ ص١٢٠ وفضائل الصحابة للنسائي ص٢٩ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٢٦٧ وعمدة القاري ج١٨ ص٢٧ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٥٧ وتفسير ابن كثير ج١ ص٣٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص٤٥٣ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٢ ص٥٨٤ وراجع: المصنف ج٧ ص٥٣١ وج٨ ص٥٦٥ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٦٢ وكنز العمال ج١٣ ص٢١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص٤٥١.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٩٠ عن أبي يعلى وفتح الباري ج٧ ص٧٤.

الأمناء في هذه الأمة كثيرون، فلماذا خص أبا عبيدة بهذه الصفة، أم أن أمانته كانت أقوى أو أشد، أو أكثر من أمانة سلمان وعمار، وعلي «عليه السلام»؟!

وهل يرضى محبو الخلفاء بأن يكون أبو بكر وعمر وعثمان و.. و.. الخ.. ليسوا بهذه المثابة من الأمانة في الأمة؟!

ثانياً: إن أصل هذه القضية مشكوك فيه، فقد قال الزرقاني: «ذكر ابن إسحاق: أنه «صلى الله عليه وآله» بعث علياً إلى أهل نجران ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم.

وهذه غير قصة أبي عبيدة لأنه توجه معهم، فقبض مال الصلح ورجع. وعلي أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك، فقبض ما استحق عليهم من الجزية، ويأخذ ممن أسلم ما وجب عليه من الصدقة»[1].

ولا يخفى أن هذا الجمع تبرعي، وهو لا يوجب إلغاء احتمال أن تكون قضية أبي عبيدة مكذوبة.

ثالثاً: إن مما يزيد الريب في صحة رواية أبي عبيدة: أننا لا نجد مبرراً لتأكيد النجرانيين على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يرسل معهم أميناً:

١ ـ إذ متى أرسل من جباة الصدقات وحملة أموال الجزية إليه من خان الأمانة واستولى على الأموال؟!

٢ ـ يضاف إلى ذلك: أن هذا الأمر يعود القرار فيه إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فما هذا التدخل منهم في شأنٍ لا يعنيهم؟!

٣ ـ أم أن المقصود هو اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» في رأيه، أو نسبة

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٩٠ وفتح الباري ج٨ ص٧٤ وعمدة القاري ج١٨ ص٢٨.

التهاون إليه في حفظ الأموال؟!

٤ ـ متى أصبح النجرانيون يغارون على مصالح المسلمين، ويهتمون بحفظ اموالهم من الخونة؟!

٥ ـ إن كتاب الجزية قد حدد المقادير المطلوبة من النجرايين، فهو يطالبهم بما حدده ذلك الكتاب، ويطالب رسوله به أيضاً، فلا مجال للخيانة والتستر على شيء من المال..

رابعاً: حديث عمر: ما أحببت الإمارة إلا مرة واحدة، فذكر هذه القصة لا يمكن القبول به، فقد روي هذا الموقف عن عمر بن الخطاب في عدة مناسبات كما ألمحنا إليه في موضع آخر في هذا الكتاب، فقد قال ذلك في:

١ ـ خيبر.

٢ ـ عند وفد نجران.

٣ ـ وفي عير ذلك.

خامساً: إن هذا الذي زعموا أنه أمين هذه الأمة قد خان الأمة في أعظم حقوقها، وذلك حين مالأ على اغتصاب الخلافة من صاحبها الشرعي، كما سيأتي بيانه حين الحديث عن السقيفة، التي كان أبو عبيدة أحد أركانها، وانتجت إغتصاب الخلافة من أمير المؤمنين «عليه السلام»، بالإضافة إلى ضرب الزهراء «عليها السلام» حتى أسقطت المحسن واستشهدت.. وغير ذلك من عظائم وجرائم.

صلاة النصارى في مسجد النبي ﷺ:

تقدم: أن النصارى لما حانت صلاتهم قاموا في مسجد رسول الله «صلى

الله عليه وآله» يصلون، فأراد الناس منعهم، فقال «صلى الله عليه وآله»: «دعوهم».

وقد قال بعضهم في توجيه ذلك: «إن الناس أرادوا منعهم لما في فعلهم من إظهار دينهم الباطل بحضرة المصطفى وفي مسجده، وإنما أمر «صلى الله عليه وآله» بتركهم، تأليفاً لهم، ورجاء إسلامهم، ولدخولهم بأمان، فأقرهم على كفرهم، ومنع من التعرض لهم، فليس فيه إقرار على الباطل».

ونقول:

أولاً: إن دخولهم بأمان لا يعني السماح لهم بالصلاة في موضع لا يرضى المسلمون بصلاتهم فيه، ويدينون إلى الله في منعهم من ذلك، إنطلاقاً من حكم شرعي ثابت عندهم.

ثانياً: إن تأليف النجرانيين لا يتوقف على السماح لهم بالصلاة في داخل المسجد، إذا كان الشرع يمنع من ذلك.

والذي نراه هو أنهم كانوا في موضع ملحق بالمسجد، ولم يكن يحرم وجود الكافر في ذلك الموضع، فأراد المسلمون أن يمنعوهم من ممارسة حريتهم في ذلك الموضع من دون مراجعة النبي «صلى الله عليه وآله»، فمنعهم النبي «صلى الله عليه وآله» من ذلك.

دخول الكافر إلى المسجد:

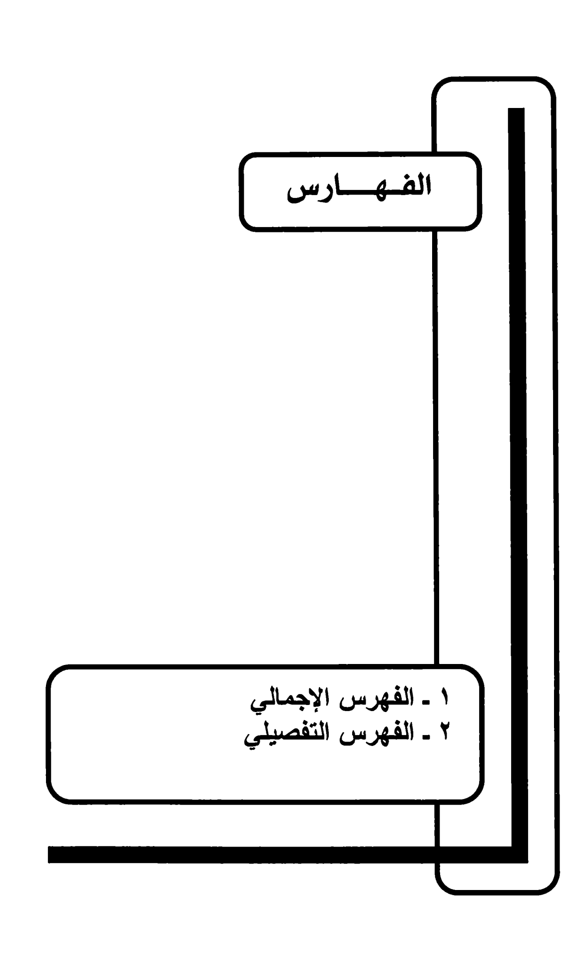
وقد حاول بعضهم أن يقول: إن الروايات تتحدث عن دخول وفد نجران إلى المسجد النبوي لملاقاة النبي «صلى الله عليه وآله»، والإحتجاج عليه، ثم مباهلته..

كما أن روايات أخرى تفيد أن بعض المشركين كانوا يدخلون إلى المسجد لملاقاة النبي «صلى الله عليه وآله»، فهذا وذاك يدلنا على جواز دخول الكتابي بل مطلق الكافر حتى لو كان مشركاً أو ملحداً إلى المسجد..

ونقول:

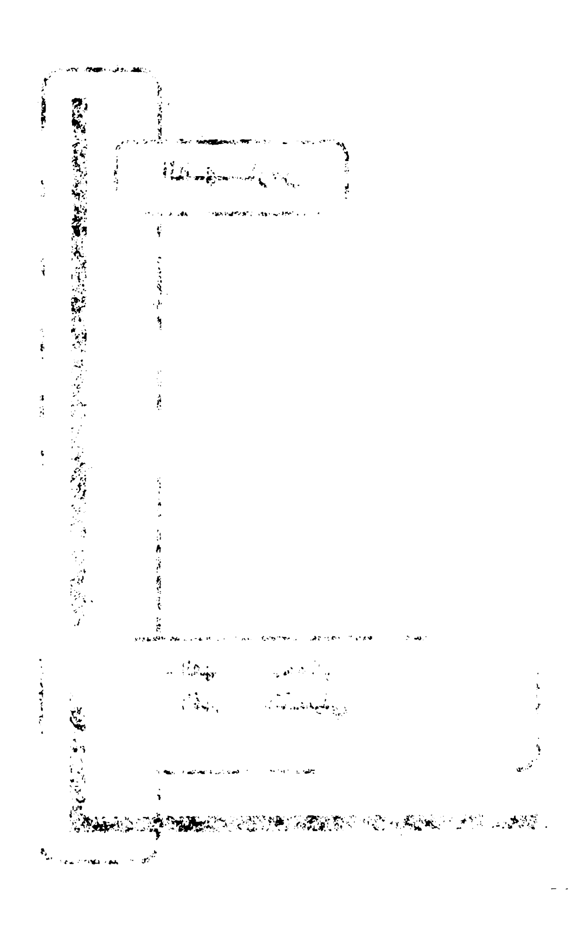
كنا قد تحدثنا عن هذا الأمر حين الحديث عن وفاة زيد الخيل ودخوله إلى المسجد، ولكننا نعيد تذكير القارئ ببعض ما ذكرناه من أن المحرم من دخول الكافر إلى المسجد هو الموضع الذي تكون فيه الصلاة، أما دخوله إلى باحة المسجد وساحاته، وإلى غيرها من الملحقات بموضع الصلاة فلا ضير فيه..

ولعل النبي «صلى الله عليه وآله» كان يلقى أهل الكتاب والمشركين في غير مكان الصلاة.. فإن الناس يطلقون على باحة المسجد أنها مسجد، لأنها من شؤونه، ومتمماته، التي يحتاج إليها المصلون في التهيؤ والإستعداد للصلاة.



الفهـــارس

1 ـ الفهرس الإجمالي
2 ـ الفهرس التفصيلي



١ ـ الفهرس الإجمالي

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفصل الثالث: وفادة الملوك سنة تسع.. ووفد همدان

الفصل الرابع: وفود سنة تسع

الفصل السادس: وفود السنة العاشرة والحادية عشرة

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ

الفصل التاسع: وفد نجران.. أحداث وتفاصيل

الفصل العاشر: وقفات.. مع حديث النجرانيين

الفهارس: